المركز الديمقراطي العربي؛ برلين- ألمانيا
مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات- ألمانيا

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية

دورية دولية محكمة

تعنى بنشر نتائج البحوث الاستطلاعية
في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد 3، العدد 12 مارس 2024
Issue 3, Vol.12, March 2024
ISSN: 2701 - 9233

المركز الديمقراطي العربي
مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية

DEMOCRATIC ARABIC CENTER, GERMANY

Journal (Index) of exploratory studies

International scientific periodical journal
Deals with the field of exploratory studies of social and human sciencies

مجلة مؤشر
للدراسات الاستطلاعية

Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de
http://indexpolls.de

مجلة مؤشر للدراسات الإستطلاعية

Journal Index For Exploratory Studies

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية

دورية دولية محكمة

تعنى بنشر البحوث الميدانية والتطبيقية

في مجالات العلوم الإجتماعية والإنسانية

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي

ومركز مؤشر للإستطلاع والتحليلات بألمانيا

Director of the Index Center
for Survey and Analytics
SAAD Elhadj

President of the Democratic
Arab Center
Ammar Sharaan

Editor-in-chief
Dr. Violla Makhzoum
Deputy Editor-in-Chief
Dr. Leila CHIBANI
Chairman of the advisory committee
Dr.Rabih Baalbaki
managing editor
Dr.sultan Nasser Eddin

Volume
03
Issue
12
Year
March 2024

ISSN: 2701-9233

Germany: Berlin 10315
http://democraticac.de http://indexpolls.de
Tel: 0049-code
030-89005468/030-89899419/030-57348845

رئيس الهيئــة العلميــة

د. محمد رمال

د. إيمان صالح (لبنان)
د. اياد بندر (فلسطين)
د.محمد راضي (المغرب)
د. رشدي زعيتر (لبنان)
د.إسماعيل حسونة (فلسطين)
د. ريمار حرز (لبنان)
د. سليم سهلي (الجزائر)
د. حنان الطويل (لبنان)
د. علي عبد الهادي عبد الأمير (العراق)
د.وهيبة بوربعين (الجزائر)
د.غسان جابر (لبنان)
د.عائشة بن النوي (الجزائر)
د.محمد نعمة (لبنان)
د.أطلس فينيكس (الولايات المتحدة الأمريكية)
د.فاطمة رحال (لبنان)
د.ادريس الدعيفي (المغرب)
د.بياريت فريفر (لبنان)
د.سميح عزالدين (لبنان)
د.رائد محسن (لبنان)
د.مريم رسطوم(المغرب)

د. هاجر المفضلي (المغرب)
د.عدنان يعقوب (لبنان)
د.آلاء عبد الكريم (العراق)
د.سوزان زمار (لبنان)
د.جمال مسلماني (لبنان)
د. قزوي ججيقة (الجزائر)
د.بيان كمال الدين (لبنان)
د.محمد الحوش (المغرب)
د.غادة عزام (لبنان)
د.عبد الإله زنطار (المغرب)
د.حسن الدمان (المغرب)
د.ميثم منفي كاظم العميدي (العراق)
د.يحي زلزلي (لبنان)
د.أمين بري (لبنان)
د.ريم القريوي (تونس)
د.وفاء برتيمة (الجزائر)
د.سماح رمضان (لبنان)
د.هاجر البدوي (المغرب)
د.زينب عجمي (البنان)
د.صبري المدهون (مصر)

Chair of the Scientific Committee

Mohamad Rammal

Eman saleh (Lebanon
Mohammed Radi (Morocco)
EsmailHassounah (Palestine)
Salim Sahli (Algeria)
Ali Abudlhadi Abudlalmeer (Iraq)
Ghassan Jaber (Lebanon)
MohammadNaameh (Lebanon)
Fatima Rahal (Lebanon)
Pierrette Freyfer (Lebanon)
Hajar Lamfadli (Morocco)
Alaa Abdulkareem (Iraq)
Jamal Meselmani (Lebanon)
Bayan Kamal Eddine (Lebanon)
Ghada Azzam (Lebanon)
Hassan Edman (Morocco)
Yahya Zalzali (Lebanon)
Rym Grioui (Tunisia)
Samah Ramadan (Lebanon)
Raed Mohsen (Lebanon)
Meriem restoum(Morocco)

Iyad Bandar (Palesstine)
Rushdy zytr (Lebanon)
RimazHerz (Lebanon)
Hanan Tawil (Lebanon)
Wahiba Bourabaine (Algeria)
Aicha Bennoui (Algeria)
Atlas Phoenix (Usa)
Driss Daifi (Morocco)
Samih Ezzedine (Lebanon)
Yaakoub Adnan (Lebanon)
Suzan Zammar (Lebanon)
Djedjiga Guezoui (Lebanon)
Mohammed Elhouch (Morocco)
Abdelilah Zentar (Morocco)
Maitham Al Amidi (Iraq)
Amine Berry (Lebanon)
Wafa Bertima (Algeria)
Hajar Elbadaoui (Morocco)
Zeinab Ajami (Lebanon)
Sabri Al-madhoun(Egypt)

محددات النشر

- يجب أن تندرج المقالات العلمية ضمن واحدة من المجالات التالية: السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا؛ علوم التربية؛ علم النفس؛ علوم الاعلام والتواصل؛ علم الإدارة؛ العلوم السياسية؛ الديموغرافيا؛ الجغرافيا الاجتماعية.
- تميل المجلة بشكل خاص إلى تفضيل الدراسات الميدانية على الدراسات النظرية (هذا لا يعني بالضرورة رفض المقالات النظرية)؛ إذ من المستحسن أن يعتمد الباحثون في مقالاتهم المرسلة على إحدى هذه المناهج: المنهج الكمي ممثلا في استعمال الاستبيان وأدوات المعالجة الإحصائية. والمنهج الكيفي ممثلا في التقنيات الاثنوجرافية من قبيل توظيف المقابلات وتحليل الخطاب والملاحظة بالمشاركة...
- تقبل المجلة المقالات المحررة باللغات العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية.
- تحث المجلة الباحثين على اتباع الشروط والمعايير الواردة في دليل النشر الخاص بالجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA).
- تقبل المجلة المقالات بأحجام لا تزيد عن 20 صفحة.
- لا تقبل المجلة البحوث المنشورة سابقا، أو التي هي قيد الدراسة للنشر في مجلة أخرى.
- يقدم العمل في ملف وورد فقط، ويرسل إلى البريد الإلكتروني التالي:
  j.index@democraticac.de
- يجب الالتزام بالضوابط الشكلية للتحرير وفقاً للقالب الخاص بالمجلة (يمكن تحميل القالب من خلال الدخول على صفحة المجلة: https://cutt.us/PrMYV
- حجم الخط (14) ونوع الخط "ساكال مجلة" (Sakkal Majalla) بالنسبة للغة العربية، وحجم الخط 13 ونوع الخط "تايم نيو رومان" (Time New Roman) بالنسبة للغات الأجنبية؛ وأن تترك مسافة 1,15 بين الأسطر؛ وتفعل روابط الويب بوضع خط تحتها، لكي يتم فتحها.
- تزرع الصور التوضيحية والجداول والأشكال حسب ورودها في النص، ولا توضع في آخره.
- عدم استخدام الهوامش، ويمكن استخدام التوضيحات في النص، كما يجب إضافة الوصف التفصيلي في ملاحق منفصلة.
- لا يجب أن ترد أسماء المؤلفين في متن النص أو قائمة المصادر؛ وإذا كان لزاما فعل ذلك فيتم استبدالها بكلمة (المؤلف)؛ ويعتبر المؤلف مسؤولا عن إعادة تصحيح هذه التغييرات في حال قبول المقالة للنشر.
- يتم رفض أو قبول البحوث اعتمادا على تقارير المحكمين الدوليين.
- عند قبول البحث يتسلم الباحث إشعارا بالقبول، وفي حال طولب بالتعديل يمنح مهلة لإتمام جميع التصويبات والإجراءات (إن وجدت).

INSTRUCTIONS FOR AUTHORS

- Scientific articles must fall within one of the following fields: Sociology and Anthropology; Educational Sciences; Psychology; Media and Communication sciences; Management Science; Political Science; Demography; Social Geography.
- The journal in particular tends to favor field studies over theoretical studies (this does not necessarily means rejecting theoretical articles); It is recommended that researchers rely on their articles on one of these methods: the quantitative approach represented by the use of questionnaires and statistical processing tools. The qualitative approach is represented in ethnographic techniques such as the use of interviews, discourse analysis, and participatory observation…
- The journal accepts articles written in Arabic, English or French. o the journal urges researchers to follow the terms and standards of the American Psychological Association (APA) Publication Guide. o The journal accepts articles of no more than 20 pages.
- The journal does not accept previously published research, or that is under study for publication in another journal .
- The work is submitted in«Word file»only, and sent to the journal's e-mail.
- The formal controls for editing must be adhered to the template of the journal .
- Font size (14) and font type Sakkal Majalla for the Arabic language, while font size 13 and font type Time New Roman must be adhered to for foreign languages; It should also leave a space of 1.15 between lines; Web links are activated by underlining them, to be opened.
- The illustrations, tables, and figures are planted as they appear in the text, and are not placed at the end of it .
- Margins are not used, explanations can be used in the text, and detailed descriptions should be included in separate appendices.
- The authors' names should not appear in the body of the text or the list of sources; If it is necessary to do so, it shall be replaced by the word (author); The author is responsible for re-correcting these changes if the article is accepted for publication.
- Research is rejected or accepted depending on the reports of international arbitrators .
- Upon acceptance of the research, the researcher receives a notification of acceptance, and if the amendment is requested, he is given a deadline to complete all corrections and procedures (if any).

Details and information | تفاصيل ومعلومات

البريد الإلكتروني | E-mail	j.index@democraticac.de
الهاتف | Phone	00213660061297 00213778725481
العنوان | Address	Germany: Berlin 10315
الموقع الإلكتروني | Website	- الصفحة الرسمية على المركز الديمقراطي العربي - الموقع الخاص بالمجلة
مواقع التواصل الاجتماعي	https://www.facebook.com/MajallatIndex
Facebook Accounts	https://www.facebook.com/groups/indexpolls?_rdc=1&_rdr

المجلة مفهرسة ضمن | The following is a list of the Indexing databases

قاعدة بيانات المكتبة الوطنية الألمانية
DEUTSCHE NATIONAL BIBLIOTHEK
GERMAN NATIONAL LIBRARY
المكتبة الوطنية الألمانية

قاعدة بيانات شمعة توثق وتفهرس المقالات التربوية للمجلة
شمعة shamaa
شبكة المعلومات العربية التربوية
Arab Educational Information Network

قاعدة بيانات معرفة e-Marefa
معرفة
E-MAREFA

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

قائمــة المحتويــات | Contents

	مؤلف/مؤلفو المقال	عنوان المقال	الصفحات
	Author(s)	Title	Page Range
01	**Mohammed Gamal** Aswan University. Egypt **Samia Gamal** Aswan University. Egypt	Considerations for Flipping the Classroom	10
02	أ. مرام رشدي أبو مخ جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين	تغلغل النّفوذ البريطاني في فلسطين (1840-1914) وآثاره الاجتماعيّة	19
03	زكية حمضي1؛ ابراهيم حمداوي2 جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب	المرأة والاحتجاجات الحضرية بالمغرب: مقاربة سوسيولوجية لمشاركة المرأة في حراك الحسيمة وجرادة	28
04	د. لحسن دحماني المغرب	الوضع البيداغوجي للنص الفلسفي في المقررات الدراسية المغربية	38
05	عبد العالي صابر جامعة شعيب الدكالي بالجديدة. المغرب.	التحول من الإسلام إلى اللادينية: الأسباب والسيرورة	47
06	بالحاج لطيف طارق وحدة البحث : "التوارث، الانتقالات و الحراك" جامعة تونس	الهجرة الداخلية وتداعياتها على المنظومة الصحية بالبلاد التونسية	63
07	كمال بن عبدالسلام خليفي جامعة قابس، الجمهورية التّونسيّة	التلوّث الهوائي ومخاطره على المجال: دراسة مقارنة بين "شطّ السّلام ومطماطة الجديدة" من ولاية قابس.	77
08	عادل اقلوش 1؛ 1 جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس – المغرب صادق عزوزي 2 2 جامعة محمد الأول بوجدة – المغرب	دينامية المراكز الصاعدة بوديناروكرونة: دراسة جغرافية بإقليم "الدريوش شمال شرق المغرب"	90

	عبد السلام سالم مسعود البوسيفي جامعة صبراتة	اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد في ظل جائحة فيروس كورونا المستجد (COVID-19)	113
	محمد كنتيتي جامعة محمد الخامس، الرباط	تشخيص مؤشرات الأمن الغذائي بالمغرب	138

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته،

الحمد لله الذي جعلنا جزءًا من هذا العالم المتنوع، حيث تتشابك الثقافات والتجارب، محملة بتراثها العريق وأملها المستمر في الحياة. اليوم، نجتمع مجددًا في صفحات هذه المجلة، نحمل في قلوبنا فلسطين، الأرض الطيبة التي تعاني وتتألم، ولكنها في نفس الوقت تتجلى فيها روح الصمود والأمل.

في هذا العدد، نسعى إلى استكشاف جوانب متعددة من الواقع التربوي والاقتصادي والاجتماعي والتاريخي، بغية فهم أعمق للتحديات التي تواجه المجتمعات والشعوب. نحن نؤمن بأن العلم والتعليم هما الأساس لبناء مستقبل أفضل، وأن العدالة الاجتماعية والتضامن هما الركيزتان التي تقوي الأمم وتجعلها قوية.

ومع ذلك، لا يمكننا تجاهل الظلم الذي يعانيه شعب فلسطين، ولا يمكن أن ننسى حقهم في الحرية والكرامة والاستقلال. فلنكن صوتًا مع فلسطين، ولنعمل بجدية لنصرة قضيتهم، فإن نضالهم هو نضالنا، وألمهم هو ألمنا.

فلنبدأ رحلة الاستكشاف في عالم المعرفة والفهم، مع التزامنا الدائم بقيم العدل والإنسانية، ولنجعل من هذا العدد لحظة تأمل وتحفيز للعمل نحو تحقيق التغيير الإيجابي، بداية من فلسطين وصولاً إلى كل ركن من أركان هذا العالم.

دمتم بخير وسلام

رئيس التحرير
د.فيـــولا مخـزوم

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

Considerations for Flipping the Classroom

Mohammed Gamal
Department of Curriculum and Teaching Methods, Faculty of Education,
Aswan University. Egypt
Email: mohamedgamal40099@gmail.com
https://orcid.org/0000-0001-9096-1507
Samia Gamal
Department of Curriculum and Teaching Methods, Faculty of Education,
Aswan University. Egypt
Email: samiag1977@gmail.com

Abstract

The current study was to determine Considerations for Flipping the Classroom, The Flipped Classroom is a teaching model where the core idea is to "flip" the instructional approach. Students are asked to complete the readings and watching the lectures at home and come to class ready to complete active learning activities related to the coursework, How do You Flip a Class, Identify where the flipped classroom model makes the most sense for your course, Spend class time engaging students in application activities with feedback, Clarify connections between inside and outside of class learning, Adapt your materials for students to acquire course content in preparation of class, and The flipped classroom methodology ; F: Flexible environment, L: Learning culture, I: Intentional content, P: Professional educator, Finally Keep it simple at first by either relying on your current resources or using existing online content rather than creating your own. If you have time, explore what content currently exists online that may help you supplement your resources. Whatever path you take, make sure that you: Hold students accountable for completing the pre-class assignment, and Provide students a way to pose questions about the content they are learning outside of class.

Keywords: Considerations, Flipping the Classroom, Blended learning.

Introduction:

An active learning style has shown a positive effect in comparison with traditional teaching. The flipped classroom approach, case-based learning, problem-based learning and blended learning styles are new teaching strategies involving student-centred learning that enable students to cultivate interpersonal skills, obtain medical knowledge and improve cognition. In the flipped classroom approach, students have the study materials and prepare for class before the class itself, and in the class, they share basic knowledge and build upon the concepts taught according to the set objectives. Several studies have confirmed that student-centred learning as an active learning strategy is associated with improved student

performance, reduced failure rate and better learning achievements. A study conducted with students taking an anatomy course revealed that the achievement of course objectives was significantly improved when the course was delivered through an active teaching method than when delivered in the traditional method. Moreover, the students in the study stated that that the active teaching method helped them gain knowledge, skills and confidence on examinations. Another study with students in a microbiology course demonstrated that problem-based learning, a student-centred learning strategy, helped students retain information and improve cognitive skills.

The flipped or inverted classroom is a new and popular instructional model, in which activities traditionally conducted in the classroom become home activities, and activities normally constituting homework become classroom activities (Bergmann & Sams, 2012). In the flipped classroom, the teacher helps the students instead of merely delivering information, while the students become responsible for their own learning process and must govern their own learning pace (Lai & Hwang, 2016). Since classroom time is not used to transmit knowledge to students by means of lectures, the teacher is able to engage with students by means of other learning activities such as discussion, solving problems proposed by the students, hands-on activities, and guidance. Today, the concept of the flipped classroom has been implemented in many different disciplines, and in schools and universities around the world (Hao, 2016).

Flipped learning is not simply a fad. There is theoretical support that it should promote student learning. According to constructivist theory, active learning enables students to create their own knowledge by building upon pre-existing cognitive frameworks, resulting in a deeper level of learning than occurs in more passive learning settings. Another theoretical advantage of flipped learning is that it allows students to incorporate foundational information into their long-term memory prior to class. This lightens the cognitive load during class, so that students can form new and deeper connections and develop more complex ideas. Finally, classroom activities in the flipped model can be intentionally designed to teach students valuable intra- and interpersonal skills.

Flipped classroom instruction is defined simply as an instructional strategy where students learn content prior to class, allowing them to come to class prepared and ready for mentored, active, and experiential learning experiences (Hamdan et al. 2013). Abeysekera and Dawson's (2015) "lowest common denominator" definition of a flipped classroom suggests that the strategy must include three key components: (1) information-transmission outside of class time, (2) class time dedicated to active, collaborative activities, and (3) student accountability for in-class activities through pre- or post-class activities. This first piece, information-transmission, is almost always in the form of a pre-recorded lecture or screencast (Pierce and Fox 2012). Other methods of pre-class content dissemination include readings, Blogs, Google Docs, Google Hangouts, and some interactive computer software programs such as MyITLab (Davies et al. 2013).

Theoretically, in a flipped classroom, students can access learning materials at their own pace. Learning out-of-class is flexible and can occur at any time and place according to the choice of learners, matching their academic levels and individual needs (Moffett, 2015). Even though the pre-recorded materials are available 24 hours a day, low self-regulated learners may procrastinate to review learning materials prior to the class (Filiz & Kurt, 2015). While

the flipped classroom offers flexibility and individualization in the learning processes, studies also report that some students prefer to attend lectures instead of watching or listening to online lessons, as they miss the opportunity to ask questions when the information is initially presented (Mazur, Brown & Jacobsen, 2015).

Moreover, in a flipped classroom, time is used dynamically, focusing on in-class discussion, projects and problem solving to help students apply what they have learned and cultivate their higher-order thinking skills (Hwang, Lai, & Wang, 2015). Flipped learning (an alternate terminology) manifests those learning processes that occur during class time, where students actively participate in meaningful and collaborative tasks and the instructor provides mentorship or guidance when needed (DeLozier & Rhodes, 2016)

Flipped classroom demands students watch recorded instructional videos prior to the class. However, some students may be less adept than others with respect to flipped learning. In fact, most are not yet ready to be flipped or have their ingrained learning habits transformed (Hao, 2016). Therefore, this study postulates that individual traits might lead to significant differences in the educational benefits of flipped classroom.

Literature review:

Flipped classrooms have been in existence for some time with variations in form and shape. Salman Khan brought this practice to mass attention through the Khan Academy, which has worked with Microsoft to record over 4400 instructional videos for its digital library to cover K-12 math, science, history, and other subjects. Many instructors practicing the flipped model have relied on these 10-min long videos in their classes, where students are instructed to watch course videos at home.

Flipped or inverted classrooms are a blended learning modality, whereby traditional in-class lectures and homework exercises are reversed. The learning material is made available to students prior to the class to study at their own time, while in-class time is spent in interactive teaching activities. These activities include, but are not limited to: case-based learning, team based learning, project-based learning, inquiry-based learning, and cooperative learning. Flipped classrooms reduce passivity, enabling students to become active learners through reasoning and concept application, also facilitating increased student interaction with peers and instructors. By keeping students engaged in-class, such instructional approaches decrease distraction, enhancing retention and application of acquired information.

Some of the benefits of a flipped classroom are: it's flexible, students can learn at their own pace, students take responsibility for their learning, students learn rather than encounter material in class, there are more opportunities for higher level learning, it does not waste time transferring information to students when that information is available to them in books or online, instructors and TFs work more closely with students, getting to know students better and providing better assistance, increased collaboration between students (Mazur, 2009).

Why are instructors flipping their class?

Students learn more deeply, As a result of students taking responsibility, interacting meaningfully and often with their instructor and peers, and getting and giving frequent feedback, they acquire a deeper understanding of the content and how to use it.

Students are more active participants in learning, The student role shifts from passive recipient to active constructor of knowledge, giving them opportunities to practice using the intellectual tools of the discipline.

Interaction increases and students learn from one another, Students work together applying course concepts with guidance from the instructor. This increased interaction helps to create a learning community that encourages them to build knowledge together inside and outside the classroom.

Instructors and students get more feedback, With more opportunities for students to apply their knowledge and therefore demonstrate their ability to use it, gaps in their understanding become visible to both themselves and the instructor.

Another reason to consider flipped learning is student satisfaction. We found that students in flipped classrooms reported greater course satisfaction than those in lecture-based courses. The size of this overall effect was fairly small, so flipping the classroom is not a silver bullet for instantly boosting course evaluations. But in no context did flipping the classroom hurt course ratings, and in some settings, including mathematics courses and courses taught in Asia and Europe, we observed more pronounced increases in student satisfaction.

How does a flipped classroom work?

There is no one way to flip a classroom. The main idea is to have students view and/or listen to lectures outside of class and allow class time for hands-on activities. With today's technology, there are many ways an instructor can deliver course content outside the classroom. Primarily, course content is delivered via video. Long et al. (2014) reported that 78 % of the surveyed students agreed or strongly agreed they prefer videos as a tool for learning. Some instructors choose to create YouTube channels or deliver content via platforms such as blackboard. Course content comprehension can be tested by administering an online quiz. The instructional videos on their own are not enough; it's how they are incorporated into the overall approach that will make a difference in teaching and learning (Tucker, 2012).

Considerations for Flipping the Classroom

Moving learning outside of the class requires students to self-regulate their learning. In order to support students in doing so, try these techniques:

- Communicate how much time-on-task is expected for each learning activity.
- Provide a rubric to articulate what assignment outcomes are expected and how they will be assessed.
- Encourage students to create a learning plan. This is more crucial for courses that require a lot of online work.
- Break larger online assignments up into smaller pieces and create staggered deadlines along the way.
- Incorporate peer feedback. For example, if students are required to post reading responses, include responses to peers' as part of the assignment.
- Include incentives for completing online or out of class assignments. For example, for reading assignments, require students to do a pre-class quiz on Canvas and have these quizzes be a small part of students' grades. Alternatively, give a quick five-minute quiz

at the beginning of a class session and allow students to earn bonus points for correct answers.

- For required pre-class quizzes, Canvas' Prerequisites feature allows you to provide students with additional information only when they complete a quiz.
- Discuss the expectation you have for students to preview content before class. Instill accountability for pre-class activities by noting that not doing them decreases the value of class session activities for both themselves and the students they work with. Students should be held responsible for not letting themselves or their classmates down. Establishing ground rules can help.

The flipped classroom methodology

Each of the initials of the word FLIP represents a pillar of the flipped classroom methodology:

- **F: Flexible environment**

Teachers create adaptable spaces and students choose where and when they learn. This flexibility affects not only learning times and places, but also teacher expectations and student assessments.

- **L: Learning culture**

The focus of learning shifts from the teacher to the learner, transforming the learning culture. Class time is dedicated to deepening the subject matter, resolving possible doubts and engaging in more enriching learning activities.

- **I: Intentional content**

Flipped learning educators think and create content with a clear intention: to maximise classroom time, aiming for procedural fluency, to focus on students and the development of their conceptual understanding.

- **P: Professional educator**

The flipped classroom requires committed teachers who observe their students, giving them feedback and evaluating them at all times. Their role in the classroom must be less prominent and they seek to connect with peers to improve their practice and share procedures.

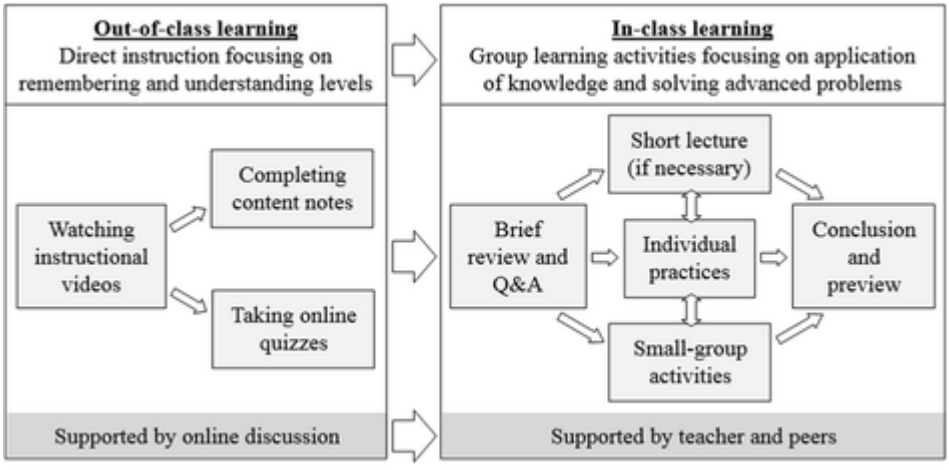

A proposed model of flipped classroom approach (Lo, Hew, 2017).

Major Differences between Conventional Classrooms and Flipped Classrooms

- Access to Knowledge: In a classroom environment, students acquire knowledge by interacting with teachers. Hence, the teachers act as intermediaries between the students and the knowledge. In addition to explaining various topics, the teachers also help students to clear their doubts. The flipped classroom model eliminates all barriers or intermediaries between the students and the knowledge. It enables students to acquire knowledge by accessing lectures, notes, and solved question papers over the internet.

- Independence of Thought: While attending classes, students acquire knowledge through face-to-face lectures. They further understand various topics as explained by the teacher. But flipped classroom allows students to learn a topic by accessing information from varied sources. A student also has the option to learn a topic by accessing university notes share by different teachers. The wider access to content enables students to acquire knowledge elaborately and independently.

- Flexibility: The conventional learning models require students to attend multiple classes on a regular basis to complete a course or obtain a certificate. Hence, the students lack the option to acquire knowledge at their own pace and convenience. Unlike conventional classrooms, flipped classrooms allow students to acquire knowledge in a flexible and convenient way. The students can learn various topics in a number of ways — reading online notes, watching video lectures, and discussing important points.

- On-Time Assistance and Guidance: While taking classes, teachers often homework for students. Some teachers even require students to complete and submit homework assignments on a daily basis. But they do not help students to complete the homework assignments outside of the classrooms. Unlike the conventional classroom model, the flipped classroom model helps students to complete homework by providing instructional content and solved question papers. Some online platforms even allow students to complete homework and clear doubts by interacting with teachers through discussion forums.

- Performance Evaluation: In a classroom environment, teachers use homework as a tool to assess and analyze the performance of students. They require students to complete homework assigned after each class. On the other hand, the flipped classroom model does not evaluate the performance of students based on homework assignments. Instead, it facilitates performance assessment through instructor-evaluation and peer-evaluation. It further boosts the performance of students through projects and group discussions.

Screencast/Video Hosting Options

- Screencast.com: 2GB of free storage, more available for paid version
- Youtube: Students are already here but many districts block YT. YouTube EDU is a good alternative.
- Vimeo: Less commercialized alternative to YT. May be blocked but I've found districts are much more willing to unblock Vimeo than YT. Upload limits for free accounts.
- Be careful - some content Vimeo views as "artistic" is not safe for school or work.

- TeacherTube and SchoolTube: Similar to YT but on a much smaller scale. Education related videos only. Any uploaded videos must be approved before becoming available. Time frame for approval can last anywhere from a few hours to days.
- Dropbox: Dropbox is a cloud storage site. You can get a free 2 GB account and get extra storage by getting others to sign up. 2 GB fills up fast. Each file you upload to your Dropbox folders has a unique URL for students to watch online and can be downloaded for watching offline.
- Google Drive: Google's version of Dropbox. You'll need a Google Account to sign up. You get 5 GB free storage when you sign up. This is great for teachers in Google Apps for Education districts.

Addressing student-related challenges

- Guideline 1: Opening up teacher-student communication before flipping.
- Guideline 2: Demonstrating students how to learn through flipped classroom
- Guideline 3: using cognitive theory of multimedia learning to guide video production
- Guideline 4: retaining the workload when flipping a course
- Guideline 5: providing students with communication platform outside the classroom.

Addressing faculty challenges

- Guideline 6: enriching teachers' knowledge of flipped classroom approach
- Guideline 7: preparing flipped learning materials progressively.

Addressing operational challenges

- Guideline 8: supporting the students who are limited by technology resources
- Guideline 10: providing institutional supports of operating flipped classrooms

Nine Design Principles for the Flipped Classroom

- Provide an opportunity for students to gain first exposure to content prior to class
- Provide an incentive for students to prepare for class
- Provide a mechanism to assess student understanding
- Provide clear connections between in-class and out-of-class activities
- Provide clearly defined and well-structured guidance
- Provide enough time for students to complete the assignments
- Provide facilitation for building a learning community
- Provide prompt/adaptive feedback on individual or group works
- Provide technologies familiar and easy to access

Recommendations for Implementing a Flipped Classroom

- Use instructional designers to determine what content should be offloaded and how in-class learning activities should be designed
- Provide numerous individual and group-based faculty development opportunities to assist faculty members in the paradigm change
- Recognize that the increased nature of classroom dynamics may result in the need for additional personnel (eg, faculty members, graduate assistants, residents) in the classroom
- Recognize that "changing the rules" will cause angst among many students who may themselves need to be re-educated on how one is successful in flipped classrooms
- Link all preclass and in-class activities so it is necessary for students to complete both to be successful
- Provide guidance to students so they understand exactly what they need to know or be able to do when they come to class
- Provide an opportunity for students to ask questions and/or clarify information contained in off-loaded course materials
- Focus in-class activities on ways that you can add value in helping students think like experts
- Provide formative assessment opportunities for students to understand what they do and do not know

- Resist the urge to "reteach" content to students who do not prepare accordingly. Be prepared to let them fail in order for them to comprehend what it means to be accountable as a professional
- Be careful not to burden students with too much off-loaded content
- Assess knowledge, skills, behaviors, and attitudes that you desire from students. Do not teach critical thinking and problem solving, but test only for knowledge
- Be prepared to adjust teaching and learning activities as you discover what contributed to learning and what did not.

Overview

The Flipped Classroom is a teaching model where the core idea is to "flip" the instructional approach. Students are asked to complete the readings and watching the lectures at home and come to class ready to complete active learning activities related to the coursework.

On the whole, the flipped classroom learning model transforms the traditional classroom-based learning model by eliminating barriers between students and knowledge. Many teachers already take advantage of popular online platforms like LectureNotes to bridge the gap between conventional and new-age learning models. While taking classes, they focus on explaining topics elaborately and facilitate classroom discussions by sharing university notes on LectureNotes.In.

At the same time, the students leverage LectureNotes.To acquire knowledge and improve exam performance by accessing university notes, video lectures, and solved question papers. They also have the option to study in a flexible way by accessing a wide range of content on both computers and mobile devices. Also, LectureNotes is designed with features to transform traditional classrooms and set up flipped classrooms.

References:

Bergmann, J., & Sams, A. (2012). *Flip your classroom: Reach every student in every class every day*. International society for technology in education.

Capone, R., De Caterina, P., & Mazza, G. A. G. (2017). Blended learning, flipped classroom and virtual environment: challenges and opportunities for the 21st century students. Edulearn17 Proceedings, 10478-10482.

DeLozier, S. J., & Rhodes, M. G. (2017). Flipped classrooms: A review of key ideas and recommendations for practice. Educational psychology review, 29, 141-151.

Filiz, O., & Kurt, A. A. (2015). Flipped learning: Misunderstandings and the truth. Journal of Educational Sciences Research, 5(1), 215-229.

Hao, Y. (2016). Exploring undergraduates' perspectives and flipped learning readiness in their flipped classrooms. *Computers in Human Behavior*, 59, 82-92.

Herreid, C. F., & Schiller, N. A. (2013). Case studies and the flipped classroom. Journal of College Science Teaching, 42(5), 62–66.

Hwang, G. J., Lai, C. L., & Wang, S. Y. (2015). Seamless flipped learning: a mobile technology-enhanced flipped classroom with effective learning strategies. Journal of computers in education, 2, 449-473.

Jamaludin, R., & Osman, S. (2014). The use of a flipped classroom to enhance engagement and promote active learning. Journal of Education and Practice, 5(2), 124–131.

Lai, C. L., & Hwang, G. J. (2016). A self-regulated flipped classroom approach to improving students' learning performance in a mathematics course. *Computers & Education*, 100, 126-140.

Liebert, C. A., Lin, D. T., Mazer, L. M., Bereknyei, S., & Lau, J. N. (2016). Effectiveness of the surgery core clerkship flipped classroom: a prospective cohort trial. The American Journal of Surgery, 211(2), 451-457.

Lo, C. K., & Hew, K. F. (2017). A critical review of flipped classroom challenges in K-12 education: Possible solutions and recommendations for future research. Research and practice in technology enhanced learning, 12(1), 1-22.

Mazur, A., Brown, B., & Jacobsen, M. (2015). Learning Designs using Flipped Classroom Instruction| Conception d'apprentissage à l'aide de l'instruction en classe inversée. *Canadian Journal of Learning and Technology/La revue canadienne de l'apprentissage et de la technologie*, *41*(2).

Moffett, J. (2015). Twelve tips for "flipping" the classroom. Medical teacher, 37(4), 331-336.

Ojennus, D. D. (2016). Assessment of learning gains in a flipped biochemistry classroom. Biochemistry and Molecular Biology Education, 44(1), 20-27.

Rotellar, C., & Cain, J. (2016). Research, perspectives, and recommendations on implementing the flipped classroom. American journal of pharmaceutical education, 80(2), 34.

Sajid, M. R., Laheji, A. F., Abothenain, F., Salam, Y., AlJayar, D., & Obeidat, A. (2016). Can blended learning and the flipped classroom improve student learning and satisfaction in Saudi Arabia?. International journal of medical education, 7, 281.

Slomanson, W. R. (2014). Blended learning: A flipped classroom experiment. J. LegaL educ., 64, 93.

Yaroslavova, E. N., Kolegova, I. A., & Stavtseva, I. V. (2020). Flipped classroom blended learning model for the development of students' foreign language communicative competence. Перспективы науки и образования, (1), 399-412

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

تغلغل النّفوذ البريطاني في فلسطين (1840-1914) وآثاره الاجتماعيّة

"The penetration of British influence into Palestine (1840-1914) and its social effects"

أ. مرام رشدي أبو مخ
MRAM RUSHDI ABU MOKH

طالبة دكتوراة في قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين
MRAM.ABUM@GMAIL.COM

الملخص

في مطلع القرن التاسع عشر اشتد تنافس الدول الأوروبية على توسيع نفوذها في فلسطين، وتضاعف هذا التنافس مع نشوء ما عرف بالمسألة الشرقية، التي سعت فيها الدول الأوروبية لتقسيم أملاك الدولة العثمانية اثر ضعفها السياسي والعسكري، وكان لبريطانيا مطامع في المنطقة وعلى رأسها توطين اليهود في فلسطين، حتى بدأ مشروع استيطانها من خلال التغلغل في فلسطين وبسط نفوذها عبر المشاريع الاستيطانية وتنفيذها وتأثيرها في البنى الاجتماعية، وذلك في أواخر الحكم العثماني، حيث سعت بريطانيا الى تفكيك بنية المجتمع الفلسطيني الذي كان يخضع لسلطة الدولة العثمانية، والمقسم إدارياً الى ثلاثة سناجق*[1]: القدس، نابلس، عكا، وذلك من خلال توغلها فيه لينسجم مع مصالحها وأطماعها في فرض نموذج رأسمالي واجتماعي جديد يمكن من خلاله تفكيك بنية المجتمع الأصلية، تمهيداً لبسط نفوذها وهيمنتها السياسية والاقتصادية والإدارية...

كلمات مفتاحيّة: تغلغل، نفوذ، بُنية المجتمع الفلسطيني.

Summary

At the beginning of the nineteenth century, European countries' competition to expand their influence in Palestine intensified, and this competition doubled with the emergence of what was known as the Eastern Question, in which European countries sought to divide the properties of the Ottoman Empire due to its political and military weakness. Britain had ambitions in the region, most notably the settlement of Jews in Palestine. Until its settlement project began by penetrating into Palestine and extending its influence through settlement projects, their implementation, and their impact on social structures, in the late Ottoman rule, when Britain sought to dismantle the structure of Palestinian society, which was subject to the authority of the Ottoman state, and which was administratively divided into three sanjaks*: Jerusalem , Nablus, Akka, through its incursion into it to be consistent with its interests and ambitions in imposing a new capitalist and social model through which the original structure of society could be dismantled, in preparation for extending its influence and political, economic and administrative dominance

Keywords: penetration, infrastructure, structure of Palestinian society.

*سنجقية: لفظ تركي يعني لواء، او علم، او راية، وفي العهد العثماني أصبح له مدلول اداري يدل على منطقة بعينها باعتبار حكام المناطق يتخذون أعلاماً أو رايات تميزهم عن بعضهم. زين العابدين، شمس الدين نجم. **معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية**، ط1، القاهرة، 2006م، ص328.

مقدمة

شهدت فلسطين إبّان الحكم العثماني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني تحولات كبيرة من حيث الأوضاع الاجتماعية التي ساد فيها الأمن وتحسنت الأحوال المعيشية من تنقلات ومواصلات وخدمات البريد وغيرها من البنية التحتية، إضافة الى التحول الكبير في الجانب الاقتصادي المتمثل في القطاع الزراعي، إذا كانت الحمضيات أبرز الموارد بعد القمح من حيث التصدير من فلسطين الى دول العالم، ومثل ذلك القطاع الصناعي، وغيرها من الموارد الطبيعية، مما يعني أن المستوى المعيشي في المجتمع الفلسطيني في تلك الفترة من الحكم العثماني لفلسطين كان زاخراً منتعشاً وحيوياً.

والحديث عن انتعاش الجانب المعيشي في المجتمع الفلسطيني وتطوره يبين مدى انعكاسه على تحسن الخدمات الصحية والتعليمية ومؤثراً في الأوضاع الاجتماعية بصورة إيجابية تتمثل بارتفاع عدد السكان كما هو الحال في مدن يافا وحيفا ونابلس، مما جعل فلسطين محل أطماع الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا، مستغلة الامتيازات العثمانية التي بدأت بضخ البضائع الأوروبية وزيادة الحركة التجارية في البلاد الشّامية، اضافة الى افتتاح القنصليات وإرسال القناصل الذين من خلالهم قوي التغلغل الديني والاقتصادي خاصّة، وهنا برزت بريطانيا كأكبر مستفيد من هذه الأحوال في تلك الفترة انطلاقاً من البعثات الاستكشافية، والحماية الثقافية والدينية للأقليات كأحد أساليب التغلغل البريطاني لبسط نفوذه وتحقيق أهدافه، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتجيب عن السؤال:

كيف أثر تغلغل النفوذ البريطاني لفلسطين بين العام 1840- 1914[2]، على الحياة الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني؟

وتفرع عن مشكلة الدراسة مجموعة من التساؤلات الفرعية، أبرزها:

1. ما هي الخصائص التي تميز بها المجتمع الفلسطيني قبل التغلغل البريطاني لفلسطين؟
2. هل تأثر المجتمع الفلسطيني بالنفوذ البريطاني من حيث الأصالة الاجتماعية والثقافية على الأقل؟
3. هل أسهمت التصدعات والصراعات المحلية في المجتمع الفلسطيني إبان الحكم العثماني تسهيل التغلغل البريطاني لفلسطين وتأثيره في المجتمع؟
4. ما دور الامتيازات العثمانية في تغلغل النفوذ البريطاني الى المجتمع الفلسطيني والتأثير به؟

هذا وتنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع المطروح والذي لا يزال المجتمع الفلسطيني يعاني تبعات وويلات النفوذ البريطاني وتغلغله في فلسطين والذي مهّد بعد ذلك للاحتلال البريطاني الذي مّكن اليهود من الأراضي الفلسطينية عبر قنصليته في القدس، كما وتكمن أهمية الموضوع في الارهاصات التي سبقت الانتداب البريطاني وذلك من خلال التغلغل في المجتمع الفلسطيني في أواخر الحكم العثماني، والتأثير في الجوانب الاجتماعية والتدخل في شؤون الحياة العامة، وانعكاس النفوذ البريطاني على الجوانب السياسية، والاقتصادية، والدينية، والثقافية...، واثرها في حركة المجتمع الفلسطيني في تلك الحقبة.

اتبعت الباحثة المنهج التّاريخي الوصفي التّحليلي اعتماداً على المراجع التّاريخية لجمع المعلومات، والتي تصف موضوع البحث وصفاً دقيقاً، ثم التحليل بربط المعلومات وبيان الصلة بين النفوذ البريطاني لفلسطين وأثار هذا التغلغل على المجتمع الفلسطيني في السنوات 1840-1918، في الواقع الفلسطيني، ثم اتباع المنهج العلمي في توثيق المعلومة من مظانّها.

الفصل الأول: أحوال المجتمع الفلسطيني في أواخر العهد العثماني

المحور الأوّل: التّركيب الاجتماعي لسكان فلسطين

الحديث عن المجتمع الفلسطيني في أواخر العهد العثماني يدفعنا الى الحديث عن تقسيم المجتمع الفلسطيني الى مدن وأرياف، وتناول العدد السكاني وتقسيم الناس بين المدن والحضر والفرق بينهما من جميع المناحي الاجتماعية.

1. الفلسطينيون: وهم على ثلاثة أقسام:

[2] في هذا البحث أناقش أثر النفوذ البريطاني وتغلغله في فلسطين في الفترة المحصورة ما بين 1840-1918 وهي فترة الواقعة ما بين أواخر الحكم العثماني وقبيل الانتداب البريطاني، وكيف كان لهذا التغلغل من نفوذ واثار اجتماعية؛ سياسية واقتصادية، وثقافية ودينية...في المجتمع الفلسطيني.

الفلاحون: وهم تلك الفئة من الناس التي كرست عملها في زراعة الأراضي، حيث بلغ مجموع الأراضي المزروعة عام 1895م 2,200,000 دونم، موزعة على أربع مناطق هي القدس، يافا، غزة، والخليل، وبلغت الأراضي المزروعة في كل من يافا وغزة 900,000 دونم، بينما بلغت المساحة المزروعة في منطقتي غزة والخليل 200,000 دونم في كل منهما (العامري، 1974م، ص14).

ويشير تقرير عثماني الى انه في عام 1909م كان في مناطق القدس، ونابلس وعكا 16,910 عائلة تعمل بالزراعة، تملك 785,000 دونم، أي بمعدل 46 دونما للعائلة الواحدة، وكانت 67% من عائلات منطقة القدس، و63% من عائلات منطقة نابلس تملك أقل من 50 دونما للعائلة (العامري، 1974م، ص95).

كانت أملاك الفلاحين من الأراضي متفرقة في جميع أنحاء القرية، وكان مختار القرية على معرفة بتلك الممتلكات، كما أن نظام الميراث كان يفتت الأرض الى أقسام صغيرة مما كان يقلل من قيمة الملكية، كما كانت معظم أراضي القرى في فلسطين مشاعاً، مشتركة بين المزارعين وأهل القرية ، أو مشتركاً بين أهالي القرية أو أفراد عشيرة من عشائرها، توزع كل بداية سنة على أهالي القرية أو العشيرة أو القرى المجاورة بالأسهم والقراريط بمعرفة مختار القرى ووجهائها، وبالنسبة للنساء الفلاحات فإنهن يتجولن بحرية ووجوههن سافرة، وكان تعدادهن هو الأكثر بين السكان الفلسطينيين في تلك الفترة (اضهير، مجلد21، عدد9، 2020م/ روجر، 2016، ج1، ص585).

هناك أنواع أخرى لملكية الأراضي لاستعمالها وفلاحتها في فلسطين والتي نص عليها قانون الأراضي العثماني لعام 1858م كحق التملك الخاص وهذا مقصور على الأراضي المبنية والحدائق والبساتين في المدن والبلدات، الميري*[3]، المحلول، الموات، الأراضي والممتلكات العامة واراضي الدولة (روجر، 2016م، ج1، ص586 / أكرم مسعود وأخرون،2013م، ع14، ج13، ص120)

البدو: أي الذين يربون الأغنام، ومع انه ينظر للبدو بأنهم رحالة عادة، الا ان بدو فلسطين لم يكنوا في حركة مستمرة، فترحالهم يتركز على البحث عن المراعي، وقد يرحلوا لظروف طارئة، وقد عاشت القبائل البدوية في فلسطين لفترات طويلة في نفس الإقليم فترة العهد العثماني، وقدر عددهم عام 1922م ب 103331 بدوياً ينتمون الى خمس قبائل رئيسية، وأما من الناحية الاجتماعية فقد حافظ البدو على تقاليدهم وسماتهم الاجتماعية للحياة القبلية، فانتظموا في عشائر يرأسها شيخ العشيرة، وكل عضو في القبيلة يعتبر نفسه مسؤولا عن أخيه فيما يتعلق بأمور الشرف وال اخذ بالثأر (اضهير، 2022، مجلد21، ع9، ص4).

العمال والحرفيون: عند الحديث عن العمال لا نتكلم في العهد العثماني لا نتحدث عن طبقة عمالية ذات خصائص وامتيازات وأوضاع اجتماعية خاصة مستقلة، انما الحديث عن العمل في الجانب الصناعي هو جزء من العمل الزراعي أيضا ، تقوم فيه العلاقة بين العمال ورب العمل على أساس عائلي، والغاية من هذه الصناعات والمزروعات بالدرجة الأولى سد الاحتياجات العائلة أو القرية باستثناء صناعة الصابون فقد كانت تصدر الى البلدان العربية المجاورة، كما تميزت الحرف الصناعية في المجتمع الفلسطيني قبل الانتداب البريطاني على فلسطين بأنها كانت بدائية مقارنة مع القطاع الزراعي (اضهير، مجلد 21، ع9، 2020، ص4-6)

2- اليهود:

يقسم اليهود الى قسمين: قسم هم رعايا الدولة العثمانية والذين لك يكن يسمح لدولة أجنبية أن تتدخل في شؤونهم، والثاني هم غير المتمتعين بالمواطنة العثمانية وامتدت اليهم الحماية البريطانية فيما بعد عبر نفوذها وذلك من خلال نقل فكرة الصهيونية من النطاق النظري الى النطاق العملي لتوطين اليهود في فلسطين بعد تزعم هرتزل الحركة الصهيونية وعقد مؤتمر بازل (1897م)، الذي توجه بعد عدة محاولات للحصول على موطن لهم في فلسطين، الى بريطانيا لتحقيق الهدف، ومنذ ذلك الحين تحول اليهود الى عملاء سريين في أوروبا لصالح المشروع الصهيوني، حرصين في خطواتهم على عدم إثارة أي جدل يمكن ان يثير مخاوف السلطات العثمانية آنذاك التي كانت فلسطين ولاية تابعة لها، ومن هنا يمكن معرفة دور بريطانيا والحاحها لتأسيس قنصلية لها في القدس، ثم تأسيس اسقفية انجيكانية في القدس، وذلك بإجراء مفاوضات مع محمد علي والسلطان العثماني موضحة سبب ذلك ان القدس من الأماكن المقدسة التي تستقبل الزوار البريطانيين، كما ان حاجة الطائفة البروتستانتية الى الدعم والحماية دفع بريطانيا الى تدعيم نفوذها باستخدام هذا الاسلوب (الوعري، 2007م، ص100).

المحور الثّاني: التّكوين الزّراعي والصّناعات الحرفيّة والتّجاريّة

[3] **الميري**: حق ملكية هذا النوع من الأراضي محصور بالدولة ولكن الأفراد لهم حق الوراثة والتصرف، وحق استثمار هذه الأراضي مشروط بدفع الضرائب في أوقاتها المحددة، وكذلك رفع رسوم تسجيل لسند التملك (الطابو).

أولاً: الجانب الزراعيّ

الحديث عن التطور الزراعي في فلسطين من الركاز المهمة في الدلالة على الجانب الاجتماعي للمجتمع، فقد شهد المجتمع الفلسطيني في أواخر العهد العثماني تطورات اقتصادية واجتماعية بسبب ما اتخذته السلطات العثمانية من إجراءات اقتصادية طالت مختلف جوانب الحياة، وأبرزها التنظيمات التي طالت الأراضي من تسجيل وتنظيم وضرائب، فقد أدى امتناع بعض متوسطي الملاك وصغارهم إضافة الى قبائل البدو من تسجيل أراضيهم بأسمائهم الى استيلاء الحكومة العثمانية على تلك الأراضي وبيعها في فلسطين، وكانت هذه الأسر تملك في أواخر العهد العثماني قرى بأكملها، مثل عائلة عبد الهادي كانت تملك 17 قرية، والجيوسي 24 قرية، والبرغوثي 39 قرية. وقدرت أملاك عائلة عبد الهادي في نابلس وجنين بنحو 600000 دونم، وعائلة الحسيني بنحو 500,000 ودنم (شبيب، 1999م، ص21).

لقد ساعدت قوانين الأراضي العثمانية في تشكيل الملكيات العقارية الكبيرة في فلسطين وساهمت في تركيز الأراضي في أيدي عدد قليل من مالكي الأرض، مما أدى بعد ذلك الى ظهور طبقة جديدة وهي طبقة مالكي سندات طابو، من تجار وشيوخ عشائر ووجهاء المدن، لذلك أنقسم المجتمع الزراعي التقليدي في فلسطين في أواخر العهد العثماني الى الشرائح الاجتماعية التالية: مستأجرو الأراضي الكبار، والمقاولون الذين يتصرفون في الأرض كمستأجري أرض الدولة، الفلاحون المزارعون، الفلاحون المعدومون من الأرض(حراثون) (شبيب، 1999م، ص22-23).

كان معظم سكان فلسطين يعملون في الزراعة والبستنة وتربية الدواجن والمواشي، وكان ذلك كله يتوقف على كمية الامطار المتساقطة وعلى توفر المياه، وكانت معظم المحاصيل في الشتوية من أبرزها القمح والشعير وأما الصيفية فكان من أشهرها الذرة البيضاء والسمسم والفاصولياء والكرسنة والقطن والبطيخ، وكان الفلاحون يزرعون الخضروات والفواكه في البساتين المجاورة للمدن والبلدات والقرى، إضافة الى اللوز والزيتون الذي يعتبر الغلة الرئيسية (روجر، 2016م، ج1/ ص584).

ويمكن القول ان التوسع الزراعي في فلسطين خلال الفترة 1880-1914 وزيادة رقعة الأراضي المزروعة نتيجة اندفاع الفلاحين الى المناطق في السهول الشمالية واقبال البدو والفلاحين القاطنين في التلال على العمل فيها وحراثتها، من جهة أخرى قامت زراعة الأراضي على امتداد الساحل وفي الجليل الأدنى عن طريق استخدام الايدي العاملة الفلسطينية والمصرية وقبائل الغوارنه حول بحيرة الحولة في الشمال، بالزيتون والحمضيات والعنب والخضار حتى ارتفعت الصادرات. (روجر، 2016، ج1/ ص575).

ثانياً: الصّناعات الحرفيّة والتّجارة

معظم القرى الفلسطينية كانت تنتج الملابس وأدوات الطبخ والسجاد والطوب ومواد أخرى كاكتفاء ذاتي، فظهر أصحاب الصناعات الحرفية والمصانع والمشاغل في البلدات والمدن كالخليل مثلا التي اشتهرت بإنتاج الزجاج والمنتوجات الصوفية والجبنة، بينما اشتهرت القدس وبيت لحم في انتاج العلب التذكارية والمسابح التي كانت تباع للحجاج المسيحين، في حين اشتهت غزة بالفخاريات، كذلك اشتهرت نابلس ويافا وغزة بإنتاج الصابون المصنوع من زيت الزيتون والمنسوجات القطنية (روجر، 2016م، ج1/ ص575).

مما تقدم نلحظ نشاط الجانب الصناعي في تصدير المنتوجات شأنه شأن المنتجات الزراعية على المستوى الداخلي والدولي، وكانت تفرض على معظم الصادرات والواردات القادمة الى موانئ فلسطين أو الى الأسواق المحلية، حيث بلغت نسبة الصادرات والواردات الى بلدان خارج الإمبراطورية العثمانية 3%، بينما السلع القادمة الى داخل الإمبراطورية العثمانية تصل الى 8%، وهذه دلالات واضحة على قوة ونشاط وتطور الإنتاج المحلي في المجتمع الفلسطيني (روجر، 2016م، ج1/ ص555، اضهير، 2020، مجلد21، ع9، ص2) .

كما شهد المجتمع الفلسطيني نشاط في التجارة البحرية من خلال ميناء عكا ويافا، وبعضها كان يرسو في غزة، وفي حيفا التي أعاد احمد باشا الجزار إسكانها في أواخر القرن الثامن عشر (روجر، 2016م، ج1/ ص556)، واستمرت حيفا في التطور حتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وكان بها مرسى مناسب للبواخر، وأصبحت الميناء الرئيسي لشمال فلسطين وحوران، وفي عام 1905 جعلتها الحكومة العثمانية واحدة من المحطات المركزية لخط سكة حديد الحجاز.(yazbakK. 1997.b241)

المحور الثّالث: التّعليم في المجتمع الفلسطيني

يمكن وصف التّعليم في العهد العثماني انه يكاد يكون دينياً، حيث المعاهد الدينية يتعلم فيها الصغار والكبار، وكان بعضها ملحق بالمساجد، وبعضها مستقلاً، كان أسلوب التعليم قديما يعتمد على العلوم النقلية فقط حتى بدأ الاحتكاك بالدول الأوربية في منتصف القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر، حيث تفتحت انظار المفكرين الى ضرورة مواكبة حضارة العصر، كما ان الهزائم العسكرية التي منيت بها الدولة العثمانية امام الجيوش الأوروبية جعلتها تفكر في أسباب هذه الهزائم وارجعته الى اختلاف نظمها وتغير وسائلها عما في الدول الأوربية مما حدا بهم لاقتباس نظم ووسائل تسهم في تعلم الفنون العسكرية، كعلوم الرياضة والطبيعة والتاريخ والجغرافية فأنشأت المدرسة العسكرية فالرشيدية، ويظهر لنا مما تقدم ان المعاهد التعليمية القائمة في الدول العربية ومنها فلسطين في أواخر الدولة العثمانية كانت غاية في التنوع والاختلاف، مدارس تعلم باللغة التركية ولا تبالي باللغة العربية، ومدارس طائفية ومذهبية تعلم العربية وتتأثر بالمدارس الأجنبية التي تشاكلها في الدين والمذهب.، ومن المدارس التي أنشئت عام 1851م مدرسة صهيون الداخلية للصبيان في القدس مدارس ثلاثة لجمعية المرسلين الكنسية ، ومدارس نابلس الثلاثة وجميعها كانت للمسلمين اشهرها الرشيدية، وكذلك مدرسة في عكا ، ومدارس حيفا التي بلغت العشرون، إضافة الى المدارس في صفد (الماضي، 1998م، ص42-43).

المحور الرّابع: المكانة الاجتماعية وأنماط الزواج

كانت المكانة الاجتماعية المرموقة في المجتمع الفلسطيني ذات أهمية وجوهرية في نفس الوقت، كرأس المال المادي والثقافي عنصراً مهما في توشيج العلاقات بين أفراد المجتمع، وكان التجار يحرصون على تنمية رأس المال من خلال الحرص على تنمية المكانة الدينية، سواء من خلال الثقافة، ام مصاهرة عائلة علماء دين معروفة، أم الخدمة في المسجد، او التصدق على المؤسسات الدينية، والانخراط في بعض الطرق الصوفية، مما يعني أن العلاقة بين الدين والتجارة كانت عميقة التي وطدت سلوك الأشخاص بعضهم ببعض التي بنيت على الاحترام والأمانة والتقوى والموثوقية، وعائلة ال عرفات المشهورة في تجارة الاقمشة نموذجاً لذلك، تجاراً وعلماء دين (دوماني، 1998م، ص75).

أما الزواج والمصاهرات كان النمط السائد فيها في تلك الحقبة من القرن الثامن عشر مقتصر داخل العائلة، وهذا مما يحمي ممتلكات العائلة وثروتها من التفتت، وامتد الى القرن التاسع عشر كما يظهر في وثائق المحكمة الشرعية، وهناك عدد من العائلات التي خرجت عن هذا النسق الاجتماعي وتزوجوا من خارج العائلة لكن هذا الاتجاه كان أضعف من الأول (دوماني، 1998م، ص86).

الفصل الثّاني: الأثار السّياسية والاقتصادية للتغلغل البريطاني في فلسطين أواخر العهد العثماني

المحور الأوّل: السّياق التاريخي للتغلغل البريطاني في فلسطين في أواخر العهد العثماني

ظهر أثر النفوذ والتغلغل الغربي وتعاظم حضوره في فلسطين لا سيما النفوذ البريطاني وذلك عشية إبرام تركيا العثمانية اتفاقيات مع القوى الأوروبية العظمى كاتفاقيات تجارية في القرن السادس عشر والتي تحولت لاحقا إلى الاستسلام للنفوذ الغربي عامة وبريطانيا خاصة الذي مكن هذه الدول من التغلغل والتسلل تدريجيّاً الى الإمبراطورية العثمانية إلى فلسطين، وكان من الاثار التي تركتها هذه الأحداث على المجتمع الفلسطيني بانكشافه البطيء على أنماط الحياة والأفكار الغربية والنفوذ البريطاني والأوروبي واضحة المعالم، فاتجه الفلسطينيون الأكثر ثراء في تلك الحقبة الى محاكاة الغرب والأخذ بالابتكارات الغربية المستوردة في حياتهم. (ماري روجرز، 2017م، رحلتها بين 1855-1859م، ص4)

تلك الامتيازات التي حصلت عليها الدول الأوروبية من الإمبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن والتاسع عشر ومما سببه من تقاطعات وتداخلات بين الدول الأوروبية أدت الى زيادة حدة التنافس والصراع الاستعماري والتغلغل لتقسيم الممتلكات العثمانية التي أخذت قوتها تتراجع وتضمحل بسبب الضربات العسكرية التي احلتها أوروبا بها واضطرارها الى توقيع اتفاقيات ومعاهدات مذلّة مع بعض هذه الدول.

لذلك كان أول تغلغل للنفوذ البريطاني في فلسطين من خلال قنصلها في القدس ابتداء من العام 1839م، وذلك بإرسال السيد وليم يونج نائب قنصل في مدينة القدس، والذي بدأ يلعب دورا مهما وخطيراً في مساعدة اليهود وحمايتهم وتسهيل دخولهم الى

فلسطين بجوازات بريطانية باعتبارهم رعايا بريطانيين، إضافة الى إقامة أسقفية انجيلية في لقدس عام 1847م، ومن هنا بدأ التغلغل البريطاني في بسط نفوذه بين عام 1840- 1918م، وذلك من خلال التدخل في الحياة اليومية والمعيشية للمجتمع الفلسطيني (الوعري، 2007م، ص17)، وهذا الفصل يتناول أثر هذا التغلغل البريطاني في المجتمع الفلسطيني وبسط نفوذه تأثيره على حركة المجتمع الفلسطيني من جوانب عدة.

المحور الثّاني: المؤثر السياسيّ

تعتبر فلسطين وجهة بريطانيا المنشودة فكان لا بد من إيجاد عوامل مهمة ومؤثرة تتغلغل من خلالها الى المجتمع الفلسطيني وتبسط نفوذها، وكان من هذه العوامل هو التّصريح السياسي الذي جاء به وزير خارجية بريطانيا أو ما يسمى "وعد بلفور" والذي تضمن الوعد بإنشاء وطن قومي لليهود ثم المحافظة على حقوق أهل البلاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهذه الالتزامات مختلفة في مضمونها، لأن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وتسهيل الهجرة أمامهم وانتقال الأراضي اليهم من شأنه أن يلحق ضرراً كبيراً بأهل البلاد الفلسطينيين العرب الأصليين، وهذا الذي سعى له الاحتلال البريطاني قبيل الانتداب من خلال التغلغل في المجتمع الفلسطيني باسم حمية الأقليات الدينية ومنها اليهود (منسي، 1970م، 102-105)

هذا التغلغل البريطاني الى المجتمع الفلسطيني تحول من مجرد تصريحات ووعود الى تطبيق عملي من خلال عقد مؤتمر الحركة الصهيونية بقيادة تيودور هرتزل (Theodore Herzl) في بازل عام 1897م، الذي سعى فيه الى البحث عن متعهد من احدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي لليهود، الا ان جميع محاولاتهم بائت بالفشل، بينما المفاوضات بين بلفور والصهيونية قائمة على صياغة قيام دولة يهودية في فلسطين حتى صدور التصريح عام 1917، وقبل هذا التاريخ كانت السياسة البريطانية تمهد لذلك منتهزة الامتيازات العثمانية كما تقدم في هذا البحث لتهجير اليهود الى فلسطين بجوازات بريطانية، وبعضها كان بصورة غير شرعية (تهريب) وذلك باجتناب مراكز المراقبة على الحدود، أو بهجرة شرعية لكن المسافر يبقى في البلاد بعد انتهاء اقامته ويثبتها عن طريق الزواج من اليهود المقيمين هناك (الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الأول، 1984م، ص491).

هذه القرارات والاتفاقيات كان لها دور كبير في تفكيك بنية المجتمع الفلسطيني ديموغرافياً وسياسياً واجتماعياً، وذلك بسبب القرارات الظالمة المجحفة بحق العرب وذات الشروط القاسية على تركيا بتقسيم ممتلكاتها في الوطن العربي بين دول التحالف الأوروبي ومنها بريطانيا تمهيدا لانتدابها في فلسطين فيما بعد، حيث شرعت بريطانيا قبيل الحرب العالمية الأولى 1905 في مساعدة اليهود للهجرة وتهويد فلسطين فيما بعد في مختلف المجالات الإدارية والثّقافية والاقتصادية والسكانية من خلال القنصلية البريطانية في القدس التي افتتحتها بريطانيا في الفترة العثمانية عام 1838م (اضهير، 2020م، ص8).

كان للقنصلية البريطانية في القدس برعاية القنصل "فن" عام 1846 دور في رعاية اليهود المتنصرين وغير المتنصرين ومن هنا كانت سياسة القنصلية تكريس الوجود اليهودي في القدس وفلسطين (شوليش، ص63 / الوعري، 2007م، ص139).

المحور الثّالث: المؤثر الاقتصادي

سبق الحديث في الفصل السابق عن تطور الاقتصاد في المجتمع الفلسطيني والثروات الزراعية والحيوانية إضافة الى التّجارة والحرف الصناعية في أواخر العهد العثماني، والتي بلغت ذروتها حين أصبحت تصدر هذه الثروات الى خارج البلد، كما تستورد بضائع وسلع من هذه الدول شأنها شأن باقي الألوية والبلاد العثمانية حينئذ مما جعل من هذه القوة الاقتصادية محل نظر واطماع الدول الأوروبية وعلى راسها بريطانيا.

لكن الحال لم يبق كما هو فتبدلت الأحوال بعد تغلغل الاستيطان البريطاني على فلسطين أواخر العهد العثماني، ونشطت الصناعة نشاطاً ملحوظاً، وتركزت بأيدي عدد قليل من أصحاب رؤوس الأموال لأنها اتجهت نحو الاحتكار وتركيز الثروة، وقد أصبحت فلسطين مركزاً لتوظيف الأموال الأجنبية (الماضي، ص22-23).

كان نصيب العرب من هذه الصناعات قليلاً حيث كانت تتجه السياسة البريطانية الى دعم الصناعات اليهودية عن طريق تهيئة الظروف الصعبة امام الصناعات العربية، حيث كانت التجارة في ذلك الوقت مقيدة بسلاسل الامتيازات الأجنبية ومغلولة بأغلال المذاهب الدينية التي كانت مدعاة للنفوذ الأجنبي عموما والبريطاني خصوصاً للتدخل في شؤون الدولة العثمانية، وكان أصحاب المذاهب الدينية يتمتعون بامتيازات كثيرة ويعفون من دفع الضرائب في حين أن المتوطن العثماني تقع على كاهله ميزانية الدولة العثمانية كلها، ويصور عالم الآثار لورتيت مشهداً بنفسه عام 1880م كيف ان احد المشرفين على أملاك ال سرسق قرب

الناصرة يهدم بمساعدة الجند بيت أحد الفلاحين لأنه لم يستطع دفع الديون الى صاحب الأرض والقيت اسرته بالعراء، وبسبب هذا الوضع من الفقر الزائد إضافة الى اضطهاد الفلاحين أدى الى العجز عن السيطرة على اقتصاد البلاد بشكل عام وفلسطين بشكل خاص لكثرة المذاهب الدينية والنفوذ الأجنبية المركزة فيها لموقعها الجغرافي الاستراتيجي والديني الذي أفادها طمعاً من دول الاستعمار وبسط نفوذها من خلال تغلغلها في المجتمع الفلسطيني والهيمنة على مقدراته فيما بعد (الماضي، 22-23).

الفصل الثالث: الأثار الاجتماعيّة للتغلغل البريطاني في فلسطين في أواخر العهد العثماني

المحور الأوّل: المؤثر التّعليمي

التعليم ركيزة من أهم الركائز الذي يبني عليها كل مجتمع تطوره وحضارته، والتعليم في فلسطين في فترة السلطنة العثمانية وقبل التغلغل البريطاني مقتصر على الكتاتيب حتى عام1914م، لذلك لم يزد عدد مدارس فلسطين عن 95 مدرسة ما بين ابتدائية ورشيدية، وعندما فكرت السلطة العثمانية في أواخر عهدها بتريك التعليم والثقافة في الأقاليم العربية والذي أدى في دفع المزيد من سكان المدن الراغبين في تعليم أبنائهم وخصوصا المسيحين منهم الذين توجهوا الى الارساليات الأجنبية التي قام المبشرون الغربيون بإنشائها في التجمعات المسيحية الفلسطينية، فكانت هذه الارساليات التبشيرية على اختلاف مذاهبها وسيلة للتغلغل البريطاني لبسط نفوذه وسيطرته على الدولة العثمانية، فان التغلغل الديني والثقافي للمسيحيين الأرثوذوكس كانت الأداة لبسط النفوذ والتأثير على البنية الثقافية والتعليمية في المجتمع الفلسطيني، وتمثل ذلك بافتتاح عدد من المدارس الانجيلية في القدس وبيت لحم والناصرة، ومنها أيضا انشاء المدارس الفرنسية التي كانت تجتذب لها أولاد المسلمين ايضاً، الامر الذي ترك اثاراً واضحة على مسار التعليم والثقافة في المجتمع الفلسطيني، ومن ذلك نشر اللغة الأجنبية في البلاد وبسط نفوذها على الجماعات (شبيب، 1988م، ص40).

المحور الثّاني: المؤثر الدّيني

يعتبر الجانب الدّيني من أبرز الدوافع لتغلغل البريطانيين في فلسطين " الأرض المقدسة " حيث انتشرت دعوة بصورة مكشوفة وبصوت عالٍ الى "الحملة الصليبية السلميّة أو الامتلاك الفعلي للأرض المقدسة"، وباتت الموانئ الفلسطينية تعج بالحجاج والمسافرين الى البلاد ففي أيام الأعياد كانت أزقة القدس تعج بالحجاج ليكون عددهم أكبر من عدد السكان الأصليين (شولش، 2009م، ص115)، كان لفلسطين خصوصية لدى المستعمرين البريطانيين المتدينين، لما فيها من تحقيق كمالهم الإيماني، ولهذا شجعت وبقوة النشاطات التبشيرية والخيريّة والثقافية.

جعلت بريطانيا من نفسها حاميا للأقليات الدينية المسيحية في فلسطين وباتت تطالب بحقوقهم الدينية والتثقيفية، ليكون لها ما أرادت في عام 1831 وهي السنة التي حلّ فيها أول قنصل أوروبي في القدس ألا وهو القنصل البريطاني (الوعري، 2007م، ص99-100)، ولا سيّما أن محمد علي باشا سهّل للأوروبيين التغلغل السياسي والديني والثقافي بأن سمح لهم بفتح قنصليات في داخل بلادهم وبتوسيع النشاطات الدينية والتبشيرية والاعتراف بمؤسساتها، فقد شهدت القدس (1840) دخول المزيد من القناصل الأوروبيين وكبار رجال الدين وزاد اهتمامهم " بالأرض المقدسة"، حيث كان لها نفوذ في حماية الأقليات تغير الإسلامية في الدولة العثمانية (شولش، ص1993م، ص81-85).

تعد البعثات الاستكشافية والتنصيرية، أحد الأساليب التي لجأت إليها الدول الاستعمارية للسيطرة على الوطن العربي عامة، لاسيما فلسطين، وإن استعراض ممارسات تلك البعثات تبدو في الظاهر علمية محضة، ولكن جوهر مهمتها تمثل في وضع أرضية تاريخية مزعومة لتحويل فلسطين من وطن الفلسطينيين إلى أرض التوراة، ومن اهم تلك المؤسسات صندوق استكشاف فلسطين الذي أسسته بريطانيا عام ،1865م وضم مجموعة من الاكاديميين البريطانيين المتميزين ورجال الدين، الذين أعربوا عن دعمهم وتعاطفهم مع طروحات الصهيونيين المسيحيين وأما الهدف من أنشاء ذلك الصندوق، فهو العمل على تحقيق وصف لفلسطين، والبحث الدقيق المنظم في الآثار والطوبوغرافيا والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية والتاريخ الطبيعي وعادات وتقاليد فلسطين لغاية التوضيح التوراتي (الصائغ، ع5، 2012م).

اقامت هذه البعثات التبشيرية مراكز ثقافية ومدارس تعليمية وتنصيرية وكنائس وابرشيات في أماكن عديدة من فلسطين، بالإضافة إلى ترسيخ الرؤية المركزية التي سادت في الأوساط الأوروبية بشأن فلسطين التي صورتها بلداً مهملاً، وانها خالية من السكان، تسكنها أقليات متأخرة، ومهجورة وخربة تنتظر إحياءها، والعمل على تحويلها إلى أرض التوراة، كما قامت بتوجيه انظار

اليهود إلى فلسطين عن طريق تزويدهم بالمعلومات الجغرافية والتاريخية والسياسية التي كانوا يحتاجونها، فلولا تلك المعلومات لبقيت فلسطين أرضاً مجهولة بالنسبة للكثيرين من اليهود، ومثل ذلك لبنة أولى لفكرة طرد الفلسطينيين، لهذا أخذت بريطانيا على عاتقها حماية اليهود وطالبت بتوطينهم في فلسطين، وإنشاء كيان لهم فيها.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه منذ بداية التنافس الاستعماري على فلسطين، امتزجت الحماية الدينية والثقافية للأقليات، ونشاطات البعثات التنصيرية، ودور القنصليات الأجنبية، بالادعاءات والمطالب السياسية الخاصة بتوطين اليهود في فلسطين، وقد زعمت بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية أن فلسطين هي (الوطن الحقيقي لليهود الذي أعطاه الله لهم). (جبر، وعلاوي، 2005م)

المحور الثّالث: أنماط لباس النّساء والرّجال

كان لباس المرأة في أواخر العهد العثماني يتألف من الفستان والجلباب الذي يغطي جسم المرأة حتى أخمص قدميها، وكانت كبيرات السن من النساء يرتدين القطنية الفضفاضة داخل البيوت خاصة في فصل الصيف، ويختلف الحال عند النساء من ميسورات الحال اللواتي كن يرتدين المعاطف ذات الفراء في فصل الشتاء، كما حرصت النساء العربيات على لبس الحجاب على وجوههن.

تلك الصورة التي تصف لباس المرأة في المجتمع الفلسطيني تأثرت مع بداية النفوذ البريطاني وتغلغله في المجتمع الفلسطيني حتى صارت المتعلمات منهن يرتدين الزي الأوروبي، وترك قسم من النساء الحجاب وسرن سافرات، وبعضهن استبدله بغطاء رأس فقط (ياغي، عدد6، 2008م).

أما لباس الرجال تميزت كل منطقة من مناطق فلسطين بزيها الخاص، فالرجال يلبسون القنابيز، او الدّمايات والسراويل ويضعون على رؤوسهم طرابيش أو الشملة، والفقراء يلبسون التلاوية، وهي لفافة قماش عادي توضع على الراس.

للتغلغل البريطاني ونفوذه الى المجتمع الفلسطيني بدأ يظهر جلياً أثر ذلك من خلال غزو الملابس فتغيرت أشكالها وأنماطها المختلفة، فاستبدل الطربوش بالكوفية والعقال كما استبدلت الدماية والسروال بالجاكيت والبنطلون، وكان الموسرون يلبسون معطفاً مبطنًا بالفراء في الشتاء وعباءة من الحرير في الصيف، بينما العوام من سكان المدن العربية يلبسون المعطف البلدي والدماية القطنية أو الحريرية (ياغي، عدد6، 2008م).

الخاتمة

المؤثرات الاجتماعية التي سببها النفوذ البريطاني في تغلغله للمجتمع الفلسطيني أواخر العهد العثماني ظهر وتعاظم حضورها وأثرها بسبب الامتيازات العثمانية وإبرام الاتفاقيات التجارية التي تعتبر من أهم العوامل لبسط نفوذ بريطانيا في فلسطين، والتي تحولت لاحقا إلى الاستسلام للنفوذ الغربي عامة وبريطانيا خاصة، والذي مكنّ من التغلغل والتسلل تدريجيّاً الى الإمبراطورية العثمانية إلى فلسطين في أواخر حكمها، وكان من الاثار التي تركتها هذه الأحداث على المجتمع الفلسطيني انكشافه على أنماط الحياة والأفكار الغربية والنفوذ البريطاني واضحة المعالم، وذلك من خلال الارساليات الأجنبية التبشيرية الدينية والثقافية وافتتاح المدارس للمسيحيين الأرثوذوكس والتي اثرت على البنية التعليمية للمجتمع الفلسطيني ونشر اللغة الاجنبية في البلاد، كما أثر ذلك في الجانب الديمغرافي من خلال استجلاب اليهود وتوطينهم، وتحويل فلسطين الى أرض التوراة "الأرض المقدسة" من خلال الأنشطة السياسية عبر القنصلية البريطانية في القدس، في مقابل فكرة طرد الفلسطينيين والتضييق عليهم، وليس فحسب بل توسع النفوذ البريطاني ليصل التأثير في الحياة الأسرية وأنماط اللباس عند الرجال والنساء أيضاً، كما أن للتحول الاقتصادي المتمثل بالقطاع الزراعي والصناعي والحرفيات الحظّ الأكبر من التأثير في المجتمع الفلسطيني، وذلك من خلال دعم بريطانيا الصناعات اليهودية عن طريق تهيئة الظروف الصعبة امام الصناعات العربية وذلك بتقييد التجارة بسلاسل واغلال الامتيازات الأجنبية واغلال المذاهب الدينية بإعفائهم من الضرائب لترتكز الصناعات والتجارة بعد ذلك بأيدي عدد قليل من أصحاب رؤوس الأموال باحتكار وتركيز الثروة لتكون فلسطين مركزاً لتوظيف الأموال الأجنبية.

كل هذه التقاطعات والتداخلات والتّدخلات للنفوذ البريطاني كانت سبباً في تفكيك بنية المجتمع الفلسطيني ديموغرافياً وسياسياً واجتماعياً واقتصاديا وثقافياً وزراعيًا.. وما زال الشعب الفلسطيني يعاني تبعات وعواقب التغلغل البريطاني في أواخر العهد العثماني وبسط نفوذه الى يومنا هذا.

المصادر

1- اضهير، زيدان مصطفى. **أحوال فلسطين الاجتماعية قبل الانتداب البريطاني 1894-1922**م، مجلد 21، عدد9، 2020م .

2- أوين، روجر. **تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر (1800-1918)**، الموسوعة الفلسطينية، القسم الخاص، المجلد الأول، 2016م.

3- جبر، بيداء علاوي. **مشاريع الاستيطان البريطانية لتوطين اليهود في فلسطين (1831–1881) م**، جامعة بغداد: كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، 2005.

4- دوماني، بشارة، **إعادة اكتشاف فلسطين: أهالي جبل نابلس (1700-1900)**، ترجمة: حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1- بيروت1998م.

5- روجرز، **ماري اليزا، الحياة في بيوت فلسطين (1855-1859)**، ترجمة: جمال أبو غيدا، 2017م.

6- زين العابدين، شمس الدين نجم. **معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية**، ط1، القاهرة، 2006م.

7- شبيب، سميح. **الأصول الاقتصادية والاجتماعية للحركة السياسية في فلسطين 1920-1948**م، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية – القدس، 1999م.

8- الشول، أكرم مسعود. عايدة السيد إبراهيم سليمة، وسلوى إبراهيم محمد العطار. **"قوانين الأراضي ودورها في زيادة الملكية اليهودية خلال عهد الانتداب البريطاني.** "مجلة البحث العلمي في الآداب ع14، ج3 (2013).

9- شولش، الكزاندر. **تحولات جذرية في فلسطين 1836-1882**، ترجمة: كامل جميل العسلي، عمان: الأردن، ط2، 1993م.

10- شولش، الكساندر. وكامل جميل العسلي. **مقدمة تاريخية: الاهتمام الأوروبي بفلسطين فتح الأرض المقدسة**، المجلة الثقافية، ع 76، (2009).

11- الصائغ، بان غانم احمد. **سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية (1839-1914م) دراسة تاريخية**، جامعة الموصل، مجلة التربية والعلم - المجلد (19)، العدد (5)، لسنة 2012م.

12- العامري، عنان. **التطور الزراعي والصناعي في فلسطين**، دار الكتاب، بيروت 1974م.

13- الماضي، عيسى. **كيف ضاعت فلسطين دراسة للمؤثرات الاقتصادية والثقافية والسياسية في ضياع فلسطين**، مكتبة المعلا، الكويت، ط1، 1988م.

14- منسي، محمود حسن صالح. **تصريح بلفور مع قسم خاص عن فلسطين في تقرير بيل الأمريكية**، دار الفكر العربي، بيروت، 1970م.

15- الوعري، نائلة. **دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين 1840-1914**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.

16- ياغي، إسماعيل أحمد. **التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين إبان عهد الانتداب البريطاني**، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، عدد6، 1982م.

17- Mahmoud Yazbak, "Comparing Ottoman Municipalities in Palestine; TheCases of Nablus, Haifa, and Nazareth, 1864-1914, International Journal of Middle East Studies (1997).

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

المرأة والاحتجاجات الحضرية بالمغرب: مقاربة سوسيولوجية لمشاركة المرأة في حراك الحسيمة وجرادة

زكية حمضي1؛ ابراهيم حمداوي2

1 طالبة باحثة في سلك الدكتوراه، مختبر التراب والبيئة والتنمية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب

2 أستاذ باحث في علم الاجتماع، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب

الإيميل 1: zakia.hamdi@uit.ac.ma

الإيميل 2: brahim.hamdaoui@uit.ac.ma

Women and urban protest in Morocco: A sociological approach to women's participation in the Al Hoceïma and Jerada movements

Zakia Hamdi 1, Brahim Hamdaoui 2

1 PhD Student, TED Laboratory, Ibn Tofail University Kenitra, Morocco

2 Research Professor of Sociology, Ibn Tofail University Kenitra, Morocco

Email 1: zakia.hamdi@uit.ac.ma

Email 2: brahim.hamdaoui@uit.ac.ma

الملخص

تسعى هذه الورقة العلمية إلى تسليط الضوء على مشاركة المرأة في الحركات الاحتجاجية الحضرية في المجتمع المغربي، تحديدا في حراك الحسيمة وجرادة، وذلك بهدف فهم مدى تجاوز المرأة في نضالها من مطالب ذات طابع جندري إلى نضال عام مشترك بين الجنسين، حول المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة، وجعل مطلب التغيير هو بيت القصيد في هذه الحركات الاحتجاجية.

الكلمات المفتاحية: الحركة الاجتماعية، الحركة الاجتماعية الجديدة، النسوية، الفضاء العام.

Abstract:

This scientific paper seeks to shed light on women's participation in urban protest movements in Moroccan society, in order to explain and understand how the struggle for demands of a feminist nature went beyond a general, gender-common struggle over general political and economic demands, and to make the demand for change the poem house in these movements.

Key words: The social movement, the new social movement, feminism, the general space.

مقدمة

شهد المغرب في السنوات الأخيرة تعددا وتناميا ملحوظا لأشكال وصيغ الاحتجاج، تجلى ذلك في أكثر من مناسبة؛ وتمثلت في الحركات الاحتجاجية التي جاءت كرد فعل رافض لواقع التذمر والسخط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وبهذا أضحى الاحتجاج وسيلة للتعبير عن وجود اختلالات داخل المجتمع؛ تجلت في بروز الصراع بين المجتمع والدولة على مستوى الأهداف والمرامي، مما يؤكد أن الاحتجاج يطرح صعوبات عديدة، بالنظر لما يمارسه من ضغط على الدولة، ومن مساءلة لسياساتها العمومية. ومن جهة أخرى، يظهر كتعبير عن الضغط والاحتقان الموجود في المجتمع وعلى فئة معينة. كل هذه الصيغ التعبيرية تتجلى في وجود وعي جمعي للأفراد المشاركين في الفعل الاحتجاجي، باعتبارهم يمتلكون ما يلزم من التنظيم للتعبير عن مطالبهم المتعددة، وأيضا حل المشكلات التي تعترض وتمس بأوضاع عيشهم وآمالهم.

سنتطرق في هذه الورقة البحثية إلى إسهام المرأة في الحركات الاحتجاجية التي شهدتها المدن المغربية، ومدينتي جرادة والحسيمة على وجه الخصوص، علما أننا سنناقش كذلك مدى تجاوز هذه التجربة الاحتجاجية للثنائية القائمة على ما هو جندري في هكذا حركات احتجاجية؛ وذلك بالخروج من فكرة الحركة الفئوية النسوية التي تتحدد أهدافها في النضال على المساواة بين الجنسين، والمطالب ذات طابع نسوي صرف، إلى حركة اجتماعية مجددة من شأنها أن تعيد بناء تجربة جماعية جديدة تطالب بالحرية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية. من هنا تكون المرأة قد تجاوزت ما يمكن اعتباره دائرة الصراعات النسائية أو جماعة المصالح الفردية، إلى مطالب جماعية تتجاوز الثنائية الجندرية. ومن هنا أصبحت المطالبة بالمساواة بين الجنسين تحتل مرتبة ثانوية في هذه الحالة، وهو ما أفسح المجال لبروز تعبيرات احتجاجية نسوية ذات مطالب واسعة وخارجة عن دائرة المطالب الجندرية. وعليه، تطمح هذه الورقة البحثية لفهم مدى فعالية مشاركة المرأة في الفعل الاحتجاجي المدروس، وتجاربها الميدانية في الفضاء العام الحضري.

وتدور إشكالية هذه الورقة حول مدى تجاوز المرأة المشاركة في هذه الحركات الاحتجاجية للمطالب والاحتجاجات الفئوية، وذلك من السؤال الاشكالي التالي: هل استطاعت المرأة تجاوز المطالب والاحتجاجات الفئوية الجندرية في التجربة الاحتجاجية التي عرفها الفضاء العام الحضري في مدينتي الحسيمة وجرادة؟ وهل كان لذلك أي دور في بناء الملف المطلبي لهذه الحركات الاجتماعية؟ وهو ما يفترض أن هذه التجربة الاحتجاجية قد بينت بالفعل عن تحول في المشاركة الاحتجاجية للمرأة، حينما انتقلت من النضال على المطالب الجندرية الفئوية، إلى انخراط في الممارسات الاحتجاجية ذات المطالب المجتمعية الواسعة الأفق.

تتطلب البحوث في العلوم الاجتماعية، وتحديدا السوسيولوجية منها، اختيار مناهج ملائمة لدراسة موضوع البحث، ومن شروط اختيار المنهج، يجب أن يكون دقيقا ومحددا وقابلا للنقل، وقابلا للتطبيق من جديد في الشروط نفسها، وملائما لإشكالية البحث ومسألته الأساسية، لهذا وقع اختيارنا في هذه الورقة البحثية على المنهج الكيفي، نظرا لأهميته في مقاربة إشكالية موضوع الدراسة، إضافة إلى كونه يسمح لنا بإدراك الواقع بشكل ملموس. وقد اعتمدنا في هذا الإطار على منهجية البحث الكيفي، وعلى تقنية المقابلة، التي مكنتنا من جمع المعطيات وتحليلها، سواء باللقاء المباشر أو غير المباشر.

1- تحديدات مفاهيمية: الحركات الاجتماعية و الحركات الاجتماعية الجديدة

1-1- الحركات الاجتماعية

تحتل المفاهيم في العلوم الاجتماعية والإنسانية مكانة محورية، حيث تعد بمثابة الحجر الأساس للبحث، وارتباطا بمسألة تحديد المفاهيم، اعترضتنا إشكالية تعدد التعريفات واختلافها تبعا لاختلاف سياقاتها، مما فرض الاحتراس الإبستيمولوجي،

خاصة وأن فعل التحديد هذا، يعد مطلبا ضروريا في كل موضوع يبتغي العلمية قدر المستطاع، بحيث لا يستقيم الحديث عنه إلا بعد توضيح مدخلاته المفاهيمية، حتى يتسنى لنا العبور نحوه، ولعل عبورنا لموضوع "المرأة والحركات الاجتماعية الحضرية" يتطلب منا معرفة متعددة لمداخله الرئيسة، حتى نتمكن من معرفة الظاهر والكامن حول الموضوع عامة.

في البدء، نستهل بمفهوم الحركات الاجتماعية؛ هذا الأخير رغم انتشاره الواسع وتداوله الشائع إلا أنه يظل من بين المفاهيم الأكثر غموضا، نظرا لمقاربته من مختلف التخصصات العلمية، وكذلك باختلاف تخصصات الباحثين والمفكرين الذين تناولوه. وفي ظل هذا الزخم من التعريفات، فإننا سنستهل حديثنا عنه بتأريخ موجز، حيث أن هذا المفهوم ظهر مع عالم الاجتماع الألماني لورنز فون شتاين (lorenz von stein)، في كتابه «تاريخ الحركة الاجتماعية الفرنسية من العام 1789 حتى 1850» ، الذي أدخل مفهوم الحركة الاجتماعية في نقاشات متعمّقة حول الكفاح السياسي الشعبي() سيسيل، فيليول، و ماتيو،(2017)، ومن ثم تزايد صداها خارج ألمانيا في القرن التاسع عشر، في عدة بلدان أهمها: فرنسا، بلجيكا، بريطانيا، الولايات المتحدة والأرجنتين. وبعد الثورة التي شهدتها مدينة ليون في فرنسا سنة 1848، عزمت الجماعات النسائية والنوادي السياسية وقدامى المحاربين في الجيوش النابليونية وأطفال المدارس وعمال الورش على مستوى البلاد على محاربة البطالة() سيسيل، فيليول، و ماتيو،(2017).

بعد هذا التأصيل المختصر سنعرج إلى التعريفات التي قدّمت للحركات الاجتماعية من زوايا مختلفة، ونستهل بتعريف هربرت بلومر (Herbert Bulmer)، الذي عرّفها بأنها «ذلك الجهد الجماعي الرامي إلى تغيير طابع العلاقات الاجتماعية المستقرة في مجتمع معين، وهو ما يجعل منها مشاريع جماعية تستهدف إقامة نظام جديد للحياة، تستند على عدم الرضا عن النمط السائد والرغبة في إقامة نسق جديد مغاير» (Herbert, 1951)، كما يوحي المفهوم إلى أن الحركات الاجتماعية تشير إلى مجموعة من الأفعال الجماعية التي تتمايز عن الأنشطة التنظيمية والمؤسسية؛ لأنها عملية استعمال الجماهير للفضاء العام و احتلاله، بهدف التعبير عن المطالب ذات الطبيعة الاجتماعية والسياسية خارج المؤسسات والتنظيمات التقليدية بالشارع العام، عن طريق الوقفة، الاعتصام، المسيرة، المظاهرة، الاضراب عن العمل أو عن الطعام، أو التهديد بالانتحار، أو التجمع الخطابي العلني، أو المقاطعة وغيرها من أشكال الاحتجاج الجماعي() بنطلحة،(2020). إنها بناء منظم لصيرورة جماعية تهدف إلى الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية لفئة أو أكثر من فئات المجتمع، وتعتمد هذه الأفعال الجماعية أساسا على اختيار عقلاني يوجه السلوكيات الاجتماعية، باعتباره سلوكا جماعيا منظما يتميز بالسلمية)رشيق،(2018). لكن كلاسيكيا نجد من يعرفها على أنها عمل جماعي يهدف إلى تعديل التنظيم الاجتماعي القائم على الدفاع عن المؤسسات التي تهددها الحركات الأخرى. فهي تنظيمات شاملة مؤلفة من جماعات متنوعة المصالح، ومن يجمع هذه القطاعات المختلفة في المجتمع ذات المصالح المتنوعة، هو شعور عام بالضياع أو ما يسمى أيضا بالحرمان النسبي، قوامه الإدراك المشترك لغياب الديمقراطية في وضعية سياسية بعينها( )وهبة و وآخرون،(2014). وهو ما دفع عالم الاجتماع الأمريكي تشالز تلي (charles tilly) في كتابه «الحركات الاجتماعية 1768-2004»، للقول بـ«أن التعامل مع الحركات كفاعل أحادي قد لا يسبب سوى بضرر بسيط في مناقشة سياسة عارضة، في الحقيقة هذه الأمور في إطار الحركات الاجتماعية فعليا لا سيما عندما يكون الهدف هو استعراض الحركات الاجتماعية في التاريخ»( )تلي، 2005، صفحة(33)، هذا ما أكد عليه سيدني تارو (sidney tarrow)، بقوله أي تحديد للحركات الاجتماعية يجب أن يأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي تقيمها بالمجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي( )الخطابي،(2019).

1-2- الحركات الاجتماعية الجديدة

ظهر هذا المفهوم في منتصف ستينيات القرن الماضي مع عالم الاجتماع الفرنسي ألان تورين (Alain Touriane)، ويشير إلى مجموع أشكال الفعل الجماعي الذي بدأ في تطور خارج نطاق الدوائر الصناعية، على النحو الذي أدى إلى إعادة النظر في المنطق

الدافع للتعبئة() سيسيل، فيليول، و ماتيو،(2017)، بالرغم من وجود من ينفي وجود حركات احتجاجية جديدة. ونستحضر في هذا المقام أكسيل هونت (axel honneth)، الذي أقر بأن ما يروج تسميته بالحركات الاجتماعية الجديدة، «لا يعدو أن يكون في نظرهم عناصر تم عزلها اعتباطيا عن مجموعة مواقف أو مطالب تختلف فيها الأهداف من كل نوع، اقتصادية وثقافية وقومية، وهي أهداف لها علاقة بالعمر أو الجنس) »تورين،(2011 . غير أن ألان تورين يؤكد بأن الحركات الاجتماعية الجديدة جاءت بفهم جديد للاحتجاج، ويؤمن بأنها توحد الصراع الاجتماعي. وفي هذا السياق ظهرت حركات اجتماعية جديدة تقوم بالدفاع عن مجموعة من القيم، ويقود التعبئة الاجتماعية فاعلون جدد، فرضوا أنفسهم في المشهد الاحتجاجي الحضري، مثل الحركات الثقافية، والحركات النسائية، وحركات حقوق الإنسان والطفل، وغيرها من الحركات() رشيق،(2018).

تمتاز الحركات الاجتماعية الجديدة بكونها ليست نتاجا لعلاقات الانتاج الاقتصادية، بل تهتم بالدرجة الأولى بحقل الثقافة والاستئناس الاجتماعي والمدينة والقيم. ومن ثم فإنها تزحزح فيما يبدو التدبير الكلاسيكي للنزاع الاجتماعي والتمثيل السياسي( )رشيق،(2018). وهذا ما أكد عليه أيضا إريك نوفو (Eric neveu) بقوله « للحركة الاجتماعية دلالة واسعة كونها فعلا جماعيا يرتكز على قضية مرتبطة بهدف أو غاية (العمل قصديا بشكل جماعي وبمنطق المطالب) لا ترتبط بالضرورة بانتماءات طبقية أو تصنيفات اجتماعية() »رشيق،2018 ، صفحة(48). فهي تستطيع النهوض بالقيم الحديثة، لأنها قادرة على أن تجعل نفسها في خدمة القيم المحافظة القديمة أو التقليدية أيضا، فالحركات الاجتماعية القديمة عكست التناقض الطبقي بين المديرين والعمال في المجتمع الصناعي– سواء كان أو اشتراكياً أو رأسماليا –، أما اليوم فقد تميزت بظهور صور جديدة للاحتجاج الاجتماعي من أجل الانتقال إلى نمط جديد، من الناحية النوعية للمجتمعات، وهو المجتمع ما بعد الصناعي أو ما يعرف بالمجتمع المبرمج. وتعتبر صور الاحتجاج هذه؛ تجليات أو إرهاصات أولى لحركة اجتماعية موحدة، وبذلك جسدت هذه الحركة صراعا لا يشمل فقط طبقتين على نموذج ثقافتين جديدتين، ولكنه يتطور أيضا على مستوى مختلف عن الصراع في المجتمع الصناعي. وتتمحور هذه الصراعات حول قضايا التوزيع على مستوى مؤسسي أو سياسي، غير أن الحركة الاجتماعية في المجتمع ما بعد الصناعي تنصب على قضايا ثقافية بالدرجة الأولى () فارس،(2017)، ومع حلول المجتمع ما بعد الصناعي جابهت التوجهات الثقافية الكبرى تحدياً سافراً للمجتمع لتحقق أعلى مستوى من الانعكاسية والقدرة على الإنتاج الذاتي للمجتمع، وذلك هو ما شاركت فيه الحركات الاجتماعية وقد أصبحت التوجهات الثقافية منطقة وهدفاً للصراع أو النضال( ) فارس،(2017).

تعبر الحركات الاحتجاجية الجديدة قبل كل شيء عن تطلعات الفئات الشابة والمتعلمة، الميالة نحو قيم تصف بأنها ما بعد "المادية" ونحو اشباع احتياجات الانسان الفرد()سيسيل، فيليول، و ماتيو،(2017). وارتباطا بما سبق، خلصنا إلى أن الحركات الاجتماعية الجديدة تقوم على أساس مناهضة الحروب، وأيضا تدافع عن البيئة، بالإضافة إلى الحقوق المدنية والحركات النسوية، كما تركز على تشكيل الهويات، والتغير البنائي. تعبر هذه الحركات عن صراعات ونضالات للسيطرة على تشكيل هويات جماعية جديدة وإنتاج المعنى، مما يعني أنها تنصب بدرجة أكبر على المعاني الثقافية مقارنة بالحركات الاجتماعية الكلاسيكية( )فارس،(2017). ورغم كل ما قدمته الحركات الاجتماعية الجديدة، إلا أنها «تعاني من سيطرة النظرية التطورية والبنائية وأدلج مفرطة للظواهر الاجتماعية والسياسية»( )سيسيل، فيليول، و ماتيو،2017 ، صفحة(127).

في المجمل، انجرف تيار الحركات الاجتماعية الجديدة نحو أنساق نظرية منعته بلا شك من استيعاب تنوع الواقع الذي يصعب اختزاله في قراءة ثنائية؛ حركات قديمة وجديدة، مما أدى إلى الميول نحو التفسيرات التبسيطية، الأمر الذي أفضى في النهاية إلى تشيّء كلتيهما.

2- المرأة والديناميات الاحتجاجية: المفهوم والسياق والارتباط

يعد موضوع المرأة والحركات الاحتجاجية من المواضيع المستجدة عموما في السياق المغربي، خاصة في حقل الإنتاج العلمي السوسيولوجي وغيره، بحيث تعرف الدراسات بشأنها تشعباً كبيراً، نظراً لاختلاف الآراء وزوايا النظر بخصوصها، حيث نجد من يدافع عن فكرة مساهمتها في الحركات الاحتجاجية وتواجدها في الفضاء العام الى جانب الرجل، ومن ينتقد ذلك؛ هذا ما جعل في البداية جل الصراعات النسائية تدور حول الوضعية الدونية للمرأة داخل المجتمعات، والتصدي للفكرة السائدة، وكذلك التحليلات السيكولوجية للفكرة القائلة بأن هناك طبيعة أنثوية أو نفسية خاصة بالنساء، وأخرى خاصة بالرجال.

وفي سنة 1975م ظهر في الساحة العلمية مفهوم جديد وهو النوع الاجتماعي أو الجندر، وقد استخدم هذا المفهوم لوصف خصائص الرجال والنساء المحددة اجتماعيا مقابل الخصائص المحددة بيولوجيا( )حوسو،(2009)، مركزا على الأبعاد الاجتماعية التي لا علاقة لها بالاختلافات البيولوجية ()رزقي و وآخرون،(2019). ويدل لفظ النوع عند جماعة الباحثات في الدراسات النسائية على الجزء الثقافي من الفروق الفردية بين الجنسين، تلك الفروق التي تنتج عن عوامل دينية وثقافية وسياسية واجتماعية، وهي فروق صنعها البشر عبر تاريخهم الطويل( )رزقي و وآخرون،(2019). وفي السياق نفسه ذهبت جوديت بتلر (judith butler) في كتابها Gender trouble (1990) إلى أن النوع هو هوية يتم تكوينها على نحو غامض في سياق الزمن، وهو نمط مرن يظهر في سلوكات الناس أكثر مما يظهر في طبيعتهم ()رزقي و وآخرون،(2019). وتعتبر كات ميليت (kat millett) في كتابها «السياسة الجنسية» (sexual polities) الصادر سنة 1970، أن الجنس عنصر بيولوجي والنوع عنصر ثقافي، والتضاد بينهما هو ذلك الفارق بين الطبيعة والثقافة، ذلك أن الذكر والأنثى هما في الواقع ثقافتان() رزقي و وآخرون،(2019). مما دفع بالعديد من الباحثين للاهتمام بموضوع الجندر، وتمثل ذلك في صدور مجموعة من الدراسات والأبحاث على رأسها أعمال عالمة الاجتماع آن أوكلي (oakley Ann). إن الهدف من هذه الأبحاث هو خلق نوع من المساواة بين الجنسين؛ غير أن جل الأبحاث خلصت إلى أن النساء كائنات تابعات لسطلة الرجل، الشيء الذي دفع بالنساء إلى تأسيس حركات مدافعة عن حقوقهن؛ هذه الأخيرة فرضت نفسها كحركةً اجتماعية مناهضة لكل أشكال التميز ضد النساء.

في إطار الحديث عن أوضاع النساء في المجتمعات المعاصرة، نستحضر النقاش الدائر بين موريس غودلييه ونيكول كلود ماثيو حول موافقة السيطرة؛ سيطرة الهيمنة الذكورية، حيث اعتبر الأول «أن السيطرة التي تمارس على المرأة هي بتواطؤ مع النساء اللاتي يقتسمن مع الرجال التصورات والمسلمات نفسها عن العالم الاجتماعي، لكن الباحثة الأنثروبولوجية ماثيو لها رأي أخر حول السيطرة، إذ ترى أن فكرة موافقة السيطرة تنزع عن المضطهد مسؤولية هذا الاضطهاد، هذا ما دفعها للقول بأن هذه الفكرة لا تمت للواقع بأي صلة من الصواب»( )اشهبار،2018 ، صفحة(112). كما استحضر موريس غودلييه مختلف أشكال العنف الذي تتعرض له المرأة كالعنف الفكري والأيديولوجية (الأساطير والتمثلات)، خلافا للعنف الوقائي أي الفيزيقي النفسي والاجتماعي الذي لا يحضر إلا نادراً في حياتها، وعلى النقيض من ذلك تعتبر الباحثة نيكول كلود ماثيو أن هذه الفكرة غير صائبة، لأنها لا تعكس الصورة الحقيقية لواقع النساء بأي حال، بحيث ترى في مقابل ذلك، بأن العنف الوقائي هو الذي يحضر دائما في حياة المرأة، لأن التقييدات المفروضة على حياة المرأة هي وقائعية، ومتعددة ويومية، وليس العنف الفكري، أي الأفكار التي تشير إلى السيطرة، الأمر الذي لا يحضر دائما إلا في وعي الرجال فقط ()اشهبار،(2018).

وفي اتجاه آخر، كان لبيير بورديو رأي أخر في هذا الصدد بقوله: « إذا كانت النساء يخضعن لتنشئة اجتماعية تسعى لتصغيرهن من خلال إعادة انتاج بعض القيم السلبية، مثل نكران الذات والاستسلام والصمت، فإن الرجال هم أيضا سجناء وضحايا للتمثل السائد بالاستعدادات لممارسة السيطرة مثلها مثل الاستعدادات للخنوع والخضوع، لا تجد مصدرها في طبيعة

معينة، ولكنها تبنى بعمل طويل من التنشئة التفاضلية بين الجنسين، يهيأ الرجل لحب ألعاب السلطة والنساء لحب الرجال الذين يلعبون بها»()اشهبار،2018 ، صفحة(122).

وقد نتج عن ثنائية الهيمنة الذكورية والنوع الاجتماعي مجموعة من الحركات النسائية، لكن يبقى السؤال المطروح هاهنا؛ هل الهيمنة الذكورية وسؤال الخضوع والخنوع معطى طبيعي أم بناء اجتماعي؟ هذا الجدال الدائر حول هذه الفكرة خلق لنا حركات نسائية مناهضة لهذه الهيمنة، هذه الأخيرة لم تنج من فراغ بل لها حيثيات وأسباب لها ارتباط بوعي وإدراك النخبة النسائية لعمق التناقض بين ما خلقته من تقدم على صعيد التعليم والاندماج في مسلسل الإنتاج، وبين المعيقات التي تكرس وتعيد إنتاج واقع الحيف ضدهن على مختلف الأصعدة. لقد ولّد هذا الأمر حاجة ملحة لدى النساء في خلق فضاء خاص بهن، يعملن من خلاله على التعبئة لإقرار حقوقهن وتحسيس الرأي العام بمشروعية مطالبهن، ويشكلن بواسطته قوة ضغط على الفاعلين السياسيين، وكذلك على مختلف مكونات المجتمع، من أجل تحقيق المساواة بين الجنسين.

بناء على ما سبق، نخلص إلى قول الفيلسوفة جوليا كريستيفا (julia kristeva) بأن الحركات النسوية عرفت ثلاث أزمنة حديثة: تمثلت في مرحلة المطالبة بالحقوق السياسية؛ بدءا بالحق في التصويت، ومرحلة التأكيد على المساواة الأنطولوجية أو الوجودية مع الرجل ضد المساواة في إطار الاختلاف، وتحضرنا هنا حالة الفيلسوفة الفرنسية سيمون دوبوفوار (simone de Beauvoir)، وأخيرا مرحلة البحث عن الاختلاف بين الجنسين في سياق ثورة ماي 1968. ومع تطور الدراسات في مجال التحليل النفسي، سيتم التأكيد على الإبداعية الأصلية في تجربة النساء، وفي تجربة الحياة الجنسية عبر امتداد الممارسات الاجتماعية، في السياسة كما في الكتابة الأدبية، وفي البحث العلمي، وخصوصا في سياق العلوم الاجتماعية)بوخريص،(2016 .

شهدت المجتمعات الحديثة انقلابا تاريخيا، إذ باتت المرأة فاعلا رئيسا فيه، وهو ما اتاح الفرصة لدخول السوسيولوجيا إلى معترك هذه التحولات، من خلال إنجاز أبحاث وأعمال علمية حول موضوع النوع الاجتماعي، دون إغفال مسألة أساسية، وهي أن هذا الموضوع ليس حكرا على السوسيولوجيا فقط، بل تتقاطع فيه مختلف المقاربات والطرائق العامة التي تنهل من تخصصات مختلفة في العلوم الإنسانية والاجتماعية (Touraine، 2016).

أما على المستوى الوطني، فقد نجحت الحركات النسائية في خلق دينامية اجتماعية وسياسية حول ملفات وقضايا المرأة وإثارة السجال العمومي حولها، وجعلها في صلب انشغالات المجتمع المغربي بصفة عامة، والمجتمع المدني على وجه الخصوص، من خلال تأسيس بعض الجمعيات الخاصة بهن، يناضلن من خلالها عن حقوقهن والتعريف بقضاياهن، وهو ما بات يطلق عليه بالحركات الجمعوية النسائية، هذه الأخيرة نشأت في حضن الحركة السياسية بالمغرب، التي يطغى على عملها الطابع الترافعي. وتشكل هذه الحركات النواة الاجتماعية والسياسية التي تسعى للدفاع والنهوض بالحقوق الإنسانية للنساء، كما وردت في المواثيق الدولية والوطنية لحقوق الإنسان، من قبيل: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ووالاستراتيجية الوطنية من أجل الإنصاف والمساواة بين الجنسين وغيرها.

تضم الحركات الجمعوية النسائية فعاليات سياسية ونقابية وحقوقية وإعلامية ومؤسسات أكاديمية وباحثين وباحثات، وفي هذا الصدد نستحضر صونيا ديان هرزبون (Sonia Dayan herzbrun)، التي أقرت بأن الحركات الاجتماعية التي شهدها المجتمع المغربي ما بين سنتي 2010-2011، أكدت على وجود مجتمع مدني فاعل وطموح ينشد المساواة وتحقيق قدر معين من الحرية، معتبرة أن هذه الحركات استطاعت أن تتشكل في إطار شبكات للتعبئة بعيدا عن المؤسسات ذات الطابع الرسمي والأحزاب، بحيث فاجأت هذه الحركات أولئك الذين لم يكن بمقدورهم ملاحظة ما يجري حولهم والتنبؤ بمآلهن، آخذة على عاتقها مواجهة

المشاكل التي تواجهها الجماعة، بهذا تكون قد شاركت في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما أكدت أيضا ذات الباحثة على الأدوار النموذجية والطلائعية التي لعبتها الحركات النسائية من جهتها( )كنيش،(2019).

تزايد نشاط مؤسسات المجتمع المدني النسائي بشكل ملحوظ في العالم منذ سبعينات القرن الماضي (رغم أن المنظمات والمؤسسات النسوية قد وجدت على مدى التاريخ). وقد شكل إقصاء واستثناء المرأة من الهياكل الحكومية الرسمية عاملا من ضمن عوامل أخرى كانت وراء مشاركتهن كقياديات في المجتمع المدني. لذا فإن الجهود التي تعزز وتشجع إشراك المجتمع المدني في عمليات السلام وفي الأنظمة الديمقراطية، يمكن أن تترجم إلى أدوار أكبر للمرأة. وأمام انسداد أفق مشاركة النساء في الحياة السياسية، فتحت مؤسسات المجتمع المدني أفقا أمام مشاركة المرأة في تشكيل شبكات اجتماعية وسياسية، وهو ما استطاعت أن تفعله خلال السنوات القليلة الماضية حينما قامت بصياغة وتشكيل شبكات على المستوى العالمي.

ورغم كل الكتابات التي دونت وكل البحوث التي أنجزت حول المرأة، إلا أنها تعرضت للانتقاد من طرف بعض السوسيولوجين المهتمين بهذا الحقل المعرفي، في هذا الصدد نستحضر قول الباحثة والسوسيولوجية المغربية رحمة بورقية التي قالت: «أن التساؤل حول الوضعية الإبستمولوجية لمفهوم المرأة في إنتاج العلوم الاجتماعية بالمغرب لا يقع في صلب التفكير والنقاشات في الكتابات التي تتناول المرأة » (Bourqia, 1997, p. 35) .

المرأة والاحتجاج في الفضاء العام في السياق المغربي

اتسمت نهاية تسعينات القرن الماضي بالانتقال من العمل المحصور في دائرة الاعتراف بحقوق النساء داخل المجتمع، إلى دائرة العمل النقابي والسياسي المنظم الذي يتجه نحو انخراط النساء في الحياة السياسية، وذلك بتجاوز حصر عملها في المجتمع المدني وداخل الجمعيات على وجه الخصوص، حيث يوازي هذا الانتقال، الانفتاح الواسع على المجال العام وعلى فضاءات أخرى غير تلك التي اعتادت النساء التحرك داخل دائرتها.

ولقد دفع هذا الانتقال بالعديد من المجموعات النسائية إلى صياغة مطالب وتطوير مبادرات خارج إطار المنظمات غير الحكومية؛ بحيث شاركت النساء إلى جانب الرجال في الحركات الاجتماعية المتعددة، مطالبةً بالحرية والمساواة والعدالة والديمقراطية. وهو ما يعكس التحول المتمثل في اعتماد النساء طرقاً مؤثرة في مواجهة ما يعترضهن من مشكلات، كما تشير إلى الارتقاء بالفرد إلى أن تكون له القدرة على التعبير وتغيير موقفه من مجرد وكيل خاضع لتبعية قواعد الحياة الاجتماعية، إلى ذات فاعلة هدفها الدفاع عن الحقوق الأساسية للكائنات البشرية (Touraine, nous-sujet humaines, 2015). لقد شاركت المرأة المغربية في الفعل الاحتجاجي الحضري بوصفه فعلا جماعيا، محاولة لتشكيل جماعة منظمة ومؤسسة من طرف أفراد يسعون لتحقيق هدف مشترك( ) الخطابي،(2019)، نابع أساسا من الأهداف العامة، غايتها الاشتغال على القضايا المجتمعية في شكلها العام.

انطلاقا مما سبق، أقرت بعض النساء المشاركات في هذه الحركات بأنه يلزم لتحقيق مطالبهن، ضرورة ربط تحركهن الاحتجاجي بمطالب واسعة تشمل الديمقراطية وغيرها. كما اعتبرن عزل مطالب المرأة عن القضايا العامة للمجتمع لا يخدمها، من حيث أن هذه المطالب هي أساسا ضمن دائرة مطالب مجتمعية واسعة، تشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحقوقية والثقافية. لم تدافع المرأة في الحركات الاجتماعية الحضرية، وبالتحديد في حراك الحسيمة وجرادة، عن حقوق النساء فحسب، بل انخرطن في ديناميات احتجاجية حول مطالب واسعة تشمل العدالة الاجتماعية والديمقراطية وعدالة التوزيع الاقتصادي. ذلك أن الهدف الأسمى من ذلك، هو المطالبة بتغيير أوضاع العيش وإحقاق العدالة الاجتماعية وتقليص اللامساواة على أصعدة عدة. علما أن ما ميز هذه الحركات الاجتماعية عن غيرها، هو كونها حركة ذات أبعاد ثقافية وسياسية واقتصادية، وليست مبنية

فقط على البعد الجندري المؤسس على مطلب المساواة بين الجنسين ، من حيث أن ممارستهن الاحتجاجية استطاعت تجاوز هذه الثنائية، وهو ما برزت معه نوعا الفعالية في دينامية هذه الحركات الاجتماعية.

حضيت المرأة في السنوات الأخيرة بمكانة اجتماعية واعتبارية مهمة في الفضاء العام، بالنظر إلى وعيها بوضعتها وحقوقها، ثم أيضا بوعيها بهويتها الجندرية وفقا لما يمنحه لها ذلك من وعي بذاتها، ثم بوصفها مواطنة تريد أن تدافع عن قضايا ومطالب محددة تهم المجتمع كاملا، التي تعبر عنها مشاركتها إلى جانب فئات اجتماعية واسعة من المجتمع، مطالبة بتحقيق مطالب مجتمعية وتجسيدها على أرض الواقع() الخطابي،(2019). وبالرغم من وجود بعض الناشطات اللواتي يحملن وعيا سياسيا، خاصة من تشتغل منهن في إطار جمعيات نسائية ولهن مستوى أكاديمي محترم، إلا أن خروجهن في هذه الحركات، دافعه أن هن مواطنات يدافعن عن حقوقهن وحقوق فئات من المجتمع، حيث إيقانهن بأن النهوض بأوضاع المرأة سيتحقق تلقائيا مع ربط ذلك بالديمقراطية، على اعتبار أن المساواة بين الجنسين هي شرط وشكل من أشكال الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. إن الحصول على مكاسب حقوقية للنساء لا يمكنه أن يتحقق بمعزل عن عناصر أخرى. وهذا ما دفع ألان تورين للقول أن الحركة النسوية اعتبرت في مرحلة معينة عملا أشمل تتمثل في مناهضة الرأسمالية أو الامبريالية() تورين،(2011).

وإذا عدنا إلى التجربة الاحتجاجية لسنة 2011، وتحديدا تجربة حركة 20 فبراير التي خرجت المرأة في سياقها للفضاء العام للمطالبة بتحقيق مطالب اجتماعية وسياسية ودستورية واقتصادية، سنلمس أنها استطاعت أن تجمع بين عدد من الفعاليات السياسية والنقابية والحقوقية. ولم تشمل المطالب التي وردت في الأرضية التأسيسية لهذه الحركة أي ذكر لمطلب المساواة بين الجنسين والقضاء على التميز على أساس الجنس، وهو ما معناه أن الأفق الاحتجاجي حينها كان واسعا، إذ لم يشمل فقط مطالب إحقاق المساواة الجندرية وذات الطابع الفئوي، بل شمل مطالب عامة وممثلة لكافة الشرائح الاجتماعية. وهو ما يختلف نوعا ما عن تجربة مشاركة النساء في حراك الحسيمة وجرادة، التي لم تكن مطالبها على نفس شاكلة تجربة حركة 20 فبراير.

وارتباطا بموضوع الحركات الاجتماعية التي عرفتها هذه المدن على وجه الخصوص والحركات الاحتجاجية الحضرية في عمومتها، لابد من فهم وتفسير العوامل والأسباب المؤدية لها، بهذا يمكن القول إن الحرمان والتذمر الاجتماعي الذي يتعرض له الناس -بغض النظر عن الهوية الجندرية- هو ما يدفعهم للاحتجاج. وهذا ما نلمسه في قول إريك هوفر: «إن الناس لا يحتجون على حكامهم بدافع الفقر أو الجوع، بل بدافع التطلع نحو مستقبل أفضل، ولا تهم طبيعة الرجل الذي يحركه الأمل الجامح، ربما يكون مثقفا متحمسا، أو مزارعا يتوق إلى المزيد من الأرض، أو نبيلا أرستقراطيا، أو تاجرا أو صانعا أو عاملا بسيطاً، كل هؤلاء يتحدون الحاضر، ويدمرونه عند الضرورة، ويخلقون العالم الجديد الذي يمكن أن يحقق أملهم() هوفر،2010 ، صفحة(31). وفي اتجاه آخر، إن أتباع الحركات الاحتجاجية ليسوا هم الفقراء ولا الغاضبون، بل الطامحون والحالمون، فالإحساس بالظلم والرغبة في التغيير هو من دفعهم إلى الانخراط في الحركة الاحتجاجية التي تقوم بفضل منظومة من الأفكار، صيغت في أوضاع محددة، وهي تترجم المطالب الجماعية وعدم رضاها وأمالها وتعبّر عن ردات فعلها ضد الوضع الجائر( )العطري،(2008). إن الحركات الاجتماعية في شموليتها تركز على ثلاث قضايا أساسية هي: أولا؛ العوامل أو الدوافع التي تسمح بتشكل هذه الحركات، والتي ترجعها إلى أبعاد ثقافية بالأساس، كالهوية الجماعية والمرجعيات الايديولوجية والانفعالات والوعي الجمعي والشعائر والممارسات، وثانيا؛ فهم الديناميات الداخلية لهذه المكونات في تقاطعاتها المختلفة، وأخيرا؛ الأثر الذي تحدثه الحركة في المجتمع وليس فقط بما يرتبط بالحركة وأهدافها ()فارس،(2017).

وقد أعاد الحراك الاجتماعي المغربي النقاش حول تموقع الحركة النسائية ودورها في الدفاع عن الديمقراطية والمساواة، وقدرتها على إبراز مكانة حقوق النساء ضمن المطالب الديمقراطية المطروحة من مكونات المجتمع السياسي والمدني، خصوصًا وأن الانخراط القوي للنساء في الحركات الاجتماعية المطالبة بالديمقراطية، يضمن لهن حماية للمكتسبات ويحقق ترسيخًا

لقيمة المساواة بين الجنسين. وفي علاقتها بالمشاركين في هذه الحركات، لم تعد مهمتها تنحصر في كونها تقدم كل أشكال الدعم لفئات النساء المستهدفة من برامجها التنموية، أو تلك الخاصة بمناهضة أشكال العنف ضدها، بل تغنت بمفردات جديدة، لأن الخطاب الاحتجاجي بالمغرب في عموميته اغتنى بمفردات جديدة مرتبطة بالكرامة، وتعبر عن الحرمان الاجتماعي لبعض الفئات الاجتماعية ()رشيق، الحركات الاحتجاجية في المغرب من التمرد إلى التظاهر،(2014). يربط الباحث محمد كولفرني هذا الانتقال بتحول سوسيولوجيا الاحتجاج من الذكورية والشبابية التي تطبع انتفاضة المهمشّين والفقراء، إلى حضورا المهم للنساء والأطفال كإشارات ديموغرافية على الطابع السلمي للحركات الاجتماعية ()الدين،(2017).

خاتمة

لا يمكننا الادعاء بالإحاطة الشاملة بكل حيثيات الموضوع وتفاصيله، لكن حاولنا قدر الإمكان تحقيق الهدف العلمي لهذه المساهمة، كما تبدى ذلك منذ لحظة الإعلان عن أسئلة الورقة، بحيث كان من اهدافنا هنا إلقاء الضوء على مشاركة المرأة في الحركات الاحتجاجية الحضرية، وانتقالها من الاحتجاج على مطالب فئوية وجندرية تخص جماعات النساء، إلى المطالبة بمطالب عامة تهم قضايا وأحوال المجتمع في شتى مناحيها.

وتأسيسا على ما سبق، نلاحظ أن مشاركة المرأة في الحركات الاجتماعية في الوسط الحضري كما عرفته منطقتا الحسيمة وجرادة، كان مبنيا على اعتبارات مختلفة، من قبيل أنها مواطنة تدافع عن مطالبها ومطالب كافة المجتمع، وإن ما دفعهن للخروج للفضاء العام واحتلالهن له، هو المطالبة بتحقيق القضايا المجتمعية العامة، وليس على ما هو جندري، والهدف الأسمى من احتلالها لهذا الفضاء هو التطلع نحو مستقبل أفضل. إن الإحساس بالظلم والرغبة في التغيير هو ما دفعها للانخراط في الحراك، بالإضافة إلى الشعور بالحرمان والتذمر والتطلع بأمل لإحداث تغيير مجتمعي. هذه الحركات ترجمت مطالب جماعية عن عدم بالوضع المعاش.

تجلى خروج المرأة للفضاء العام بدافع النضال عن القضايا العامة كما تبدى ذلك في الشعارات والخطابات الاحتجاجية التي أنتجت في سياق دينامية ونشاط الحركات الاجتماعية الحضرية في حالة الحسيمة وجرادة، إذ انتقلت الخطابات الاحتجاجية من المطالبة بالمساواة بين الجنسين، إلى بروز خطابات جديدة مرتبطة أساسا بالكرامة والعدالة الاجتماعية ورفض الأوضاع المعاشة، كما رفعت شعارات أخرى متعلقة بالهوية والذاكرة، متجاوزةً بذلك المطالب ذات الطابع الجندري المحض.

فإذا كانت المرأة في الحركات النسائية تتميز بمطالبها المؤسسة على البعد الجندري كالاختلاف النوعي، فإن الأمر مختلف في الحالة المدروسة كما بيّنا ذلك سلفا. وانطلاقا من البحث الميداني الذي أجري مع النشطاء في الحراك، تأكد لنا أن التجربة الاحتجاجية المدروسة بيّنت عن اختلاف في مقاصد المشاركة النسائية عن تجارب أخرى. لقد أضحت هذه التجربة بالنسبة لهن شيئا جديدا من حيث أن نشاطها الاحتجاجي والسياسي عامة، قد عرف انعطافة على مستوى المطالب والممارسات.

قائمة المصادروالمراجع

الأجنبية

- Bourqia, R. (1997). *les femmes : un objet de recherche* (éd. 01). Rabat: flsh.
- Herbert, B. (1951). Social Movement. *New Outline of the Principles of Sociology*(2), pp. 60-83.
- Touraine, A. (2015). *nous-sujet humaines* (éd. 1). Paris: Seuil.
- Touraine, A. (2016). *Le monde des femmes* (éd. 1). Paris: Fayard.

العربية:

- أحمد الخطابي .(2019). الاحتجاج واستراتيجيات التعبئة في حراك الريف بالمغرب، نحو بناء هوية جماعية مونثة . مجلة علوم الإنسان والمجتمع،(01)08 ،.
- إريك هوفر .(2010). المؤمن الصادق، أفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية .(غازي بن عبد الرحمان القصيبي، المترجمون) أبو ظبي :هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
- آلان توري.(2011). براديغما جديدة لفهم عالم اليوم .(جورج سليمان، المترجمون) بيروت :منظمة الوحدة العربية.
- بيشو سيسيل، أوليفيه فيليول، و ليليان ماتيو .(2017). قاموس الحركات الاجتماعية .(عمر الشافعي، المترجمون) الجيزة :دار صفصافة.
- تشارلز تلي .(2005). الحركات الاجتماعية 2004 -1968 (ربيع وهبة، المترجمون) القاهرة :المجلس الأعلى للثقافة.
- خالد اشهبار.(شتاء 2018). سجال سوسيو أنثروبولوجية حول مساهمة النساء في إعادة إنتاج السيطرة الذكورية . 06(23)
- ربيع وهبة، وآخرون. (2014). الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي، مصر المغرب لبنان البحرين الجزائر سورية الأردن. بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.
- سيد فارس. (ديسمبر 2017). أنثروبولوجية الحركات الاجتماعية، النقلة الثقافية .العلوم الاجتماعية(02) .
- عبد الرحمان رشيق .(2014). الحركات الاحتجاجية في المغرب من التمرد إلى التظاهر. الحسين سحبان، المحرر (الرباط : منتدى بدائل المغرب).
- عبد الرحمان رشيق.(خريف 2018). الرحكات الاحتجاجية في سياقات انتقالية .عمران، (26)7 ،.
- عبد الرحيم العطري .(2008). الحركات الاحتجاجية بالمغرب، مؤشرات الاحتقان ومقدمات السخط الشعبي. فاس: دفاتر وجهة نظر.
- فوزي بوخريص. (2016). المرأة في خطاب العلوم الاجتماعية :من متغير الجنس إلى سؤال النوع. دار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- لحبيب استاتي زين الدين.(شتاء 2017). الممارسة الاحتجاجية بالمغرب، دينامية الصراع والتحول .عمران، (19)05
- محمد بنطلحة. (ربيع 2020). الحركات الاحتجاجية في المغرب ودينامية التغيير ضمن الاستمرارية .عمران،(32)8.
- محمد حوسو .(2009). الجندرالأبعاد الاجتماعية والثقافية (عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع).
- هدى رزقي، و وآخرون .(2019). *الصحة والنوع الاجتماعي* . الرباط : دار الأمان.
- هشام كنيش. (أكتوبر 2019). البدائل المجتمعية لحركة نساء في المغرب، خلاصات ونتائج بحث سوسيولوجي.

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

The pedagogical situation of the philosophical text in the Moroccan curriculum

DR. LAHCEN Dahmany

Email 1 : lahcendahmany@gmail.com

Email 2 :

1: ORCID 0000-0002-0311-7971

Abstract

The objective of this study is to find out the different pedagogical functions of the philosophical texts based on the Moroccan curriculum in term of analysis, knowledge investments, and problematic as well as to measure the adequacy to meet the requirements of the learning goals and the target competencies.

Keywords : pedagogy, text, philosophy, curriculum.

الوضع البيداغوجي للنص الفلسفي في المقررات الدراسية المغربية

د. لحسن دحماني، أستاذ باحث، المغرب

lahcendahmany@gmail.com

0000-0002-0311-7971 ORCID

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن الوضع البيداغوجي للنص الفلسفي في المقررات الدراسية لمادة الفلسفة، ومدى قدرة هذه النصوص على تحقيق الهدف المنشود من وضعها، خاصة وأن للنص وظائف متعددة، فهو يمكن أن يكون الطريقة أو جزء من الطريقة، أي يمكن أن يكون هو المطلب الأساسي للتحليل، أو يمكن أن يكون دعامة للاستثمار المعرفي أو الاستشكالي، إضافة إلى محاولة الكشف عن مدى ملاءمة التمارين في إكساب التمليذ للمهارات والكفايات المنشودة.

الكلمات المفاتيح: البيداغواجيا، النص، الفلسفة، المقرر الدراسي.

على سبيل التقديم

لقد أدرجت الفلسفة كمادة مدرسية في التعليم الثانوي التأهيلي بالمغرب، وانتقلت، مثلها في ذلك مثل باقي المواد الأخرى، من بيداغوجيا المحتوى والأهداف إلى المقاربة بالكفايات التي أسست على منطق التدريس بالنصوص، كأحد أهم الاستراتيجيات التي تهدف إلى خلق وتنمية التفكير النقدي والإبداعي لدى المتعلمين والمتعلمات، الأمر الذي يتطلب عناية خاصة بالنص الفلسفي، باعتباره نصاً يختلف عن باقي النصوص الأخرى، وذلك من خلال تتبع عملية انتقاء ووضع النصوص بالمقرر الدراسي، بيداغوجيا، بما يخدم الإشكالات والغايات المنوطة به. فالنص أصبح يؤدي وظائف متعددة، فإما أن يكون النص بحد ذاته الطريقة، أو يشكل جزءاً من طريقة. ففي الحالة الثانية قد يكون بمثابة نشاط تمهيدي ونقطة ارتكاز للدخول إلى درس جديد، أو دليل لتعزيز فكرة وإغنائها، أو صلة وصل بين درس وآخر، أو خلاصة لدرس فلسفي ما، يقصد المعلم من وراء تقديمه أو مناقشته لتوليفة الأفكار التي تم النقاش حولها أثناء الدرس، وفي هذه المراحل التي تم ذكرها يجب أن يكون النص من حيث الشكل نصاً قصيراً. إذا هل وضع النصوص الفلسفية في الكتاب المدرسي، يحقق الوظيفة التي وضع من أجلها؟ هل وضع النص الفلسفي يخدم كل من المحاور والموضوعات؟

1- النص من مجال اللغة الى مجال تعلم الفلسفة

1-1مفهوم النص لغة واصطلاحاً:

التساؤل عن النص الفلسفي وجه من أوجه التساؤل عن النص عامة. النص الفلسفي ينتمي إلى عالم النصوص قبل انتمائه إلى حقل الفلسفة، لذا يعتبر تحديد مفهوم النص مدخلا ضروريا لمقاربة النص الفلسفي، ويستدعي ذلك مقاربة هذا النص من منظورات متعددة، وعلى الشكل التالي:

بدءً نشير إلى أن ظهور النص الفلسفي كان أول الأمر مع سقراط في شكله الشفاهي، (يمكن القول تجاوزا أن النص الفلسفي بدأ مع سقراط) ثم مع أفلاطون في شكله الكتابي. فما معنى النص لغويا؟ وما معناه في الاصطلاح؟

إن لفظة "النص" في اللغة العربية قد تكون اسم فعل، كما قد تكون صفة بمعنى مفعول، أما النص باعتباره اسم فعل، فمن نص- ينص، وهو مركب من "النون والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على رَفعٍ وارتفاعٍ وانتهاء في الشّيء"،(معجم الوسيط، ص926) ويدل على: الرفع والظهور: "نَصَّ الحديثَ إليه: رَفَعَهُ (...)، ونص الشيءَ: أظْهَرَهُ"،(المنهجي والمعرفي في تحليل النص الفلسفي، بدون سنة، ص 21) "ونَصَصْتُ الحديث إلى فلان، أي رفعته إلي"، "ونَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: رَفَعَه، وكل ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ (...) يقال: نَصَّ الحديث إلى فلان أَي رفَعَه، وكذلك نَصَصْتُه إليه (...) وكل شيء أَظْهرْته، فقد نَصَّصْته والمِنَصّة: الثياب المُرَفّعة والفرُشُ المُوَطَّأَة (لسان العرب، ص 860) .

أما لفظة "نص" حينما تكون صفة فهي بمعنى مفعول، شيء نص بمعنى مرفوع ومظهر، وسير نص بمعنى مرتب ومنظم "النصّ في السير إنما هو أَقصى ما تقدر عليه الدابة"، وكلام نص بمعنى مستقى ومستخرج ومنه "يَنُصُّهم أَي يستخرجُ رأْيهم ويُظْهِرُهُ؛ ومنه قول الفقهاء: نَصُّ القرآن ونَصُّ السنَّة أَي ما دل ظاهرُ لفظهما عليه من الأَحكام."(لسان العرب، ص 869)

بهذا نستنتج أن النص كاسم فعل تعني الرفع والإظهار، والترتيب والتركيب والاستقصاء والاستخراج. أما النص كاسم مفعول أو صفة فتعني المرفوع والمظهر والمرتب والمركب والمستقصى والمستخرج.

أما في اللغة الفرنسية فإن كلمة texte ترجع إلى الأصل اللاتيني Textus وتعني النسيج، وترد إلى فعل Textere بمعنى ينسج، فالنسيج يتكون من شبكة ومجموعة من الخيوط المتوازية، المرتبة على طول الشبكة، واستنادا إلى هذا الأصل الاشتقاقي، يكون النص نسيجا من الكلمات المنظومة في خطاب تأليفي ويقارن كاتب النص بالنساج، فالخيوط يصنعها من اللغة، إجمالا يمثل نسيجا من الكلمات المنخرطة ضمن وحدة قضايا تشكل كلا متكاملا ومتداخل العناصر تحكمها روابط منطقية، بحيث يمثل كل نص لإنتاج الدلالات ولفائض في المعنى. (المعجم الوسيط، ص 926)

مما سبق، يتبين لنا التقارب بين المفهومين: العربي و الغربي؛ وذلك أن النسيج فيه بذل وجهد يكتمل ويبلغ أقصاه إلى أن يكون بِساطاً؛ نتيجة لتفاعل عمليات يتم بمقتضاها ضم الخيوط إلى بعضها حتى يظهر ذلك، ويرتفع بعد أن كان خيوطا غير ظاهرة المعالم. وعليه، فلا يعد النص نصا إلا إذا كان نسيجا لغويا محكما، ظاهر الدلالة. أما النص اصطلاحاً فيشير إلى "قصدية دالة بالفعل،"(ميشيل بينوا- ميشيل كاري- ميشيل طوزي، بدون سنة، ص84) فهو بناء لغوي يتكون على الأقل من جملة مدركة إدراكا صوتيا وصرفيا، وسليمة تركيبيا، ومفيدة دلاليا.

والنصية بتعبير الدكتور طه عبد الرحمان هو "كل نص يتركب من عدد من الجمل السليمة، مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات." (المنهج والمعرفي...، بدون سنة ، ص 24) بهذا المعنى، فالنص هو بناء مركب لغويا، ويتكون على الأقل من جملة، والجملة تضم على الأقل قضية، والقضية هي تركيب ألفاظ وكلمات مرتبة على نحو سليم ومفيد، وبالتالي يصير النص تركيبا من قضايا تحكمها علاقات صوتية وصرفية وتركيبية وتداولية، تفيد معنى قابلا للفهم والتبليغ في العملية التواصلية، وبعبارة أخرى، النص هو متتالية متناهية من الجمل ومن العلاقات التي تحدد الإدراك الصوتي والصرفي والسلامة التركيبية المفيدة دلاليا.

والمتأمل في هذه التعريفات السابقة يجدها تتفق في المضمون بالمعنى العام، فتركز على وجوب إيجاد الالتحام اللغوي الأفقي والرأسي بين أجزاء النص، بالإضافة إلى تحقيق الانسجام المضموني بين أجزائه، فبمجموع هذين الجانبين يتشكل النص ويتحقق. إذن، كيف يكون النص فلسفيا؟ وما هي المقاييس التي تجعل من نص ما نصاً فلسفياً؟، وبعبارة أخرى، ما هي المعايير التي تحدد خصوصية النص الفلسفي؟

2-1النص الفلسفي:

يتفرد النص الفلسفي بخصوصيات تجعله أكثر النصوص جدارة بالقراءة والتحري والمساءلة والوقوف عند رهاناته ومقاصده، ويمكن أن نعتمد التحديد الذي صاغه أحد رواد التعليمية بفرنسا M. Carré في مؤلف: الدراسة الفلسفية للموضوعة والنص، ويعرف النص وفقا لقابليته؛ أي إمكاناته، فالنص الفلسفي من شأنه أن يكون:

حاملاً لرؤية كونية لها مرجعها في ما هو كوني وليس في ما هو فردي، بمعنى يقيم علاقة ما بين الحاضر والكوني.

نصا مؤلفا من شبكة مفاهيمية، وهذه الشبكة يمكن أن تشمل، إضافة إلى المفاهيم النسقية للكاتب، مفاهيم أخرى يقوم بنقلها، لأن كل نص يتقاطع مع نصوص أخرى ليتقارب في طرحه مع أطروحات أخرى أو يتناقض معها.

نصا يحرك التمثلات القائمة بالتوضيح أو الزعزعة، فهو يدفعها إلى التفكير بإثارته للمساءلة، أي أنه نص إشكالي يسعى إلى وضع تمثلات معينة موضع تساؤل، لأنه يضم نظام عرض خاص (منطقا) داخليا يدافع فيه عن مصداقية قوله.

نصا يتبنى قيما وفهما معينا للعالم، إذ كل نص يتوجه إلى القارئ بشكل عاد ويتوجه إلي بشكل خاص.(عزيز لزرق، بدون سنة، ص 64)

لذلك كان على قارئ النص الفلسفي أن يكون ذا ثقافة فلسفية وعلى دراية بخصوصية القول الفلسفي وشروط إمكانه والإطار الفكري العام الذي تندرج ضمنه المسألة المطروحة. فلا يمكن إذن أن نتصور قراءة بدون مقروء ولا مقروء بدون قارئ، لأنه إذا كان النص يشكل كيانا موضوعا قائم الذات، فالقارئ يشكل بدوره ذاتا لا تخلو من فرادة وتميز وانتماء وقصدية. وهنا تكمن المشكلة، مشكلة قراءة النص الفلسفي، متى نستحضر الطرفان معا في القراءة دون أن نغيب أي طرف أو نغلب طرف على آخر؟

هذا إن دلّ على شيء إنما يدل أن كل قراءة تحمل معها ذات القارئ؛ أي قراءة مختارة. فالنص ليس معزولا ومستقلا عن قارئه، فهو يستهدف قناعات القارئ أكثر من استهدافه لمواهبه، فهو نص يجعلنا نفكر معه وضده في ذات الوقت، نص يستفزنا ولهذا الغرض يستحضر النص الفسلفي، بصورة دائمة الأهداف النواتية لفعل التفلسف، من جهة حرصه على الصياغة المفهومية والصياغة الإشكالية والمحاجة.

النص بناء حجاجي استدلالي يروم الإقناع، ويقوم على الاستنباط المنطقي للنتائج انطلاقا من المقدمات ومن القضايا السابقة. "ويحدد معجم لالاند في قاموسه الفلسفي معنى الحجاج، وذلك بتقديم المعطيات التالية:

المحاجة أو الحجاج: هي سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي، إلى تأكيد نفس النتيجة، كما يرى بأن الحجاج طريقة في تنظيم واستعراض الحجج أو تقديمها.

الحجة: ويعتبرها بمثابة استدلال موجه لتشريع أو دحض أو تفنيد قضية معينة، ويرى من ناحية أخرى، أن البعض ينتهي إلى اعتبار كل حجة دليلا.

الدليل: إنه عملية توجه التفكير العقلي بصورة يقينية ومقنعة، وبذلك يتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها، ويحيل الدليل من جهة أخرى إلى الواقع، ليأخذ من ثمة مضموناً مادياً تصبح بموجبه الوقائع والأحداث والوثائق بمثابة أدلة. ويتميز الدليل عن الأشكال الأخرى للاستدلال بميزة الحقيقة، إذ أن كل ما يحمل عليه يعتبر في غالب الأحيان حقيقيا.

البرهنة: هي استنباط يوجه لتأكيد أو إثبات نتيجة، وذلك بالاستناد إلى مقدمات معترف لها بميزة الصدق أو الحقيقة."(فكر ونقد، 2001، ص83)

أضف إلى ذلك، أن النص الفلسفي هو بناء إشكالي، ونقصد بأشكلة النص أو الاستشكال Problèmatisation "القراءة التي من خلالها يبرز المشكل الذي يعالجه النص، ورهانات هذا المشكل. إن الأشكلة تعني أيضا أن نكشف من خلال قراءتنا عن الإشكالية الخاصة كما يعرضها النص بانتظام ... إنها تعني في الأخير وفي نفس الوقت التساؤل عن تصور المتعلم الخاص واختباره في محك النص"،(ميشيل توزي وميشيل كاري، 1996، ص 92) حيث يتجاوز السؤال إلى التساؤل النقدي، وعن طريق التساؤل تصير المعطيات الشائعة والبديهيات مشكلات تقلق التفكير، وهذا ينسجم مع تعريف طه عبد الرحمان للاستشكال بأنه"طلب الإشكال"، ولا بد أن تتوفر عمليات أربع في كل استشكال وهي:

"وضع الإشكالات وضعا، لأنه في الغالب الأعم إن الإشكالات الفلسفية ليس لها أصل.

استقبال الإشكالات.

تمحيص الإشكالات الفلسفية لتمييز ما هو فلسفي عن المسائل العلمية وأشباه الإشكالات.

الإبقاء على إشكالات والتخلي عن أخرى.

يتبين من خلال هذه العمليات الأربع أن تكوُّنَ إشكالية ما، يستلزم دائما وضع إشكالات ما في المركز ووضع أخرى في الهامش، حتى أنه بات اليوم مقبولاً اختصار كل استشكال في أمرين: التركيز والتهميش"،(جريدة العلم، 2001، ص4) وما دام النص إشكاليا فإن مهمة المتعلم، بمساعدة الأستاذ، هي الكشف عن أطروحة النص، والأطروحة عبارة عن إثبات قوي –والذي لا يكون أحيانا مصوغا بشكل صريح- يعكس ما يعنيه النص.

2- العلاقة بين نصوص الكتاب المدرسي والنصوص والمحاور والموضوعات

تجمع بين نصوص الكتاب المدرسي أنماط متعددة من العلاقات: علاقة تكامل، علاقة تضاد، علاقة تمايز، علاقة تداخل وغيرها. وما يلاحظ خاصة على النموذج الذي نحن بصدد دراسته وهو الكتاب المدرسي في "رحاب الفلسفة للسنة الأولى من سلك الباكلوريا"، هو أن جميع المفاهيم (الدروس)، تندرج بها ستة نصوص، نصين داخل كل محور، والعلاقة التي تربط فيما بينها حسب الكتاب المدرسي، هي علاقة التضاد، التي تمثل ما نسبته 81%، في حين تبقى كل من علاقة التطوير والتداخل تمثل 4%، أما فيما يخص علاقة التكامل فتمثل 10%، في حين تبقى علاقة التمايز تمثل 5% من مجموع علاقات النصوص.

تهدف هذه الدراسة إلى مساءلة هذه العلاقات وترصدها بالفحص والتدقيق، وذلك بغية التحقق من: هل فعلا وضع النصوص في الكتاب المدرسي يتماشى و الوظيفة التي وضع من أجلها؟

قبل الحديث عن علاقة النصوص بالمحاور والموضوعات، وعلاقة النصوص فيما بينها، يجب مساءلة ما يسمى بالوضعيات المشكلة المبثوثة في الكتاب المدرسي، باعتبارها نصوصا تهدف إلى استشكال المفهوم المراد دراسته.

تشكل الوضعية المشكلة ضمن المقررات الدراسية المغربية، العتبة الأساسية لكل عملية تعليمية تعلمية، ولهذا الاعتبار يتصدر كل مفهوم من المفاهيم الفلسفية المقترحة في كتاب: "في رحاب الفلسفة" وضعية مشكلة، وذلك من أجل إقحام المتعلم داخل اللحظة المزمع بناؤها، وذلك بخلق وضعية التوتر المعرفي لديه، من خلال زعزعة المفاهيم المسلم بها، واستفزاز ذهنه عن طريق التقابلات الباعثة على اليقظة الذهنية، والحاثة على الشك المنهجي والمسترسل، إذ بدون هذا لن يسعى المتعلم إلى الاستفهام بطرق منظمة فيما قد يعترضه ويواجهه من قضايا إن في الحال أو في المستقبل.

وبناءً على ما سبق، هل استطاعت بعض الوضعيات المشكلة المقترحة في الكتاب المدرسي "في رحاب الفلسفة" في أداء وظيفتها، خاصة التوتر الفكري ووضعية الإحراج الوجيه، بالمعنى السقراطي؟

لقد أورد المؤلفون لكتاب: "في رحاب الفلسفة" مقتطفا من رواية: "الثعلب الذي يظهر ويختفي"، للمبدع المغربي " محمد زفزاف"، (الكتاب المدرسي في رحاب الفلسفة، 2008، ص 59) كي يؤدي وظيفة "وضعية مشكلة" لدراسة مفهوم المجتمع، لكن المتأمل في هذا النص الروائي سيجده بعيد كل البعد عن الإشكالات المطروحة في مفهوم المجتمع، إضافة إلى كون هذا النص يعالج مسألة الهامش والمهمش، وهو إطلالة على التهميش و الإقصاء الذي يطال الناس البسطاء والفقراء والمعدومين في المجتمع المغربي، بطريقة فنية أدبية وجمالية عالية. وبالتالي لا يحقق الوظيفة التي وضع من أجلها وهي خلق نوع من التوتر الفكري والقلق لدى المتعلم، من خلال استخراج تقابلات تفضي بنا إلى طرح التساؤلات، وإلى بناء مفهوم المجتمع. لذلك يجب البحث عن نص بديل يكون أكثر ملاءمة لوظيفة وضعية مشكلة.

لقد سقط المؤلفون للكتاب المدرسي: " في رحاب الفلسفة" -فيما يتعلق بالوضعية المشكلة - في نوع من التنميط الذي لامبرر له: فقد اختزلت الوضعيات المشكلة المستهلة للدروس في صيغة نصية "عالمة "تمثلت في مقتطفات من كتب تنتمي إلى سجلات أدبية وجمالية تحتاج بدورها إلى "توسط" بيداغوجي لفهمها من قبل المتعلمين واستيعاب دلالاتها، فما بالك بإدراك الاستشكالات الثاوية خلفها: إن نصوص جبرا ابراهيم جبرا ومحمد برادة وخليل المرابط وأحمد عيدون الباحث في التراث، تعني الشيء الكثير للباحثين، ولكنها "لاتقول" شيئا لمتعلمين مبتدئين، خصوصا وأنها ليست نصوصا للتحليل ترد كمثيلاتها أثناء البناء الإشكالي للمفهوم. حيث يفترض التوقف عندها وتقريب دلالاتها من فهم المتعلمين، ومن واقع تجربتنا الفصلية المتواضعة، نستطيع أن نزعم أنها لا تضع المتعلم في أية وضعية مشكلة حقيقية مقلقلة تستنفر مداركه وتعلماته السابقة، وتدفعه إلى الانخراط الفعال في عملية التعلم الذاتي بحثا عن حلول للوضعية... وبالمقابل فإن نص السفير-الرحالة ادريس العمراوي مثلا، حيث يصف بكل اندهاش "البابور" أي القطار البخاري أثناء رحلته إلى باريز حوالي سنة 1867 - هذا النص يثير بالفعل نواة وضعية مشكلة، لأن بإمكان المتعلم أن يتمثل الموقف ويضع نفسه مكان سلفه، وهو وفي وضعية "صدمة التقنية".

ومن هنا يأتي رفض، على المستوى البيداغوجي، إلقاء الوضعية المشكلة كما هي موجودة في الكتاب المدرسي، بصورة جاهزة ومبتذلة. لذلك من الأجدر، العمل على بناء المفهوم واستشكاله انطلاقا من الدلالات المعجمية، و الدلالات الفلسفية، بغية خلق توتر ذهني انطلاقا من التقابلات التي تطرحها دلالات المفهوم، وبالتالي تحقيق الغاية المنشودة، وهي إقدار التلميذ على مساءلة البديهيات و المسلمات من الأفكار والتصورات والقضايا والمفاهيم التي يستدخلها من خلال عدة وسائط، من بيناها وسائل الإعلام، أو من خلال مساءلة تمثلاته المسبقة وجعلها مادة لإبراز عنصر الإحراج والمفارقة التي تؤدي إلى العصف الذهني، وبالتالي التشكيك في تمثلاته ومحاولة الانخراط للإجابة عن كل الإشكالات التي خلقتها المفارقات في ذهنه.

وبخصوص الإشكالية، نجد الكتاب المدرسي في رحاب الفلسفة للسنة الأولى باكلوريا - وشأن ذلك شأن باقي الكتب المدرسية الأخرى لمادة الفلسفة- يقدم الإشكالية جاهزة إلى المتعلم ليبقى الفعل التربوي يخبط خبط عشواء.

وكما هي الحال بالنسبة للوضعيات المشكلة، فإذا نظرنا في التمارين الجزئية المصاحبة للنصوص المبثوثة في الكتاب المدرسي " في رحاب الفلسفة"، نجد أن التمارين تتكرر بصيغة واحدة ونمطية على طول الكتاب المدرسي، فقد عمد المؤلفون إلى إخضاع النصوص لصيغة واحد من التمرين (أسئلة القراءة والفهم:...- أحلل المجال الاشكالي للمفهوم:...، - اركب نتائج تحليلي:...) (الكتاب المدرسي في رحاب الفلسفة، 2008، ص 1) كما نجد أن كل الصيغ جاءت بفعل الأمر (استخرج، وضح، صغ،...)، وعوض أن يكون التمرين نتاج لخصوصية وطبيعة النص الفلسفي، التي تفرض طبيعة التعامل معه، وبالتالي تحديد خطة قراءته نجد العكس، أن النص هو الذي يخضع للصيغة الوحيدة والنمطية للتمرين.

أما على مستوى وضع النصوص، نرى أنها تتعرض لاجتثاث من سياقها الفلسفي والنظري ووضعها في سياقات أخرى لا تخدمها بثاثا، وسنقتصر على بعض الحالات في هذا المقام:

فمن خلال تعاملنا مع نص" ر.ديكارت" المبثوث في الكتاب المدرسي ضمن مفهوم التقنية، وجدنا هذا النص المعنون بالسيطرة على الطبيعة، لا يخدم بالبث والمطلق محور تطور نتائج التقنية، هذا من جهة، ولا يفيد مقاربة الإشكال المطروح، من جهة أخرى. فهذا النص يمكن وضعه في مجزوءة الطبيعة والثقافة بالنسبة للجدوع المشتركة، وبالضبط المحور الثالث: الطبيعة موضوع للنشاط الإنساني. فديكارت لم يتحدث في هذا النص عن التقنية بحد ذاتها، بل عمل على قطع الصلة مع الفلسفة النظرية واستبدالها بفلسفة عملية تروم معرفة قوانين الظواهر الطبيعية واستخدام هذه المعرفة وتحويلها لمصلحتنا، ومن ثم يصبح الإنسان سيدا على الطبيعة ومالكا لها، و بالتالي فهي دعوة إلى اعتبار الطبيعة موضوعا للنشاط الإنساني. ونستنتج من رأي ديكارت أن علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة سيطرة وتحكم ومواجهة، وهذه العلاقة المحكومة بهذه الرؤية هي التي برزت مع بزوغ العلم الحديث في أوروبا، حيث تبيّن للعلماء أن معرفة الطبيعة والإمساك بقوانينها لا يتأثر إلا بقوانين العلم. لكن إذا كان العلم قد سمح للإنسان بمعرفة كثير من القوانين المتعلّقة بالظواهر الطبيعية، فهل هذه الصورة الإيجابية هي الصورة الوحيدة التي أسفر عنها ظهور العلم؟ انطلاقا من هذا التساؤل جاء وضع النص في درس التقنية، فقد أراد المؤلفون هنا ان يبينوا بأن للعلم- بارتباطه بالتقنية – نتائج ايجابية على وجود الانسان، ليضعوا بعد ذلك نص لمشيل سير (الكتاب المدرسي في رحاب الفلسفة، 2008، ص 74-75) ، كنص محاور لنص ديكارت الذي يدعوا فيه إلى التحكم الذي دعى إليه ديكارت المتمثل في السيطرة على الطبيعة. لكن، هذا ليس بمبرر، فديكارت لم يتحدث عن التقنية أو نتائجها بل عن العلم، فقد أراد ديكارت في هذا الصدد أن ينتشل الفلسفة من سباتها وتبعيتها للفكر الوسيط، وبالتالي العمل على تحرير العقل الإنساني في تلك المرحلة من الأفكار الكنسية السائدة، وبالتالي كان يهدف إلى تحرير الإنسان من الحجر والوصاية.

ولنورد مثالا آخر على الوضع غير الصائب للنصوص المبثوثة في الكتاب المدرسي: "في رحاب الفلسفة"، ففي مفهوم المجتمع، وبالضبط المحور الثالث: سلطة المجتمع، نجد نص "أليكسيس دو طوكفيل،" (الكتاب المدرسي في رحاب الفلسفة، 2008، ص 54) الذي يتحدث عن الديمقراطية في أمريكا، كشكل من أشكال الحكم، باعتبارها سياسة تنميط وتحنيط وقهر، وإنتاج مواطنين متشابهين ومنعزلين يغرقون في ملذات الحياة، وبالتالي لا يشاركون في تسيير وتدبير شؤون الدولة، ومن هنا نتساءل: من أين تستمد السياسة الأمريكية- الحكم/الدولة- مشروعيتها؟ لنجد أنفسنا هنا نتحدث عن مفهوم الدولة، لا مفهوم المجتمع. وفي رأينا فإن هذا النص يخدم مقاربة مفهوم الدولة على أن نقارب به مفهوم المجتمع، نظراً للطابع السياسي الذي يميزه، وكذا النسيج المفاهيمي المكون له.

إضافة إلى هذين النموذجين الشاهدين على مدى اعتباطية النصوص المبثوثة في الكتاب المدرسي: "في رحاب الفلسفة" للسنة الأولى باكلوريا، نستزيد تأكيدا على ذلك من خلال ملاحظة أخرى، هي عدم احترام الفارق الزمني بين النصوص، بحيث نجد أن مؤلفي "كتاب في رحاب الفلسفة " لم يراعي التحديد الكرونولوجي لتاريخ الفلسفة، أو الحقل الابستيمي للفلاسفة، زد على ذلك كون بعض النصوص التي لا تصلح للتحليل، قد وظفت لهذا الغرض، في حين هناك نصوص كان من الممكن استثمارها كنصوص مناقشة / محاورة لنصوص التحليل.

ملاحظة أخرى، في الكتاب المدرسي: "في رحاب الفلسفة" - وهذا يسري على جميع الكتب المدرسية الأخرى - كم هائل من النصوص المبثوثة، وهذا يطرح للمدرس مشكلا، في علاقته بالكتاب المدرسي وبالغلاف الزمني المحدد، فنجد أن المدرس هنا يسرع

و لا يراعي القدرات المستهدفة من وراء الفعل التعليمي، وبالتالي تطرح هنا إشكالية مدى تحقق الكفايات المنشودة، ليخرج التلميذ في الأخير خالي الوفاض. ونود أن نشير هنا إلى أن الكتاب المدرسي لم يحقق ما ينشده من تنمية الكفايات لدى التلميذ، بقدر ما أصبح التلميذ هنا متلقيا سلبيا يتلقى المعرفة من طرف المدرس بشكل عمودي، نظرا لكون الأستاذ مقيد بغلاف زمني معين، إذا أخذنا بعين الاعتبار الكم الهائل من النصوص وكذا كثرة المفاهيم/الدروس، وبضرورة إنهاء المقرر خاصة، مع الثانية بكالوريا، وقد لا حظنا خلال الوضعيات المهنية كيف أن بعض المدرسين، يقومون بانجاز محور كامل، في ساعتين، مكون من ثلاثة نصوص، حيث يصبح الأستاذ لا يجد بدا من الإملاء على التلاميذ، وبالتالي نسقط في بيداعوجيا التدريس بالمحتوى عوض التدريس بالكفايات.

مما سبق، نرى أن وضع النصوص بالكتاب المدرسي: "في رحاب الفلسفة"، سواء في علاقتها بالمحاور والموضوعات أو فيما بين بعضها البعض، يتميز بالاعتباطية واللاعقلانية.

وتبقى عموما العلاقة بين النصوص والمحاور هي علاقة تفسيرية توضيحية تهدف إلى الإجابة عن السؤال المطروح، في بداية المحور فنجد هنا أن النصوص هي بذلك إما سجالية أو نقدية أو نصوص إشكالية، أي أنها تجيب على سؤال ضمني أو صريح، إضافة إلى بعض النصوص التقريرية.

3- العلاقة بين النص الفلسفي و المبتغى من التعلم

لقد أصبح تدريس الفلسفة بواسطة النصوص قناعة راسخة، حيث استجاب للتعليمات الرسمية لوزارة التربية الوطنية، فهو يشكل دعامة أساسية من الدعامات الأساسية في الدرس الفلسفي بعد التحويل الديداكتيكي، لأنه يهدف إلى "خلق تواصل تفكيري بين المتعلم وخطاب الفلسفة، فإنه يجد في النص الفلسفي مادة هذا التواصل، ويلفي فيه وسيلة تكفل تحقيق الأنشطة التفكيرية والمنهجية التي يقصد درس الفلسفة إكسابها للمتعلم،"(عبد المجيد انتصار، 1997، ص 47) وبهذا فقط، تتحول الفلسفة إلى حوار وممارسة وتعلم للتفكير، وبالتالي يحق القول بأنه لا يجب تعليم أي فلسفة من الفلسفات، بل فقط نكتفي بتعليم التفلسف، وفي هذا دلالة واضحة إلى رفض الطرائق التقليدية في التعليم والتي كانت تقتصر على الإلقاء، والحفظ والاستظهار، والذي بموجبه يبقى المتعلم مجرد جهاز مودعات، وبمقابل ذلك، دعوة إلى الطرائق الفعالة التي تجعل المعلم/الأستاذ مجرد منشط ومرشد، إذن علينا كمدرسين تعليم التفلسف عن طريق الحوار التوليدي، وعن طريق البناء لا الإلقاء، بهذا وحده تتركز إستراتيجية التعلم الذاتي القائم على مراعاة قدرات التلاميذ على الاندماج. ضروري والحالة هذه "تجاوز حشد أذهان المتعلمين بالمعلومات الجاهزة، وتجاوز تقبلهم السلبي لها، وذلك قصد تمرسهم على التعامل مع النص الفلسفي من حيث مفاهيمه وتراكيبه وبنائه ومحتوياته وأطروحاته." (عبد المجيد انتصار، 1997، ص 47)

إن النص الفلسفي بتوظيفه في عملية التدريس، يخلق وضعية تعليمية تهدف إلى إثارة مختلف الأنشطة الفكرية للمتعلم، وخلق تفاعل وحوار بين المدرس والمتعلمين، وبينهم جميعا والمادة التعليمية نفسها. ويتم استخدام هذا النص أو ذاك، حسب نوعيته ومحتواه، في موقع معين في مسار الدرس الفلسفي في التمهيد له، أو في مراحل تحليل عناصره وأفكاره، أو في خلاصاته واستنتاجاته، فالنص الفلسفي يحتل هذا الموقع أو ذاك انطلاقا من كونه نصا إشكاليا أو حجاجيا، أو نقديا تقويميا، أو تعريفيا تقريريا، وإن هذه السمات هي ما جعل النصوص الفلسفية، مثل أي نصوص أخرى، نصوصا تعليمية، يتم تشغيلها لأغراض بيداغوجية تربوية وهو الأمر الذي يقتضي طريقة ما للاشتغال بالنصوص في تدريس الفلسفة. لكن، واقع الأمر بالنسبة للتلاميذ، وفق معاينتنا الميدانية أثناء التدريس، فإن العلاقة بين النص، الذي يهدف إلى خلق وضعية تعليمية تثير مختلف الأنشطة الفكرية للمتعلم، غير واردة الحصول، نظراً للتمثلات التي يحملها التلاميذ على النصوص الفلسفية، من قبيل التعقيد و الغموض والإبهام، إضافة إلى اتخاذ النصوص كغاية وكهدف بحد ذاته، لا كوسيلة من أجل تنمية قدرات المفهمة والأشكلة والمحاجة.

4- ربط الاشتغال بالنص بالكفاية الأساس:

اتجاه مقرر مادة الفلسفة نحو التدريس بالنصوص، هو في الحقيقة رفض للطرائق التقليدية في التعليم، والتي كانت تقتصر على الإلقاء، والحفظ والاستظهار، والذي يبقى بموجبه المتعلم مجرد إناء قابل للملأ، وبالمقابل نجد الطرائق الفعالة التي تجعل

من المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية، والأستاذ يستحيل إلى مجرد منشط ومرشد. ومن أجل تحقيق وتنمية الكفايات المنشودة من طرف منهاج الفلسفة، المتمثلة في الكفاية الإستراتيجية والتواصلية والمنهجية والثقافية والتكنولوجية التي نصت عليها البرامج والتوجهات التربوية الخاصة بتدريس الفلسفة، التي تستهدف مجموعة من القدرات لتنميتها، التي تتجلى في: الوعي

بالذات وتقديرها الايجابي، والاستقلالية في اتخاذ القرار والمبادرات والتحكم الواعي في الاختيارات والقرارات وتحمل مسؤوليتها، وانفتاح الذات على الآخر، وذلك في إطار علاقة أساسها الاحترام المتبادل والحفاظ على كرامة الإنسان وصيانتها، بوصفها غاية في ذاتها وليست وسيلة، العمل على والنهوض بالواجبات والمسؤوليات الناجمة عن العيش والعمل داخل الجماعة. (التوجهات التربوية و البرامج الخاصة بتدريس مادة الفلسفة بسلك التعليم الثانوي التاهيلي"، 2007،ص7.) إضافة إلى الحوار والمناقشة وتقبل كلام الآخر الذي يتمثل في كلام التلميذ والأستاذ والنص الفلسفي، على نحو نقدي وممحص. كما تستهدف كذلك قراءة النصوص الفلسفية، قراءة منظمة، وفهمها ودراستها ومناقشتها و التعليق عليها، إضافة إلى تنظيم العمل والتفكير، بتحديد أهدافه ووسائله وتحديد خطوات إنجازه، واكتساب آليات التفكير الفلسفي الأساسية المتمثلة في: الملاحظة، المقارنة، والاستدلال والتحليل والتركيب، النقد، والحجاج... وتحقيق التماسك المنطقي في التعبير والكتابة عن طريق التحكم في أدوات الربط المنطقي، ووضع خطط لمعالجة إشكالية فلسفية مجردة أو ملموسة، متصلة بالحياة اليومية الفردية والمجتمعية. إضافة إلى إقدار المتعلم على تنظيم المعطيات (معلومات، معارف، موارد) في خطاطاتّ، لمواجهة وضعيات إشكالية جديدة. وتنص التوجهات التربوية في إطار الكفاية الثقافية على اكتساب معرفة فلسفية أساسية واستيعابها جيدا من المتعلم، واستدعاء معرفة متنوعة رافدة للتفكير الفلسفي، وتنمية القدرات الخيالية والإبداعية، من خلال إنتاجات فكرية شخصية تستثمر الأفكار والنظريات الفلسفية المكتسبة أو الأشكال الثقافية الأخرى. (التوجهات التربوية و البرامج الخاصة بتدريس مادة الفلسفة بسلك التعليم الثانوي التاهيلي"، 2007،ص8.)

من خلال كل ذلك، نجد أن التوجهات التربوية الخاصة بتدريس الفلسفة قد حاولت تجاوز البيداغوجية التقليدية، التي تقوم على حشد أذهان المتعلمين بالمعلومات الجاهزة، وتجاوز تقبلهم السلبي، عن طريق الحوار والنقد، وذلك من أجل تمرسهم على النص الفلسفي، من حيث مفاهيمه وتراكيبه وبنائه ومحتوياته وأطروحاته، كما نصت على ذلك التوجهات التربوية في إطار الكفايات المنهجية. ونحن هنا نتساءل، كيف ساهمت النصوص الفلسفية، خاصة الموضوعة في كتاب: "في رحاب الفلسفة"، في تنمية الكفايات التي لا يحققها الدرس الإلقائي التقليدي؟

يعتبر النص مجالاً خصباً ينهل منه المتعلم، منبع يتشرب منه طرق تفكير الفيلسوف وأسلوب كتابته الاستدلالية الحجاجية، مما يحصر دور الأستاذ في الإرشاد وتصحيح مسار التلميذ وتوجيهه نحو الوجهة الصائبة. وبالتالي، فتعامل التلميذ مع النص، يقلص من ارتباطه بالأستاذ وبما يمليه. فالاتصال المباشر بالنصوص من قبل المتعلم، هو في حد ذاته اتصال مباشر بالمجال المفاهيمي، والآليات الحجاجية، باعتبار "النص وسيلة وأداة تصل المتعلم بالخطاب الفلسفي كمضمون معرفي وطريقة للتفكير تستدعي التدريس بالأسلوب البرهاني الحجاجي للنص الفلسفي، لأن هذا الأسلوب يسمح بوضع المتعلمين في موقف تواصلي تفكيري مع النص مضمونا ومنطقا"،(عبد المجيد الانتصار، 1979، 47) كما أن النص يثير ويستفز شخصية المتعلم، ذلك إما من خلال مفاهيمه، أو تناقضات مع ذاته، أو مع الواقع، أو مع نصوص أخرى، مما يجعل المتعلم في وضعية مشكلة تتطلب إيجاد حلول للخروج منها. كما يستهدف النص كذلك إقدار التلميذ على تحليل النصوص الفلسفية، استعدادا لاجتياز الامتحانات، وأن يطور خبرته في تحديد المفاهيم والعلاقات بينها، وكذا إشكالات النص وحجاجه، و بالتالي، امتلاك التلميذ لبعض السمات

الخاصة بالثقافة الفلسفية. لكن، هل يوفر وضع النصوص و التمارين المصاحبة لها في الكتاب المدرسي في رحاب الفلسفة، هذه الإمكانيات؟

لقد اعتمد كتاب في رحاب الفلسفة على النصوص باعتبارها الأساس المعرفي للمادة، وباعتبارها أداة من أجل تنمية الكفايات المتمثلة في : القراءة الفلسفية، والكتابة الفلسفية ثم الأشكلة. لكن، وضع النصوص وطريقة تحليلها مع التلاميذ داخل الفصل الدراسي، لا تخدم تحقيق هذه الكفايات، وذلك راجع أولا إلى كون الكتاب المدرسي في رحاب يعاني من كثرة الدروس، والنصوص في علاقتها بالحيز الزمني الضيق، مما يجعل الأستاذ يسرع من أجل إكمال الدروس المفروضة عليه قانونيا. مما يجعلنا نسقط في نقيض ما ينشده المنهاج التربوي، ألا وهو الإلقاء للدروس عن طريق الأستاذ، ليصبح التلميذ مجرد متلقي سلبي، كما أن ضيق

الوقت يجعل من الأستاذ يتخلف عن قراءة بعض النصوص وتحليلها مع التلاميذ، ويكتفي بإملاء الملخصات، أي مضامين وأفكار الفلاسفة، إضافة إلى كون الكتاب المدرسي في رحاب الفلسفة، يقصي إنماء كفاية استشكال المفاهيم، وذلك لكون جميع الإشكاليات معطاة بشكل مباشر وقبلي للتلميذ في الكتاب المدرسي، فالإشكالية ليست ناتجة عن توتر ذهني للتلميذ.

ومن خلال ما سبق، نخلص إلى أن النص الفلسفي، بالرغم من كونه يعد منبعا لما هو معرفي ومنهجي، إلا أن طريقة وضعه، وكذا الكم الذي تغرق فيه المقررات الدراسية لمادة الفلسفة، يجعل من النص مجردا من إمكانياته التعليمية التي يتيحها للمتعلم. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، لا يستدعي ذلك استحضار النص كمادة أساسية فقط، بل العمل على دراسته دراسة برهانية حجاجية، تمكن التلميذ من ضبط الكتابة الإنشائية الاستدلالية.

على سبيل الختم:

خلصت الدراسة إلى كون الكتب المدرسية تعاني من كثرة المفاهيم/الدروس، وكذا النصوص، مقارنة بزمن التعلمات الأسبوعي المتمثل في ساعتين في الأسبوع. الأمر الذي يجعل العملية التعليمية التعلمية تأخذ مسارا آخر، هو الإسراع من أجل إستكمال المقرر الدراسي (الكم على حساب الكيف) لتقع الكتب المدرسية في مناقضة ما تنشده من تحقيق القدرات وإنماء الكفايات. أما على مستوى التمارين الجزئية فقد خلصت الدراسة إلى أنها لا تساعد المتعلم على فهم النصوص الفلسفية الموضوعة، بحيث أن هذه التمارين جاءت إسقاطيه على جميع النصوص بشكل نمطي، وبصيغة أمرية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، إن وضع الوضعية المشكلة المستهلة لجميع المفاهيم من أجل أشكلة المفهوم لا تحقق هذه القدرة لدى المتعلم، فقد سقطت الكتب المدرسية في نوع من التنميط الذي لا مبرر له. حيث اختزلت الوضعيات المشكلة في صيغ نصية "عالمة" تمثلت في مقتطفات من كتب تنتمي إلى سجلات أدبية و جمالية، تحتاج بدورها إلى "توسط بين بيداغوجي" لفهمها من قبل المتعلمين واستيعاب دلالتها، فما بالك بإدراك الاستشكالات الثاوية خلفها.

المراجع

- جريدة العلم،(17 مارس 2001.) العلم الثقافي.
- عبد المجيد الانتصار: (1997) " الاسلوب البرهاني و الحجاجي في تدريس الفلسفة : من أجل ديداكتيك مطابق"، السلسلة البيداغوجية العدد02، دار الثقافة و التوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الاولى.
- عزيز لزرق،(1997) أسئلة الفلسفة ورهانات تدريسها، التبليغ ، التفلسف، الكتابة. الطبعة الأولى.
- فكر ونقد: مجلة ثقافية شهرية، العدد 39، السنة الرابعة، مايو، 2001، ملف العدد: "الفلسفة إلى أين؟".
- في اشكالية قراءة النص الفلسفي، وثيقة مرجعية ، تأليف عدد من الاساتذة، اشراف محمود بن حمامة متفقد عام .
- قراءة في القراءة، (العدد48/49) العرب والفكر العالمي.
- الكتاب المدرسي (2008) في رحاب الفلسفة، للسنة الاولى باكلوريا .
- لسان العرب لابن منظور.
- المعجم الوسيط.
- ميشيل بينوا- ميشيل كاري- ميشيل طوزي: الدراسة الفلسفية للموضوعة والنص"، دراسات فلسفية، ، ترجمة عزيز لزرق- محمد شريكان.

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

Conversion from Islam to irreligion: the reasons and the process

Abdelali Saber

Chouaib Doukkali University of El Jadida. Morocco

Email: saber.a@ucd.ac.ma

: 0009-0002-3887-5059

Abstract

This research aims to reveal the reasons and circumstances of the conversion of Moroccans from Islam to irreligion, and thus to highlight certain aspects of the belief dynamics observed in Morocco. This research was based on a qualitative approach by conducting 16 interviews with irreligious Moroccan people. The results of the research showed that the irreligion of Moroccans in general is due to cognitive reasons related to free thought and openness to scientific thought and the results of science, and that the break with religion is a process in which we can distinguish between three stages: questioning, doubt, and abandonment of religion, and thus the irreligious person becomes aware of his irreligion.

Keywords: irreligion: atheism; deism; agnosticism; conversion.

التحول من الإسلام إلى اللادينية: الأسباب والسيرورة

عبد العالي صابر

جامعة شعيب الدكالي بالجديدة. المغرب.

الايميل: saber.a@ucd.ac.ma

حساب : 5059-3887-0002-0009

ملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أسباب وظروف تحول مغاربة من الإسلام إلى اللادينية، وبالتالي فهو يسلط الضوء على جوانب من الدينامية الاعتقادية التي يشهدها المغرب. وتم الاستناد في هذا البحث على المنهج الكيفي من خلال إجراء 16 مقابلة مع لادينيين مغاربة، بالإضافة إلى المشاركة في عدد من لقاءات اللاَّدينيين ببعضهم البعض. وأسفر البحث عن نتائج مؤداها أن لادينية المغاربة في العموم ترتبط بالتفكير الحر وبالانفتاح على الفكر العلمي ونتائجه، وأن القطيعة مع الدين عبارة عن سيرورة يمكن التمييز فيها بين أطوار هي: التساؤل، والشك، ثم الرجوع عن الدين حيث يتحقق لدى اللاديني وعي بلادينيته.

الكلمات المفتاحية: اللادينية؛ الإلحاد؛ الربوبية؛ اللاأدرية؛ التحول الاعتقادي.

مقدمة

اللاَّدينية L'irréligion ou l'irreligionisme موقف رافض للدين دون أن يعني هذا بالضرورة معاداته ومعاداة المؤمنين به. كل من لا يؤمن بالأديان على اختلافها ويعتبرها إنتاجات بشرية لا علاقة لها بالوحي ولا يسلم بما تتضمنه من أفكار ومعتقدات فهو لاديني irréligieux. واللادينية ليست فلسفة أو مذهبا فكريا، إذ لا يُشترط في اللاديني أن ينتج أفكارا من أي نوع، فقط رفضه للدين يجعل منه لادينيا، وهو ليس مضطرا ليكون له مذهب واضح في القيم والمجتمع والعلاقات والقضايا الإنسانية والوجودية حتى يكون لادينيا، مع أنه من الوارد أن يربط لادينيون أفكارهم وفلسفتهم في الحياة بلادينيتهم. ونميز عادة بين ثلاث طوائف من اللادينيين: الملاحدة Athées، والرُّبُوبِيُون Déistes، ثم اللاَّأَدرِيُون Agnostiques. والمشترك بين هؤلاء هو رفضهم للدين، لكنهم يختلفون في أشياء أخرى.

لا يكتفي الملحد بعدم الاعتراف بمصداقية الدين، بل ينكر أيضا وجود الإله كيفما كانت طبيعته. والمصطلح الفرنسي Athée مشتق إيتيمولوجيا من الكلمة اليونانية αθεός، و التي تتشكل من جزئين: الحرف α الذي يدل على معنى السلب (alpha privatif)، وكلمة θεός التي تعني إله, أي أن الكلمة تعني حرفيا اللاَّإله (Mazure. 1863, p. 16). وفي "قاموس الدين" Dictionnaire de la religion يعرف كلود فرونسوا نونوت Claude François Nonnotte الملحد بأنه: «الإنسان الذي لا يعترف بوجود أي إله، الإنسان الذي ينفي وجود إله» (Nonnotte. 1819, p. 46). وفي "موسوعة لالاند الفلسفية" نجد تعريفا للإلحاد (أو التلحيد) Athéisme يقول: «عقيدة قوامها إنكار وجود الله» (لالاند. 2001، ص. 107). أما في "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" فالإلحاد هو «إنكار وجود أي إله أو إنكار وجود إله مشخص، والمعنى الأول أكثر شيوعا. كذلك يرفض الإلحاد جميع الحجج التي يستند إليها المفكرون في التدليل على وجود الله» (بدوي. 1982، ص. 29). ويمكن أن نميز في طائفة الملاحدة بين فئتين: فئة أولى "لا تؤمن" بوجود إله، وفئة ثانية "تؤمن" بعدم وجوده، وترى الفئة الأولى أنه لا يوجد دليل مقنع على وجود إله وتقف عند هذا الحد، أما الفئة الثانية فتبحث عن أدلة تؤكد عدم وجود إله إلى جانب نقدها لأدلة المؤمنين.

طائفة الربوبيين أو الألوهيين تنكر الدين، لكنها تؤمن بوجود إله قد يكون خالقا للعالم إلا أنه لا يتدخل في سير أحداثه ولا يعطل القوانين الطبيعية التي تجري وفقها الأشياء. ولا يؤمن الربوبيون بالأفكار الميتافيزيقية كالنبوة والمعجزة، والإله في تصورهم ليس هو إله اليهودية (يهوه)، ولا إله المسيحية (المسيح)، ولا إله الإسلام (الله)، ولا كبير الآلهة اليونانية (زوس)، إلخ. كل واحد من هذه الآلهة هو "إله شخصي" Dieu personnel، بمعنى إله يتدخل في شؤون العالم ويراقب تصرفات الناس ويحب أشياء معينة ويكره أخرى، إلخ، لكن إله الربوبيين لا يمكن إلحاق صفة معينة به لأنه قد يكون مجرد فكرة أو تمثيلا لقوانين الطبيعة أو شيئا

من هذا القبيل. وعموما تختلف تصورات الربوبيين عن هذا الإله، لكنهم يتفقون على عدم ارتباطه بأي دين، فالربوبيون «لا يسلمون إلا بوجود الله [...] رافضين العقائد المذهبية المنزلة» (لالاند. 2001، ص. 257).

أما اللاَّأَدْرِيُّون فهم أيضا يَعتبرون الأديان كلها اختراعات وإنتاجات بشرية، لكنهم يتوقفون عن الحكم في مسألة وجود أو عدم وجود إله، وهم أيضا فِرق ومذاهب مختلفة؛ منهم من يرى أن الأدلة على وجود إله مكافئة في القوة للأدلة على عدم وجوده، ومنهم من يعتقد أن العقل البشري غير قادر، مهما اجتهد، على إثبات وجود أو عدم وجود الإله، وبالتالي فالموقف السليم والموضوعي، من وجهة نظرهم، أن يقول المرء "لا أَدْرِي"، ومنهم من يرجح وجود الإله على عدمه أو يفعل العكس لكنه لا ينفي أن تكون الإمكانية الأخرى هي الصحيحة. وعموما هناك من سيستنتج مما سبق أن اللاأدرية تؤدي إلى «إنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة، أي الاعتقاد بأن الإنسان لا يعرف أي شيء أعلى من المظاهر المادية» (لالاند. 2001، ص. 13)، واللاأدرية عموما «تسلم بوجود مرتبة من مراتب الحقيقة التي لا يمكن معرفتها بحكم طبيعتها» (لالاند. 2001، ص. 40).

يوجد في العالم اليوم 1.1 مليار لاديني يمثلون 16.3 في المئة من ساكنة العالم، وهم ثالث أكبر معتقد في العالم. يعيش 71 في المئة من هؤلاء اللادينيين في دول يُعتبرون فيها هم الأغلبية، أما 29 في المئة منهم فيمثلون أقليات داخل مجتمعاتهم. ويتمركز أغلب اللادينيين في آسيا ومنطقة المحيط الهادي بنسبة 76.2 في المئة، وتعتبر الصين أكبر تجمع في العالم للادينيين، إذ يمثلون فيها 52.2 في المئة من مجموع ساكنة الصين، تليها اليابان فالولايات المتحدة الأمريكية (Pew. 2013).

هناك عدد من المجتمعات يمكن وصفها باللادينية حيث اللادين فيها هو نمط الحياة السائد و"العادي"، وفي مثل هذه المجتمعات تفوق نسبة اللادينيين 70 في المئة من الساكنة الإجمالية حسب تقديرات احصائية. ففي السويد مثلا يمثل اللادينيون حوالي 85 في المئة من ساكنة البلد، ويمثلون في فييتنام 81 في المئة، وفي الدانمارك حوالي 80 في المئة، وفي النرويج حوالي 72 في المئة، وفي اليابان حوالي 65 في المئة. أما في التشيك وفنلندا وفرنسا وكوريا الشمالية فيتجاوز عدد اللادينيين نصف عدد الساكنة الإجمالية، وفي سبع دول أخرى في العالم يتجاوز عدد اللادينيين 40 في المئة (Martin. 2007, p. 56). وفي كثير من المجتمعات الغربية تعبر اللادينية اليوم عن نفسها بقوة من خلال تنظيمات مستفيدة من الحضور الفعلي للقوانين التي تحمي حرية المعتقد وحرية التعبير.

1. الإطار النظري والمنهجي للبحث

موضوع بحثنا إذن هو الأسباب الدافعة لمغاربة للتحول من الإسلام إلى اللادينية وكذا السيرورة التي يتم وفقها هذا التحول، وبالتالي إن شئنا التعبير عن إشكال البحث بشكل استفهامي فسيكون كالتالي: ما الذي يَحْكُمُ تحول مغاربة من الإسلام إلى اللادينية؟ وعن هذا الإشكال العام يتفرع سؤالان فرعيان كالتالي: ما الأسباب التي تدفع مغاربة للقطيعة مع الإسلام والتحول إلى اللادينية؟ وكيف يتم هذا التحول؟

وكفرضية عامة نرى أن بيئة اللاديني تسمح له بوجود إمكانات لتحوله نحو اللادينية، والمراد بذلك قدرته على الاتصال بمنظومات قيم وأفكار مختلفة تدفعه إلى إعادة النظر في المعتقد السائد في مجتمعه بشكل ينتج عنه نبذ هذا المعتقد. ونفترض أن الأسباب التي توجه مغاربة نحو اللادينية ترتبط أساسا باكتشافهم واكتسابهم لمعارف معينة تغير تصورهم عن الإسلام وتنقله –أي الإسلام- من المطلق إلى النسبي. ونفترض أخيرا أن التحول إلى اللادينية لا يتم بدون مقدمات، ولكنه بالأحرى عبارة عن سيرورة تتشكل من أطوار معينة يتدرج عبرها فعل التحول.

المنهج الذي اعتمدناه في إنجاز هذا البحث هو المنهج الكيفي عبر استخدام تقنيتين: أولا الملاحظة بالمشاركة، إذ شاركنا في عدد من اللقاءات التي جمعت لادينيين مغاربة ببعضهم البعض، وتمت هذه اللقاءات في مدن مغربية مختلفة. واعتمدنا أيضا بشكل أساسي على تقنية المقابلة، واستفدنا كثيرا من الطريقة التي يقترحها جون كلود كوفمان Jean-Claude Kaufmann في إنجاز المقابلة، والمقصود هنا المقابلة التفهمية l'entretien compréhensif، وهي نوع من المقابلات لا يكتفي فيه الباحث بطرح الأسئلة بشكل سلبي والاكتفاء بانتظار أجوبة المبحوث، ولكن ينخرط الباحث في موضوع البحث ويتفاعل مع المبحوث أثناء المقابلة لتحفيزه على إنتاج خطاب غني من حيث الدلالة، ونظن أن هذه هي الطريقة المناسبة لدراسة موضوع له خصوصيته كالموضوع الذي نعالجه في هذا البحث. وقد تم اجراء المقابلات مع 16 مبحوثا أغلبهم من مدينة الدار البيضاء، وأغلب هذه المقابلات تم من خلال الالتقاء بالمبحوث وجها لوجه. وجدير بالذكر أن اهتمامنا بمسألة اللادينية في المغرب نظريا وميدانيا هو جزء من اهتمام أوسع بمسألة حرية المعتقد والأقليات الدينية والاعتقادية في هذا البلد، اهتمام بدأ قبل سنوات ولا يزال مستمرا حتى اليوم.

2. القطيعة مع الدين

التحول الاعتقادي من الدين إلى اللاَّدِينِ هو حدث في حياة اللاديني، لكنه ليس دائما من نوع الأحداث التي لها بداية محددة معلومة. واللادينية، منظورا إليها من طرف اللاديني، هي اختيار حياتي وليس موضة سيتبع غيرها في غد. وحتى التعبير عن اللادينية بكونها اختيارا قد لا يكون تعبيرا موفيا، إذ هي تطور طبيعي لذاته كفرد خضع لمؤثرات نفسية واجتماعية وفكرية، ولهذا السبب بالذات يتعذر تحديد اللحظة التي أصبح فيها اللاديني لادينيا لأن التحول إلى اللادينية هو نفسه نِتَاجُ للحظات ولمخاض ولتراكمات مختلفة أدت بطريقة التدرج، وليس بطريقة الطفرة، إلى جعل اللاديني لادينيا.

الكثير من اللادينيين وهم يحكون عن مسار تحولهم يحاولون الوقوف عند بوادره وإرهاصاته، والتي أحيانا ما تكون أسئلة مُغْرِقَةٍ في بساطتها، لكنها شيئا فشيئا تؤدي إلى تغير جذري في نظرة اللاديني لنفسه وللمجتمع وللدين الذي أصبحت علاقته به بَرَّانِيَةً على المستوى الابستمولوجي وحتى الوجداني؛ فالدين لم يعد تلك المنظومة المعرفية والقيمية التي يتمثلها ويستحضرها وبها تتحدد سلوكاته وعلاقاته ونظرته للعالم وللأشياء. لقد أصبح يُنظر للدين من خارج غالبا بوصفه موضوعا للنقد. وقد يتمكن اللاديني من تحديد لحظة بزوغ إرهاصات التحول، وقد يتمكن أيضا من تحديد اللحظة التي شكل فيها وعيا بلادينيته، لكن بين لحظة الإرهاصات وبين لحظة الوعي بلادينيته هناك لحظات كثيرة لا يستطيع أن يُشير بالأُصبع إلى إحداها على أنها اللحظة الأكثر حسما في تحوله نحو اللادينية لأن الحاسم هنا هو تراكم تلك اللحظات وتسلسلها وليس استقلالها عن بعضها البعض.

2.1. أسباب التحول من الإسلام إلى اللادينية

بخصوص أسباب التحول إلى اللادينية يمكن القول ابتداء أن اللاديني المغربي، شأنه شأن أي لاديني نشأ في مجتمع متدين، هو في حاجة إلى سبب أو أسباب تدعوه إلى التمرد على الدين، وقد لا يكون هذا هو شأن اللاديني الذي ينتمي أصلا إلى مجتمع لاديني حيث اللادينية هي الأصل. إن اللاديني في السويد قد لا يحتاج غالبا إلى أسباب ليكون لادينيا لأن المجتمع لا يبث فيه تعاليم حتى يتمرد عليها ولا يُلْبِسُهُ زِيَّ الدين حتى يخلعه عنه فيما بعد. لكن في مجتمع ديني كالمجتمع المغربي، حيث يُعتبر الدين جزء من وعي المجتمع الذي يمارس قهره على الأفراد، فإن الفرد يحتاج غالبا إلى أسباب تدعوه إلى نبذ ما نشأ عليه من معتقدات دينية أصبحت جزء من تكوينه الفكري والنفسي والاجتماعي.

الأسباب التي تدفع المغربي إلى ترك الدين هي في الواقع مزيج من انفعالات النفس ويقظة العقل وثورة الوعي الفردي على الوعي الجمعي، ولذلك غالبا ما يعبر عنها اللاديني وهو يحكي قصة تحوله من الدين إلى اللادين، قصة تتضمن أحداثا وأسئلة وشكا ثم اطمئنانا واستقرارا على منظومة أفكار وقيم جديدة، وكل هذا مغلف بمشاعرَ كان بإمكاني حَدْسُها وأنا أستمع لقصص بعض اللادينيين المغاربة؛ بعضهم كان يحكي قصته دون تعمد أن يجعل منها قصة، والبعض كان واعيا تماما أنه يحكي فعلا قصة كما عبر أحدهم قائلا -وقد طلبت منه توضيح مسار لادينيته-: «هناك قصة يتوجب علي سردها عليك». وما سأقوم به أيضا إلى حد ما هو سرد قصة من مجموع القصص التي سمعتها من اللادينيين بحيث تركز على المشترك في تجارب هؤلاء المغاربة مع الإشارة إلى المفترَق فيها.

من واقع المقابلات واللقاءات مع المبحوثين يمكن القول إن أهم الأسباب التي تدفع المغاربة نحو اللادينية تظل أسبابا معرفية بالدرجة الأولى. وتحت مسمى الأسباب المعرفية يمكن الحديث عن الانفتاح على مبادئ ونتائج العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والفلسفة وممارسة التفكير الحر. وكون الأسباب المعرفية أهم الأسباب الدافعة إلى اللادينية فهذا يدفع للافتراض أن المغربي ترتفع احتمالات اتجاهه نحو اللادينية كلما ارتقى في المستوى التعليمي وكلما كان له اتجاه نحو المعرفة والبحث الحر. وهذا لا يعني طبعا بالضرورة أن هناك علاقة سببية بين الظاهرتين بقدر ما يعني أن صفة الانفتاح على المعرفة وممارسة التفكير الحر يتقاسمها اللادينيون المغاربة حسب ما أفضت إليه نتائج البحث. وبالتالي سيكون من الصعب أن نجد لادينيا لم يسبق أن نال حظا من المعرفة سواء بالتمدرس أو بالمطالعة الحرة.

إن هذا الاستنتاج ليس مَرَدُّهُ أن اللادينيين الذين أجريت معهم مقابلات كانوا حصرا من الوسط الطلابي؛ فبعضهم طلبة، لكن كثير منهم كانت قد انقطعت صلته بالتعليم الرسمي حين إجراء المقابلة معه، وإن كان هذا لا ينفي صلته به على اعتبار أنه كان منخرطا فيه سابقا. وبالتالي فإن النتائج غالبا لن تختلف بصدد هذه المسألة سواء أُجري البحث بشكل حصري داخل الوسط التعليمي (الجامعي مثلا) أو بشكل حصري على لادينيين من خارج هذا الوسط. وقياس أهمية عامل التمدرس والبحث الحر في الاتجاه نحو اللادينية يتطلب معرفة مسبقة بعدد اللادينيين في المغرب ثم تصنيفهم مثلا حسب متغير المستوى التعليمي من درجة الأمية إلى درجة التعليم العالي، وحينها سيكون ممكنا تقدير أهمية عامل المعرفة والتمدرس في دفع المغربي إلى اللادينية. غير أن معطيات وبيانات كهذه غير متوفرة، ولا أظن أن بالإمكان توفرها في مستقبل قريب. لكن ما يمكن افتراضه أن احتمالات مصادفة لادييني غير متعلم ستكون ضئيلة جدا، وليست وحدها المقابلات مع المبحوثين التي تدعم هذا الفَرَض، لكن أيضا اللقاءات التي جمعتني بعشرات اللادينيين ممن لم أُجْرِ معهم مقابلات. وفي غياب إحصاءات وبيانات حول كل هذا لا يسعنا إلا القيام باجتهادات على ضوء ما وصلنا إليه من نتائج صادرة عن تحليلنا للمقابلات مع المبحوثين وعن واقع اللقاءات التي جمعتني بلادينيين آخرين.

أكد المبحوثون بشكل صريح ارتباط لادينيتهم بانفتاحهم على المعارف المرتبطة بالعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والفلسفة إلى جانب ممارسة نوع من التفكير الحر. ويرى اللادينيون أن الفكر العلمي هو الخطاب الممثل للحقيقة وأنه يتعارض على طول الخط مع الفكر الديني، ويكفي أن يتناقض النص الديني مع ما هو معلوم من العلم بالضرورة لينحاز اللاديني إلى العلم ويَخْلَعَ عنه رِبْقَةَ الدين، ومن ذلك مثلا أن تتعارض نظرية الخلق الدينية مع نظرية علمية كنظرية التطور التي تفسر تنوع أشكال الحياة على الأرض أو نظرية الانفجار الكبير التي تفسر نشأة الكون: «كنت أقرأ كثيرا عن نظرية الانفجار الكبير وعن نظرية التطور، وكنت متابعا لقنوات تلفزيونية مهتمة بالعلوم مثل تي إف1 tf1 و آرتي arte، والمتدخلون في هذه القنوات كانوا من اليهود ومن الملحدين. وهكذا فقد شرعت قليلا في اكتشاف الإلحاد مع قناة تي إف1، ثم كانت هناك مرحلة حيث بدأ الأنترنت في الانتشار

خلال سنوات 1998 و1999، فعرفت شيئا اسمه إله الاسباغيتي عبر المنتديات، وحدث أن تم رفع قضية في ولاية من الولايات الأمريكية، ومفاد ذلك أن الخَلْقِيّينَ كانوا يرغبون في أن يتم تدريس التصميم الذكي في المدارس جنبا إلى جنب مع نظرية التطور.

لكن أحد العلماء كان يرى أنه إذا كان للخلقيين الحق في أن يُدَرَّسَ التصميم الذكي في المدارس، وكان للتطوريين أيضا الحق في أن تدرس نظرية التطور في المدارس، فكذلك هذا العالم كان يرى أنه من حقه أن يتم تدريس النظرية التي تتوافق مع معتقده القائل بوجود إله الاسباغيتي الطائر، فخلال فترة اكتشافي لكل هذا أصبحت أقول مع نفسي أني صرت ملحدا» (سمير، 27 سنة، عمل حر). طبعا يحيل المبحوث هنا على ما يسمى إنجيل ديانة وحش السباغيتي الطائر L'Évangile du monstre en Spaghettis volant، وهو كتاب ساخر كتبه بوبي هندرسون Bobby Henderson ويطرح فيه فكرة وجود إله على شكل سباغيتي وكرتي لحم مفروم، وسمى ديانته بالباستافاريانية pastafarianisme، وأقامها على مبادئ ومعتقدات فصلها في كتابه، وطالب بتدريس هذه الديانة في حصص العلوم في المدارس إسوة بتدريس التصميم الذكي (ذي الأساس الديني) في المدارس، والهدف من كل ذلك هو القول إن إفساح المجال أمام نظرية دينية كالتصميم الذكي لتأخذ مكانها ضمن حصص العلوم يؤدي إلى مشروعية المطالبة بجعل أية معتقدات دينية لأي جماعة دينية جزءا من دروس العلوم كما هو الحال بالنسبة للمعتقدات الخاصة بديانة وحش السباغيتي الطائر. وكان قد سبق لبوبي هندرسون أن كتب رسالة مفتوحة يحتج فيها على قرار اللجنة المدرسية في ولاية كنساس بالسماح بتدريس التصميم الذكي ضمن حصص العلوم جنبا إلى جنب مع نظرية التطور.

يُصَرِّحُ مبحوث آخر أن نظرية التطور لم يستسغها في البداية لأنه لم يكن يفهمها جيدا لكنه الآن يعتبرها جزء من العلم، كما أن اضطلاعه على مجلات علمية واستكشافه للتفسير العلمي لمواضيع كطبيعة المادة ونشأة الكون جعله يقف على مدى التناقض الحاصل بين التفسير العلمي وبين ما تقوله نظريات الخلق الدينية، ومنها نظرية الخلق في صيغتها الإسلامية، والتي ترى أن كل شيء تمَّ خلقه في ستة أيام. وبالنسبة للاديني فإن الأجوبة التي يقدمها العلم على أسئلة نطرحها بدافع من فضولنا المعرفي تظل أجوبة تتمتع بقدر غير قليل من المصداقية ما دام العلم يتوصل إليها بالاعتماد على منهج علمي صارم؛ فالعلم مادي ونظرياته قابلة للاختبار وهي، فوق هذا، تخاطب العقل عكس التفسيرات الدينية: «تعرفت على أشخاص كانت لديهم أسئلة مثل أسئلتي، وكنا نفكر فيها معا، وكنا نتبادل فيما بيننا مقالات وفيديوهات تعالج مسائل كثيرة، وهكذا كنا نتباحث مسائل مثل نظرية الخلق ونظرية التطور ومسائل تهم علم الفلك كنهاية الكون ونشأة الأرض، وكنا نجد أنفسنا أمام أفكار مبنية على أدلة علمية، قد لا تكون أدلة قطعية ولكنها على الأقل أدلة مُقْنِعَة، بالإضافة إلى كونها أدلة مادية تطمئن لها النفس» (أمين، 23 سنة، طالب).

أما البعض الآخر فيرى أن أي مصالحة بين العلم وبين الدين غير ممكنة، وأن أي توافق بينهما مُتعذِّر الحدوث لأن العلم يتأسس على قوانين، في حين أن الدين في جوهره خرق لهذه القوانين كما يوضح ذلك مفهوم المعجزة الذي يعني تدخل الإله في أحداث الطبيعة بشكل يختل معه النظام الذي تحدث وفقه هذه الأحداث: «شَرَعْتُ في القراءة وفي دراسة بعض المسائل، وصرت أفهم ما معنى علوم حقة، وبدأت أفكر في العلاقة التي تربطنا بالظواهر وأفكر في القوانين العلمية، ولاحظت أن الدين بشكل عام قائم على خرق هذه القوانين، ثم اكتشفت في وقت من الأوقات أن أفكار الدين كلها مناقضة للعقل تماما، وبدون الحاجة إلى أن أطرح على نفسي أسئلة وجدت نفسي في آخر المطاف ملحدا» (هشام، 54 سنة، أستاذ).

مبحوث آخرُ يرى أن فكرة الإله ذاتها تَدِينُ في وجودها لرغبة الإنسان في تفسير ظواهر الطبيعة من حوله، وبما أن تفسيرها علميا لم يكن ممكنا لأن العلم كنمط في التفكير لم ينشأ إلا حديثا، فإنه كان طبيعيا أن يُفَسَّرَ كل شيء بأنه نتاج للإرادة الإلهية.

وبالتالي إذا استطعنا تفسير كل شيء بشكل علمي، فحينها لن يظل لفكرة الإله أي استعمال وستختفي من تلقاء ذاتها، وهذا ما يسمى بإله الثغرات: «الإله بالنسبة لي مجرد فكرة نشأت في عقول الناس، وظلت هذه الفكرة باقية في ذاكرة الناس لأجل غاية محددة هي تفسير الظواهر الطبيعية التي يرونها، لكن بما أنه أصبحت للإنسان القدرة على تفسير هذه الظواهر بشكل مادي علمي، ففكرة الإله سيكون مصيرها الزوال. وقديما كان يجهل الناس العوامل المتحكمة في سقوط الأمطار، ثم نشأ العلم وقدم لنا تفسيرات منطقية وعلمية، وهكذا تم التخلص من فكرة الإله كتفسير لسقوط الأمطار» (مراد، 23 سنة طالب).

هناك إذن إجماع على تناقض التفسيرات الدينية مع التفسيرات العلمية، وأن الاكتشافات العلمية تُحْرِجُ النص الديني، وبالتالي كل محاولة للجمع بينهما ستبوء بالفشل، والإصرار على ذلك لن يكون سوى خداع للذات، وهكذا يختار اللاديني الكُفْر بالنص الديني وبالتالي بالمعتقد الذي يعبر عنه: «كنت أواصل طرح الأسئلة، مثلا سؤال: كيف يمكن التوفيق بين كون الله ينزل في الثلث الأخير من الليل وبين كون الأرض كروية الشكل، وبالتالي هناك دائما ليل؟ هكذا أحدثت قطيعة مع الدين بشكل نهائي. وبحكم توجهي العلمي تعرفت على أفكار علماء أمثال مندل وداروين، واكتشفت الإجابات العلمية على الأسئلة التي كان يجيب عنها الدين بشكل مختلف. ثم كان هناك شيء آخر، وهو أن أستاذة العلوم كانت قد أكدت لنا أن العلماء يغيرون أشياء معينة في جينات كائنات مثل البكتيريا، وهذا يعني أننا نغير في خلق الله، وهي مسألة ينفيها الدين» (نبيل، 36 سنة، عمل حر).

من جهة أخرى كان أيضا انفتاح أغلب اللادينيين على مبادئ ونتائج العلوم الإنسانية من أهم أسباب لادينيتهم: «تأثري بالعلوم الإنسانية وتكويني في الفلسفة ابتداء من سنتي 1986 و1987 هو ما دفعني إلى إعادة النظر في الأشياء، ذاك أني قرأت عن حياة الناس في مجتمعات أخرى وقرأت عن ديانات أخرى» (حسن، 50 سنة، مدير مكتب استشاري). إن اختلاف الأديان باختلاف المجتمعات هو عند اللادينيين دليل على بشرية الدين، وهم في هذا يرجعون إلى ما تقرر في العلوم الإنسانية مِنْ أن الدين بشكل عام ظاهرة إنسانية. والبعض يرى في الدين انعكاسا لحياة الناس الاجتماعية وانعكاسا أيضا لعلاقتهم بالبيئة التي يعيشون فيها مما يجعل الدين مُنْتَجًا من المنتجات الاجتماعية يأخذ شكله وملامحه من البيئة التي نشأ فيها. وكمثال يوضح أحد المبحوثين أن القرآن يأتي على ذكر الحمير والبغال لكنه يسكت عن ذكر الدناصير، وبالتالي فالمعرفة المتضمنة في القرآن لم تكن في نظره تتجاوز نطاق شبه الجزيرة العربية، وهذا يعني أن الإسلام دين محلي وأنه ابن بيئته، خاصة وأن الله اختار أنبياءه حصرا من تلك المنطقة دون غيرها.

ويرفض بعض اللادينيين الدين لأنهم تَلَقَّوْهُ من جملة الأشياء التي تلقوها خلال التنشئة الإجتماعية، وبالتالي فإيمانهم كان مبنيا، ليس عن قناعة شخصية، وإنما عن تأثير اجتماعي مارسه مختلف الوسطاء التربويين ومختلف المؤسسات الاجتماعية من الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي بشكل عام، وبالتالي كان واجبا القيام بعملية مسح للطاولة: «استمعت إلى محاضرات في السوسيولوجيا، وكنت أرى أستاذ السوسيولوجيا وهو يناقش أشياء مثل التنشئة الاجتماعية وتاريخ الدين وسوسيولوجيا الدين والتدين، ثم بدأت بالتساؤل: هل أنا فعلا مؤمن؟ هل إيماني شخصي أم اجتماعي؟ هل هذا الدين الذي أؤمن به أنا مقتنع حقا بأفكاره أم أن ما حدث فقط هو أني تلقيت من المجتمع مجموعة من التعاليم؟». وفي عملية مسح الطاولة هذه لا بد من استبعاد جميع العناصر التي يمكن أن تمارس نوعا من التأثير الوجداني، ففكرة الدين ينبغي أن تفرض نفسها بالمنطق وبالعقل وليس بشكل عاطفي: «استبعدت العاطفة لأن الدين يمكن أن يؤثر علي عاطفيا، وكذلك يمكن أن يفعل المجتمع، لقد استندت إلى العقل، وكان لا بد أن أفعل ذلك لأخطو هذه الخطوة في سبيل الخروج من حظيرة الدين والتحول إلى اللادين، وبعد استبعاد العاطفة لم يعد ممكنا التأثير علي من طرف أولئك الذين كانوا يحاولون جعلي استمر في اعتقادي بالدين، وهكذا أنجزت هذه الخطوة نحو اللادينية» (إبراهيم، 22 سنة، طالب).

لا يَعْدَمُ اللاديني في علم التاريخ أيضا أدلة تثبت في رأيه تورط الدين بشكل مباشر في الخلافات السياسية، وكيف أن رموز هذا الدين من الأشخاص يمكن أن يخالفوا وصاياهم عندما يتعلق الأمر بالمصالح الدنيوية، ويحيل أحد المبحوثين هنا على ما يسمى في كتب التاريخ الإسلامي بـ "فتنة الصحابة"، حيث تقاتل الصحابة فيما بينهم وسالت في قتالهم دماء كثيرة على الرغم من أنهم عاشوا عصر النبوة بين ظهراني النبي ومن المفترض أنهم القدوة لمن بعدهم باعتبارهم خريجي المدرسة النبوية؛ يقول أحد المبحوثين: «اعتبرت الأديان مجرد مشاريع سياسية، وأرى أن من قادوها كان أذكياء» (مراد، 23 سنة، طالب).

يصرح العديد من اللادينيين أيضا بوجود نوع من الأثر تركته في نفوسهم دراسة الفلسفة: «أصبحت لادينيا عن طريق الفلسفة ودراسة كتب علمية» (صلاح، 22 سنة، طالب). والفلسفة كانت بالنسبة لعديدين أشبه باستدراج لهم، فهي استحثتهم على طرح أسئلة والتأمل في موضوعات وفي قضايا تمس الدين بشكل أو بآخر، ونتيجة الذهاب في هذا التساؤل وفي هذا التأمل إلى أبعد مدى هي عدم الاقتناع بمعقولية الدين: «كنت معاديا للفلسفة بسبب جهلي لها، وفي إحدى المناسبات كنت أتحدث إلى أحدهم فقال لي أن قليلا من الفلسفة يؤدي إلى الإلحاد وكثيرا من الفلسفة يؤدي إلى الإيمان. فأصبحت أقرأ كتبا في الفلسفة، وأفحص أمورا معينة، وأطرح أسئلة معينة، ثم بدأت في اتخاذ مواقف. أما بداية تحولي إلى اللادينية فتزامنت مع فترة دراستي في مستوى البكالوريا. لقد تأثرت بكتب وبأشخاص، ويعمل الأشخاص على إثارة الأسئلة ثم ألجأ للكتب للبحث بشأن تلك الأسئلة » (كمال، 25 سنة، فاعل جمعوي).

مبحوث آخر لا ينكر تأثره المباشر بالفلسفة، وتحديدا بفلسفات إلحادية يعتبرها المُعين الذي استمد منه الرغبة والفضول معا في طرح أسئلة انتهت بتركه الدين: «أصبحت أجد نفسي أطرح عددا من الأسئلة، والسبب الأكبر في ذلك هو الفلسفة. لقد درست الفلسفة على يد أستاذ خلال مدة سنتين في الأولى بكالوريا والثانية بكالوريا، ولم يكن هذا الأستاذ يملي علينا ما يجب فعله، ولكنه كان يشرح لنا دروس الفلسفة بشكل مميز، وقد أُغرمت بالفلسفة خلال تلك الفترة. والفيلسوف الذي كان قد استحوذ على إعجابي هو فردريك نيتشه، وهذا الأخير كان معروفا بقوله إن الإله مات وإننا نحن من قتلناه» (عثمان، 22 سنة، طالب).

ويضيف آخر مؤكدا الأثر الذي تركه في نفسه انفتاحه على قراءة كتب في الفلسفة وفي الفكر النقدي: «بحكم أن أخي كان مضطلعا على الكتابات الماركسية واليسارية والفكر الفلسفي، إلخ، فقد كنت منذ طفولتي أحتك بكتب تناقش كل ذلك، كما أني كنت أميل بشكل كبير إلى طرح الأسئلة، وكان لدي فضول كبير. ثم هناك أيضا قراءتي في موقع للادينيين العرب لمقالات نبيل فياض ورجاء سلامة وكامل النجار» (أيوب، 25 سنة، أستاذ).

والفلسفة عند بعضهم أداة للتمييز بين ما يمكن قبوله والاطمئنان إليه من أفكار وبين ما يمكن نبذه دون أسف عليه ودون عُقَد: «سرت في طريق البحث عن الحقيقة كما يقال. كان واجبا عليَّ أن أبحث وأن أفهم، وكان وسيلتي في ذلك تخصصي الدراسي الذي هو الفلسفة، ولم أكن أجد ذلك شيئا معقدا، فكنت أقطع مع أشياء كثيرة بسهولة بالغة، فما هو عقلاني ويستسيغه العقل من أفكار أتبناه، وما ينفيه العقل أو ما هو مشكوك في صحته أنبذه. وفي مرحلة ما صرت أقول عن نفسي إني غير مؤمن بالأديان وبأنبياء هذه الأديان وبمعجزاتها وكتبها» (مراد، 23 سنة، طالب).

إن التأثر بالفلسفة شديد الصلة بمسألة أخرى، وهي الاتجاه إلى ممارسة البحث الحر، أي إطلاق العنان لملكة النقد والشك والسؤال، والقيام بمراجعة نقدية لأفكار الدين ومسلماته. ويقول أحدهم إن سبب إلحاده هو ذلك السؤال الذي وصفه بالكبير: لماذا ينبغي أيكون إلهي هو الإله الحق من ضمن آلاف الآلهة؟ وعادة ما ينصب التفكير الحر حول مسائل أو تفاصيل أو أفكار بعينها تشكل جزء من الخطاب الديني، ليتم عرضها على ميزان العقل وفحص مدى معقوليتها ومنطقيتها وتساوقها مع الفكر ومع

الواقع. ومن ذلك مثلا مسألة أمية الرسول محمد التي تُتَّخَذُ كدليل على سماوية القرآن، فيتساءل أحد المبحوثين: كيف يُعقل أن الرسول كان أميا وخديجة زوجته كلفته بالتجارة في مالها وهو عمل يفيد فيه العلم بالقراءة وبالكتابة؟ وحتى لو كان الرسول أميا

فهذا ليس سببا يمنعه، حسب المبحوث، من تأليف القرآن، خاصة وأنه في رحلاته إلى الشام كان يلتقي بمسيحيين، ومن المؤكد أنه استفاد منهم كثيرا من الأفكار التي ضَمَّنَهَا في كتابه القرآن.

إن هذا النوع من الأسئلة هو ما يمكن أن ينتجه ما سميناه التفكير الحر، وهذا التفكير هو نفسه الذي يجعل اللاديني يتمرد على أي سلطة تمارس عليه ضغوطا لتشكل شخصيته حتى ولو كانت سلطة الدين نفسه. إن الدين في رأي اللاديني يجعل المرء يعيش حالة من التبعية لما هو سائد، ويدفعه إلى التماهي مع منظومة من القيم والأفكار تُفقده خصوصيته وتمحو وجوده الأصيل لصالح وجود زائف هو نفسه وجود الآخرين، فيشعر اللاديني أن ذاتيته، إن هو بقي في معطف الدين، ستتعرض للاستيعاب والانمحاء من طرف ضمير الجماعة الذي يُمَثِّلُ الدين قاعدته الأساسية. وبالتالي فإن الحفاظ على فردانية الفرد لا يكون ممكنا دون التمرد على الدين وعلى ما يمارسه من تغول: «كنت أرغب في بناء شخصيتي بنفسي دون تدخل شخص آخر في هذا الأمر. وتسمح اللادينية بتحرر فكر المرء ومنحه هامشا للتفكير بشكل ممتع بحيث لا يشعر الفرد بأنه يتوجب عليه قول ما يريد الآخرون سماعه سواء أحبوا ذلك أو كرهوه. وأهم شيء أن يكون المرء مقتنعا بدوافعه الداخلية التي تحركه» (صلاح، 22 سنة، طالب).

إن مجاراة ما هو سائد في المجتمع والخضوع له كأنه بديهية شيء لا يقبله اللاديني حتى لو كان في ذلك تمردا على تراث الجماعة وثورة على ما وجد عليه آباءه: «تشكلت لدي أفكار أخرى وقناعات أخرى كانت قناعاتي الشخصية، بحيث لست مضطرا أن انساق وراء الأفكار الجاهزة. أنا اختلف عن عامة الناس في المغرب، وعندما أقول العامة أقصد مثلا أبي وأمي وجيراني وخالي وعمي، وتتسع رقعة العامة لتشمل أشخاصا آخرين أنا أختلف عنهم» (حسن، 50 سنة، مدير مكتب استشاري). إن التمرد على قيم الجماعة سببه عدم رغبة اللاديني في أن يعيش حالة من النفاق بأن يتبنى فكرا لا يؤمن به أو يمارس طقوسا لا يتفق معها ولا تحمل معنى بالنسبة له، لأن السبب الذي كان يجعله منضويا تحت عباءة الدين هو فقط نشأته في مجتمع متدين تعرض فيه منذ الطفولة لنوع من البرمجة الثقافية، واليوم لم يعد مقتنعا بكل ذلك: «لم أستطع الاستمرار في جو النفاق والكذب، ولم أرغب في الاستمرار تحت مظلة الدين لأسباب اجتماعية فقط متعلقة بالتنشئة الاجتماعية وبأسرتي. أعتقد أن الأفكار التي نؤمن بها يجب أن تكون من صنعنا نحن بحيث نتبناها عن اقتناع بها بعد إخضاعها للتحليل والنقد» (إبراهيم، 22 سنة، طالب).

في علاقة بموضوع التنشئة الاجتماعية يُلاحَظُ أن بعض اللادينيين فقط من تكون قساوة التربية الدينية التي تلقاها في كنف أسرته عاملا مساهما في جعله يترك الدين، كأنْ يكون الأب مثلا "فْقِيهْ" (إماما يؤم الناس في الصلاة) يبالغ في دفع أبنائه نحو الالتزام الديني: «كان أبي يجبرني على الذهاب إلى المسجد للصلاة، وتسبب ذلك في كرهي للدين، وكان جدي من المعروفين بالورع وبتقوى الله، وكانت له دروس في المسجد، وأبي كان من المتشبعين ببعض الأفكار من قبيل أن العصا (التي يؤدب بها الأبناء) مصدرها الجنة» (هشام، 54 سنة، أستاذ). لكن بشكل عام يمكن القول إن طبيعة الأسرة التي ينشأ فيها اللاديني ليست سببا مباشرا في جعله لاديني، لأن أغلب اللادينيين الذين قابلتهم ينتمون لأسر تمارس في حياتها إسلاما شعبيا تقليديا لا تشدد فيه. وبالتالي، وتأكيدا لما تقدم، تبقى الأسباب المرتبطة بما هو معرفي -كما فصلتها سابقا- من أهم الأسباب التي تدفع المغربي نحو اللادينية. إن اللاديني الذي تلقى تربية دينية قاسية يحتاج حتى يترك الدين إلى ما هو أكثر؛ إلى قناعة وإيمان راسخين بأن منظومة الفكر الديني لا تتوافق مع العقل ومع المنطق ومع روح العلم، أي يحتاج إلى أسباب معرفية.

ينضاف إلى الأسباب المعرفية سبب آخر، لكنه ليس مستقلا عنها، وأقصد هنا التأثر بأشخاص، لكن يرد هذا في بعض الحالات فقط ولا يكون هو السبب المباشر والحاسم، بل هو فقط سبب مساعد، فالأستاذ مثلا قد يثير ملكة النقد عند اللاديني (قبل أن يصبح كذلك)، وجماعة الأصدقاء قد تفتح عينيه على عالم آخر بلا دين، لكن الأسباب المعرفية تظل هي الحاسمة، وقد سبق ومر بنا قول أحد المبحوثين: «تأثرت بكتب وبأشخاص، ويعمل الأشخاص على إثارة الأسئلة ثم ألجأ للكتب للبحث بشأن تلك الأسئلة» (كمال، 25 سنة، فاعل جمعوي). إن التأثر بالأشخاص لا يتم بشكل سلبي، بل هو عادة تأثر تفاعلي جدلي، وقد سبق أيضا أن مر بنا قول مبحوث: «تعرفت على أشخاص كانت لديهم أسئلة مثل أسئلتي، وكنا نفكر فيها معا، وكنا نتبادل فيما بيننا مقالات وفيديوهات...» (أمين، 23 سنة، طالب). ومساهمة الأشخاص كما وضحنا لا تتعدى إثارة الفكرة، وإنْ شئنا التمثيل بأسلوب استعاري؛ فالأشخاص يرشدون اللاديني إلى الطريق، لكن السير فيها والتعرف على علاماتها شيء مَنُوطٌ به وحده: «كان الثلثان من أصدقائي لادينيين، وكنت أخوض معهم حوارات حول التنشئة الاجتماعية. وهكذا انفتحت على أشخاص وعلى أفكار وعلى كتب وعلى أساتذة، وكنت أجري حوارات مع الطلبة، الشيء الذي جعلني أفكر في وجود عالم غير العالم الديني الذي أعرفه. انفتحت على ثقافة مختلفة، واستمعت لمحاضرات أساتذة، وليس هؤلاء هم الذين حولوني إلى لاديني، ولكنهم أوحوا إلي بفكرة وجود عالم مختلف عن عالم الدين الذي كنت أعيش فيه، وبمعنى ما فقد مهدوا أمامي الطريق» (إبراهيم، 22 سنة، طالب).

التأثر بالأشخاص إذن حافز قوي لإعادة النظر في جملة من الأشياء، ومثال هذا حالة مبحوثة وضحت أن تعرفها على صديق لاديني كان حاسما في اتخاذها قرار التحول إلى اللادينية: «نشأت مثل الجميع في أسرة مسلمة محافظة. وفي مرحلة معينة من حياتي بدأت أشك في أشياء كثيرة وأقمع داخلي أسئلة كثيرة متعلقة بتناقض أشياء معينة في الإسلام مع المنطق ومع العقل وبالرغم من ذلك كان يتوجب علي تقبلها وعدم طرح أسئلة حولها (...) لكن أشياء كثيرة لم أستطع الاقتناع بها، وكانت لدي أسئلة كثيرة بلا أجوبة. ولطالما كنت أرى المرأة في الإسلام مهضومة الحقوق بحسب نص الأحاديث والقرآن، وكل هذا يترجم إلى واقع نعيشه. ثم كانت هناك مرحلة حيث توقفت عن ممارسة الصلاة، وأحيانا أصلي إرضاء لأسرتي ثم انقطع عن الصلاة مجددا. وحدث فيما بعد أن التحقت بالكلية، وكان لبعض الأساتذة تأثير على طريقة تفكيري، ثم تعرفت على أحد الأصدقاء وكان له دور كبير في تغيير مسار حياتي وتغيير طريقة تفكيري» (علية، 30 سنة، فاعلة تنموية).

اعتبر فيل زيكرمان Phil Zuckerman العلاقة مع شخص لاديني من جملة الأسباب الدافعة للادينية، وذكر قصة شخص اسمه هنري Henry كان يشتغل في محل ألعاب مع شخص لاديني، ووضح كيف أنه تأثر بهذا الشخص وأعجب به، فكان هذا سببا في تحوله إلى اللادينية. وأوضح زيكرمان أنه قد تكون للشخص حجج معينة تقنعه بترك الدين، لكن عندما يسمع هذه الحجج من شخص مقرب يرتبط به وجدانيا فقد يكون أثرها أقوى في النفس، ويقول زيكرمان في ذلك: «لم تكن فقط حجج معينة هي السبب في تحول هنري Henry عن الدين، بل أيضا كون هذه الحجج تفوه بها شخص يشتغل معه يوما بعد يوم؛ شخص يحبه ويحترمه وهو معجب به. وبالنسبة للعديد من الأشخاص فان كونهم على علاقة قوية أو جيدة مع شخص لاديني يمكن أن يكون عاملا قويا ومؤثرا في ارتدادهم» (Zuckerman. 2011, p. 158).

يمكن أن نستنتج مما تقدم أن الأسباب المعرفية هي الأسباب الفاعلة في توجيه المغربي نحو اللادينية، وإذا كانت هناك أسباب أخرى فإما أنها لا تستقل عن الأولى، وإما أنها لا تهم سوى حالات. ولقد تعمدت إيراد كلام المبحوثين في كل مناسبة، ليس فقط لأن نصوص كلامهم تنضحُ بقوة الدلالة ولذا سيكون من الأفضل إفساح هامش كبير للادينيين في هذه الورقات ليعبروا عن أنفسهم بأنفسهم، ولكن أيضا لتأكيد الإستنتاج الذي سُقْتُهُ في مُقَدَّم كلامي وشَدَّدْتُ عليه من أن الأسباب المعرفية، كما بينتها، هي أكثر ما يجعل المغربي لاديني.

إن النتائج التي خلصنا إليها بخصوص الأسباب الدافعة للادينية لا تتعارض مع تلك التي انتهى إليها السوسيولوجي الأمريكي «فيل زيكرمان» Phil Zuckerman في دراسته التي تناولت موضوع اللادينية في المجتمع الأمريكي بعنوان "لا مزيد من الإيمان: لماذا يرفض الناس الدين"، حيث يذكر من بين أسباب التحول إلى اللادينية التعليم والارتقاء بالمستوى المعرفي كسبب رئيسي، وذكر كمثال دراسة السوسيولوجيا. والواقع أن ستة من المبحوثين الذين أجرينا معهم مقابلات سبق لهم دراسة السوسيولوجيا كتخصص في الجامعة. ويسرد فيل زيكرمان في كتابه قصة فتاة كانت متدينة، لكنها تحولت إلى اللادينية بعد أن أخذت دروسا في السوسيولوجيا جعلتها تطرح مجموعة من الأسئلة وتعيد النظر في مجموعة من الأشياء. ويقول بهذا الخصوص: «كانت إلزابيث Elizabeth واحدة من أكثر الأفراد تدينا ممن شملتهم هذه الدراسة، وارتباطها بإحدى طوائف المسيحية البروتستانية أثر على كل نواحي حياتها لسنوات عديدة، لكن بعد ذلك أخذت دروسا في السوسيولوجيا من إحدى المؤسسات المحلية، وكانت نتيجة هذا التعمق في التعليم العلماني دراماتيكية» (Zuckerman. 2011, p. 154).

ثم يستطرد زيكرمان في سرد تفاصيل قصة هذه الفتاة، وكيف أنها من خلال دروس السوسيولوجيا تعرفت على ثقافات أخرى وأفكار أخرى وأنماط حياة أخرى، وشعرت فجأة أن عالمها يتسع. ثم حدث أن نصحها بعض أصدقائها بالتوقف عن الحضور لدروس السوسيولوجيا، لكنها أبت ذلك، وكانت النهاية أنْ فقدت إيمانها وفقدت معه أعز أصدقائها، وهذا عينه ما صرح به العديد من المبحوثين الذين أجرينا معهم مقابلات، حيث ذكروا أن تعرفهم على أديان أخرى وثقافات أخرى جعلهم على ثقة من أن الأديان ظواهر اجتماعية لا علاقة لها بالوحي. إن المعرفة إذن وارتقاء الفرد بمستواه المعرفي بشكل عام من أهم الأسباب الدافعة إلى اللادينية، وهذا ما يؤكده فيل زيكرمان مرة أخرى بقوله: «وجدت أن ذهاب العديد من الرجال والنساء الذين تكلمت معهم إلى الجامعة جعلهم ينظرون إلى العالم بشكل مختلف، وأجبرهم على طرح أسئلة لم يرغبوا أو لم يفكروا يوما في طرحها، ودفعهم لفحص قيمهم وإيمانهم. ولم تكن قصة إلزابيث حالة فريدة من نوعها، فالأبحاث السابقة ربطت باستمرار بين ارتفاع معدل التحصيل العلمي وبين تزايد العلمانية والردة apostasy (Zuckerman. 2011, p. 154).

سنجد في نفس الإطار دراسات أخرى توضح ارتباط اللادينية بالعلم وبالمعرفة، ففي دراسة تضمنتها مجلة نيتشر Nature في عددها الصادر في 23 يوليوز من سنة 1998 بعنوان "نخبة العلماء تواصل رفضها للإله" أوضحت الدراسة التي همت العلماء الذين لهم عضوية في الأكاديمية الوطنية للعلوم (الأمريكية) NAS أن 72.2 في المئة من هؤلاء العلماء لادينيون ملاحدة، و20.8 في المئة منهم لادينيون لاأدريون أو مشككون، وفقط 7 في المئة منهم يؤمنون بإله شخصي. هذا علما أنه أجريت في السابق دراسات أخرى في نفس الموضوع سنة 1914 وسنة 1933 وأوضحت أيضا أن الغالبية الساحقة من العلماء لادينيون وأن نسبتهم كانت في ازدياد على مر الزمن من سنة 1914 إلى سنة 1998 تاريخ إجراء آخر دراسة. (Larson & Witham. 1998, p. 313-314).

2.2. سيرورة التحول من الإسلام إلى اللادينية

إذا كانت الأسباب الموضحة للتحول إلى اللادينية تجيب على سؤال: لماذا؟ فإنها لا تجيب على سؤال: كيف؟ أي كيف يتم هذا التحول؟

كان هناك معطى حرص أغلب اللادينيين على ذكره دون أن أطلب ذلك في المقابلات معهم، وهو التأكيد على أن صِلَاتِهِمْ بالدين لم تكن كُلها مقطوعة، فقد كان لديهم ماض مع الدين، وكانوا يمارسون طقوسه ويتقيدون بتعاليمه، وبعضهم كان قد بلغ في الدين مبلغا كبيرا من الإلتزام والحرص الشديدين، وعبر مبحوث عن ماضيه الديني بقوله: «كنت شخصا متدينا إلى حد كبير» (كمال، 25 سنة، فاعل جمعوي). ويقول آخر: «كنت متدينا أصلي وأصوم...» (أيوب، 25 سنة، أستاذ). ويقول آخر: «كنت مثل الجميع، وأستطيع أن أقول لك إني كنت متدينا، كنت أصلي وكنت أصوم» (صلاح، 22 سنة، طالب). ويقول آخر: «عشت

كمتدين إلى حدود السنة أولى بكالوريا من دراستي» (عثمان، 22 سنة، طالب). ويقول آخر: «كانت طفولتي عادية، كنت أمارس مثل غيري طقوس رمضان، وأرغب في الصوم ثم أتعب وأتناول الطعام، وأرافق الناس الساعين إلى الصلاة» (مراد، 23 سنة طالب). ويصرح آخر: «أحفظ من القران بضعة أحزاب لا أزال أتذكرها وكنت أصلي» (عصام، 25 سنة، طالب). ويضيف آخر: «لم أَنْفِ وجود الله هكذا من البداية ودون مقدمات، لأن هذا الأمر غير ممكن، فالدين كان شيئا مدمجا فِيَّ، والأمر أشبه بحرق ملفات على قرص مضغوط» (أمين، 23 سنة، طالب). وتوضح أخرى: «نشأتُ مثل الجميع في أسرة مسلمة محافظة، وصرت أرتاد مجالس الذكر مع الأخوات اللواتي كن ينتمين لجماعة العدل والإحسان، وكان اللقاء يعقد كل يوم خميس، وكنت أحاول المشاركة في هذه اللقاءات وهذه المجالس، وكنا نمضي الوقت كله في العبادة، ونرتدي اللباس الشرعي، وكنت قد توقفت عن مشاهدة التلفزيون والاستماع للأغاني» (علية، 30 سنة، فاعلة تنموية).

ما يميز إذن اللاديني المغربي أنه لاديني من خلفية دينية، ومن خلفية إسلامية بالتحديد، فشأنه كشأن أغلب المغاربة كان متدينا لأنه خضع لتنشئة اجتماعية يشكل الدين إحدى أهم ركائزها، وهذا ما سبق ونوهنا إليه عندما أشرنا إلى الفرق بين اللاديني الذي يعيش في مجتمعات متدينة وبين اللاديني الذي ينحدر من مجتمعات لادينية أو تكاد تكون كذلك. لكن عندما يصطدم اللاديني بالأسباب التي تكلمنا عنها، فقط في تلك اللحظة يبدأ التحول، والتحول إلى اللادينية غالبا ما تسبقه مرحلة يطغى فيها السؤال والتساؤل، وكان هذا أيضا من أكثر الأشياء التي يشترك فيها اللادينيون الذين قابلتهم.

إن السؤال هو أولى الخطوات في مسار اللادينية، وهو ما كنا قد سميناه بوادر وإرهاصات اللادينية، وحسب تصريحات كثير من المبحوثين فالأسئلة التي طرحوها كانت أسئلة بسيطة من النوع نفسه الذي تنتمي إليه أسئلة الأطفال أحيانا، غير أن تتبع طرف تلك الأسئلة والتأمل في الجواب الديني عليها ثم عدم الاقتناع به هو ما يقود في النهاية إلى اللادينية؛ آخر خطوات هذا المسار. هذه الأسئلة قد تتعلق بما هو أنطولوجي (من أين جئنا؟ إلى أين نحن سائرون؟)، بما هو ميتافيزيقي (كيف هو الله؟)، بما هو واقعي (هل أنا فعلا على الدين الحق؟ ألا يدل اختلاف الأديان على شيء ما؟). واللاديني عندما يطرح هذه الأسئلة فإنه بذلك يمهد لتحوله إلى اللادينية، غير أن هذا يتم بشكل غير واع، فهو يطرح الأسئلة بشكل بريء، يطرحها بروح المستفهم ابتداء لا بروح المشكك: «أصبحت أطرح أسئلة قد لا يطرحها سوى صغار السن، وربما الأسئلة الثورية هي أسئلة من هذا النوع، أسئلة مثل: كيف وُجِدْتُ في هذا العالم؟ ما مصيري؟ لقد عشت مرحلة استشعرت فيها ضرورة طرح السؤال والوصول إلى معرفة، وعندما كنت أفكر في كل هذا كنت أشعر أن دماغي يتوقف عن العمل» (أمين، 23 سنة، طالب).

كان كثيرا ما يعيق سَيْلَ هذه الأسئلة نوع من تأنيب الضمير أو خوف من الغضب الإلهي لأن هذه الأسئلة هي ضرب من الهرطقة التي لا يرضاها الإله ووجب الاستغفار منها: «يوجد هذا النوع من الأسئلة التي تُلِحُّ على الفرد عندما يكون صغير السن، أسئلة مثل: من خلقنا؟ إلخ، وهي أسئلة لا تجد لها جوابا، لكن تقول مع نفسك إن الآخرين يقولون إن الخالق هو الله، بمعنى أن ما كنت أفعله هو أني أصدق ما يقوله الآخرون بدافع من خوفي من جهنم، لكني كنت أتساءل هل نحن كمسلمين، دونا عن الآخرين، محظوظون إلى هذه الدرجة حتى نجد أنفسنا على الدين الحق؟ لكن بمجرد أن أطرح هذه الأسئلة كنت أستغفر الله، وهكذا فمثل هذه الأسئلة تظل دوما قائمة، لكني كنت دائما أحاول قمع طرحها والتحايل عليها» (سمير، 27 سنة، عمل حر).

الخوف أحيانا يكون ليس من الإله، ولكن من ردة فعل الآخرين الذين هم جزء من مجتمع اللاديني، وهذا الأخير يمكن يُوصَمَ اجتماعيا بسبب أسئلته أو على الأقل سيتحول إلى مادة للسخرية والتندر : «عندما كنت أدرس في مستوى الثالثة إعدادي كنت أرغب دائما في أن اطرح أسئلة حول بعض النصوص الدينية، لكنني أتحرج من فعل ذلك وأمتنع عنه أخذا بعين الاعتبار أن الأمر قد ينتج عنه تشكيل الأستاذ لانطباع سيء عني، أو جعلي أضحوكة أمام الآخرين، أو تهميشي من طرفه، أو منحي نقاطا متدنية»

(صلاح، 22 سنة، طالب). لكن كل هذا لا يمنع من مواصلة السؤال، فالأمر في آخر المطاف يتعلق بأسئلة تقض المضجع، والخوف من المآل الذي ستؤدي إليه يتم تجاوزه: «مع بلوغي سن السادسة عشر بدأت أحتك بالأسئلة الفلسفية التي يطرحها العقل،

أسئلة من قبيل: ما طبيعة الله؟ هل الدين فعلا حق؟ هل عذاب الآخرة فعلا شيء حقيقي؟ لقد كان هناك عدد من الأسئلة شرعت في طرحها» (مراد، 23 سنة طالب). ويضيف آخر: «بدأت الخوض في بعض المسائل وطرح بعض الأسئلة التي أدرك أن الناس من حولي لا يملكون إجابات عنها وبالرغم من ذلك كنت أطرحها» (كمال، 25 سنة، فاعل جمعوي).

إذا كان السؤال أول طور في مسار اللادينية، فإن ثاني هذه الأطوار هو الشك، وهذا الشك هو في الواقع مرحلة وسيطة يكون فيها الشخص متذبذبا أو متأرجحا بين إيمانه القديم وبين إغراء الانتصار لأفكار وقناعات جديدة تهدم إيمانه: «لم يتحقق تحرري من الدين دفعة واحدة، ولم يحدث مثلا أن صليت العشاء مساء يوم لأقرر عدم تأدية صلاة الصبح في اليوم الموالي. إن تحرري من الدين لم يتم بهذه الطريقة الميكانيكية، فبين مرحلة تخلصي من الدين ومرحلة لادينيتي هناك مرحلة وسيطة حيث لم أكن قد قررت بعد ترك الدين، لكن في نفس الوقت لم أجزم بشأن استمراري في الاعتقاد به، بمعنى أني لم أكن ثابتا على وضع محدد، ولو أن أحدا سألني عن معتقدي حينها كنت سأحتار في الإجابة» (إبراهيم، 22 سنة، طالب).

مرحلة الشك هذه هي إذن مرحلة اللاتموقع أو اللاإنتماء، واللاديني فيها يشكك في مسلمات الدين (وليس بالضرورة يعتقد ببطلانها)، وغالبا ما يكون منقطعا عن أداء الطقوس الدينية، إلا أنه في الوقت نفسه لم يقرر بعدُ أو لم يشكل بعدُ وعيا بأنه لاديني. إن كل ما يعرفه حينها أنه يشك ويضع موضع سؤال أكثر شيء يرفض المجتمع إخضاعه للسؤال؛ أي الدين: «وجدت من الصعب علي أن أنتقل من منظومة قيم ونظام حياة معين إلى منظومة قيم ونظام حياة آخر جديد يقلب الأمور رأسا على عقب [...] انتقلت من مرحلة في حياتي حيث كنت أعتقد بالدين اعتقادا مطلقا وأصلي وأصوم وأمارس العبادات إلى مرحلة أخرى عنوانها الشك» (أمين، 23 سنة، طالب).

الشك قد يطول أمده أو يقصر، يظل معه اللاديني ممارسا للطقوس أو منقطعا عنها، لكن في جميع الأحوال ترافقه نوع من المعاناة النفسية والقلق والشد والجذب؛ حالة من الدوار الأنطولوجي -إن صح التعبير- تجعل الفرد متذبذبا بين الإقبال والإحجام، مترددا بين الدين واللادين، وعبر أغلب المبحوثين عن هذه الحالة الثالثة ووصفوها بالصعبة. وقليل فقط من كان انتقاله إلى اللادين سلسا، مرنا، دون قلق، ودون عقد، وهذا ما سبق وعبرنا عنه بالقول إنه ما بين لحظة السؤال ولحظة اللادينية توجد لحظات، هذه اللحظات هي التي يغطيها الشك بمختلف درجاته، شك يعيش فيه اللاديني نوعا من الصراع الداخلي يستحضر فيه -بشكل واع أو غير واع- المجتمع، لأن الدين أو اللادين في مجتمع متدين عبارة عن قضايا اجتماعية قبل أن تكون شخصية: «مرحلة الشك صعبة لأن الخيارات العقلانية كانت تبدو واضحة أمامي، لكني كنت أخشى العمل وفقها لأني كنت أخشى الناس وأخشى جهنم وأخشى غضب الله، فكل هذه الأشياء كانت جزء من تنشئتي الاجتماعية وتم حشو عقلي به وبالتالي الانغماس في الدوغمائية والإيمان بمسلمات تَثْبُتُ في عقولنا ويكون من الصعب التخلص منها، ويستمر الواحد منا على هذه الحال يعيش نوعا من الصراع الداخلي. وفي بداية الأمر كنت أجهل كيفية تدبير هذه المرحلة التي عشتها في آخر المطاف بشكل جيد، فكنت حينا أستغفر الله، وحينا آخر أنساق وراء شكوكي، ثم حينا آخر أتوقف عن الشك، ثم فيما بعد أعاود الانسياق وراء شكوكي، وأستمر الأمر هكذا. وفي أول الأمر كنت أشعر بالخوف، لكن أصبحت أسعى للتخلص من خوفي الذي ما يفتأ ينتصر علي مجددا، وظللت على هذا الحال في صراع مع نفسي فاقدا للبوصلة» (سمير، 27 سنة، عمل حر).

هذا الشك الذي يراوح اللاديني يملك قوة وسلطة، ويصعب تجاهله والتخلص منه حتى في حضرة طقس ديني كالصلاة، فالأسئلة تفرض نفسها بإلحاح، ولا يمكن الاستمرار وكأنها غير موجودة. هكذا، وفي لحظة معينة، يدرك اللاديني بأن لديه مشاكل

مع معتقده، وبأنه لا يستطيع الإبقاء على إيمانه خالصا من دون كدر في ظل استمرار هذه المشاكل، فالأسئلة والشك يعكران صفو الإيمان ويبعثان على الحيرة، والدين لم يعد بالتالي مصدرا للاطمئنان والارتياح والسكينة، وهي المشاعر التي يُفترض أن يخلقها الدين في نفس المؤمن، لكنه يعجز الآن عن ذلك: «كنت في يوم ما أثناء صلاة الجمعة وسط دوامة من الأفكار أطرح على نفسي عددا من الأسئلة: هل أنا أتناقض مع نفسي؟ هل أنافق نفسي؟ هل يجدر بي عدم التفكير في كل هذا والتمسك بديني؟ هل إذا تمسكت بديني وتجنبت هذا النوع من الأفكار أكون بذلك أجني على عقلي؟ وماذا لو حررت نفسي من هذا الدين واتبعت أفكاري، هل حينها سأخسر أشياء كثيرة لا يمكن تعويضها؟ كانت هناك أفكار كثيرة تجول في خاطري» (إبراهيم، 22 سنة، طالب).

مرحلة الشك كما توضح هذه المقاطع المقتبسة من كلام المبحوثين هي مرحلة تردد ومراجعة، أو هي، كما أسلفنا، مرحلة صراع داخلي، وطَرَفَا هذا الصراع فكر ديني متجذر في أعمق طبقات الوعي واللاوعي، وفكر جديد ناشئ لا يزال في مرحلة البناء والتشكل، بدايته الجنينية تأخذ شكل السؤال لتتطور إلى شك حقيقي سرعان ما يتحول إلى لادينية مكتملة. ومَرَدُّ هذا الصراع أن عملية تجذير أو تثبيت الفكر الديني تتم عبر سنوات طويلة من التنشئة الاجتماعية، كما أن لهذا الفكر سلطة يستمدها من وجود إجماع اجتماعي حوله. لذلك تعتبر خطوة الانتقال من الدين إلى اللادين نَسْخًا للماضي الديني، والأهم من ذلك أنها انقلاب على القيم والأفكار والممارسات التي لطالما كانت جزء من شخصية وكيان اللاديني، ورابطا من جملة الروابط التي تشده إلى الآخرين وإلى المجتمع.

ما قلناه بصدد ظروف التحول من الدين إلى اللادين، يتفق مع النتائج التي انتهى اليها أيضا فيل زيكرمان Phil Zuckerman في دراسته للادينية بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي مجتمع ديني إلى حد كبير، حيث ذكر أن اللادينيين هناك لم يتم انتقالهم من الدين إلى اللادينية بشكل سلس، بل كثيرا ما ترافق بمعاناة ومشاكل. ومرحلة الشك التي تكلمنا عنها حدد فيل زيكرمان مدتها فيما بين ثلاث وخمس سنوات، وذكر أنها قد تدوم أكثر من ذلك، وهذا يتفق أيضا مع ما صرح به المبحوثون الذين أجرينا معهم مقابلات، إذ قد يستغرقون هذه المدة من الزمن قبل أن يصبح لديهم وعي بأنهم لادينيون. يقول فيل زيكرمان : «الغالبية الساحقة من الذين أجريت معهم مقابلات يصفون ردتهم apostasy بكونها كانت سيرورة تدرجية gradual process ، في حين انشرخ إيمان بعض الأفراد بشكل فوري في لحظات، لكن الأغلبية لم تكن كذلك، ففي الواقع رفضهم للدين جاء كسيرورة تطورية استغرقت من ثلاث إلى خمس سنوات، وأحيانا أكثر.» (Zuckerman. 2011, p. 151).

شيء أخير متعلق بما هو زمني في اللادينية؛ من المؤكد أن دراسة بعض المتغيرات كسن المبحوث عندما تحول إلى اللادينية ستكون لها فائدة كبيرة، غير أن دراسة من هذا النوع ليست بالمسألة السهلة، ولا زلنا بعيدين عن مستوى أن تكون لدينا قاعدة بيانات حول ظواهر كاللادينية، وبالتالي معلوماتي بهذا الصدد عن المبحوثين الذي أجريت معهم مقابلات لن تكون دالة من الناحية العلمية، إلا أنها مع ذلك لا تخلو من فائدة؛ فجل اللادينيين المبحوثين هجروا الدين إلى اللادين فيما بين السادسة عشر والعشرين من العمر، وباقي الحالات لم تتقدم عن سن السادسة والعشرين. والمبحوثون الذين قابلتهم تتراوح أعمارهم بين الثانية والعشرين والثامنة والعشرين، باستثناء خمسة أولهم في الواحدة والثلاثين من عمره، وثانيهم في السادسة والثلاثين، وثالثهم في التاسعة والثلاثين ورابعهم في عقده الخامس، أما خامسهم ففي عامه الرابع والخمسين. وجل المبحوثين أصبحوا لادينيين منذ سنتين إلى ثماني سنوات إلا خمسة مضى على لادينية أولهم إحدى عشرة سنة، والثاني خمسة عشر سنة، والثالث عشرون سنة، والرابع ثمانية وعشرون سنة، أما الخامس فهو لاديني منذ ثمانية وثلاثين سنة.

إن دراسة متغير السن الذي يتم فيه التحول إلى اللادينية ستكون مهمة جدا، إذ سيكون ممكنا لنا حينها تحديد متوسط سن التحول إلى اللادينية، وسيكون ممكنا أيضا معرفة هل التحول إلى اللادينية يقع في فترة عمرية لها خصوصيات من نوع ما. وأقول

هذا لأنه يمكن للبعض أن يفترض وجود علاقة من نوع ما بين اللادينية وبين السن الذي يتم فيه التمرد على الدين وتزامنه مع فترة المراهقة، وهو افتراض مشروع. وتُحَدَّدُ فترة المراهقة (في بعض المراجع العلمية) فيما بين الحادية عشر والعشرين من العمر.

وفعلا كثير من مبحوثيَّ -وليس جميعهم- وقع تحولهم إلى اللادينية في هذه الفترة من العمر انطلاقا من سن السادسة عشر، وهنا يُفتح مجال كبير لطرح مجموعة من الأسئلة: هل يمكن ربط اللادينية بمسألة البحث عن الذات وبروح الثورة والتمرد التي تميز هذه المرحلة من العمر؟ وتلك الأسباب المعرفية التي تكلمنا عنها وبينا أنها هي الفاعلة في عملية التحول إلى اللادينية، ألا يمكن القول إنها تفعل فعلها أكثر خلال هذه المرحلة العمرية؟ هل يعني هذا أن الفرد إن لم يترك الدين في هذه المرحلة فلن يفعل ذلك غالبا فيما بعد؟ ألا نجازف عندما نربط اللادينية بمرحلة المراهقة وهي مرحلة عمرية لا يوجد، رغم كل شيء، إجماع حول حدودها متى تبدأ ومتى تنتهي، بالإضافة إلى ارتباطها بمعطيات اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، وارتباطها أيضا بطبيعة المناخ والجينوم، إلخ؟ كيف نفسر بقاء اللادينيين على لادينيتهم بعد تجاوزهم لهذه المرحلة؟ كيف نفسر إيمان المؤمنين الذين عاشوا أيضا المرحلة نفسها؟ ألا يمكن ربط لحظة التحول إلى اللادينية بشيء آخر متزامن معها، غير المراهقة، كالمرحلة الثانوية في الدراسة مثلا؟ إنها أسئلة عديدة، ووحدها دراسات دقيقة يمكن أن تجيب عنها.

3. خلاصة

إن الأسباب المنتجة للادينية في المغرب هي أسباب معرفية بالأساس ترتبط بانفتاح اللاديني على مبادئ العلوم ونتائجها وممارسته للتفكير الحر. ويكتشف اللاديني بعد وضع التفكير الديني والتفكير العلمي في ميزان واحد أن الدين في إحدى مراحله لم يكن سوى محاولة بشرية لفهم مختلف الظواهر التي كانت جزء من عالم الإنسان وإعطائها معنى، لأنه لم يكن ممكنا حينها تفسير مختلف الظواهر بشكل علمي. واستمرار الفكر الديني في الحضور ناتج، حسب اللادينيين، ليس عن قوة أطروحاته، ولكن بسبب القدسية التي اكتسبها بفعل العادة وبفعل الحماية الاجتماعية الممنوحة له. ويرى اللادينيون كذلك أن الدين هو نتاج شروط اجتماعية معينة كانت السبب في وجوده، وبهذا المعنى هو ظاهرة اجتماعية وتاريخية سيكون ممكنا فهمها بشكل موضوعي عند تجريد الدين من صفة القداسة. كذلك يعمل اللادينيون، عبر التفكير الحر، على مساءلة الدين ونقده وتفكيكه وعرض أفكاره على ميزان العقل، ليخلصوا إلى أنه عبارة عن فكر هش بحسب تقديرهم. ولا تتم القطيعة مع الدين عند عامة اللادينيين بشكل آلي فجائي، بل عادة ما تكون مسبوقة بمجموعة من الأطوار يمكننا أن نميز فيها طور التساؤل، حيث يَشْرَعُ اللاديني في طرح مجموعة من الأسئلة حول الدين وحول تدينه، وهي أسئلة يطرحها ليس بدافع التشكيك ابتداء ولكن بدافع الفضول والرغبة في الحقيقة، لكن عندما لا تجد هذه الأسئلة أجوبة مقنعة عليها بالنسبة للاديني تتحول إلى شك حقيقي في مصداقية الدين، وهذا هو الطور الثاني. وهكذا سرعان ما ينمو الشك ويتضخم ويتأكد لدى اللاديني عبر معطيات معينة إلى أن يتمخض عن قطيعة تامة مع الدين، بحيث يصبح اللاديني واعيا بلادينيته.

قائمة البيبليوغرافيا

المراجع بالعربية

- لالاند، أندريه. (2001). *موسوعة لالاند الفلسفية*. بيروت – باريس: منشورات عويدات.
- بدوي، أحمد زكي. (1982). *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية*. بيروت: مكتبة لبنان.

المراجع بلغة أجنبية

- Mazure, A. (1863). *Dictionnaire étymologique de la Langue française*. Paris: Librairie Classique Eugène Belin.

- Nonnotte, C. (1819). *Dictionnaire de la religion*. Paris: Librairie de la Société typographique.

- Pew Research Center. (2012). *The global religious landscape* [PDF document]. Disponible sur https://assets.pewresearch.org/wp-content/uploads/sites/11/2014/01/global-religion-full.pdf
- Martin, M. (Eds.). (2007). *The Cambridge Companion to Atheism*. New York, Cambridge University Press.
- Zuckerman, P. (2011). *Faith no more : why people reject religion*. New York: Oxford University Press.
- Edward, J.L., & Larry, W. (july 1998). Leading scientists still reject God. *Nature*, volume 394.

Romanization of Arabic Bibliography

- Lalande, A. (2001). *Mawsūʻat Lalande al-falsafīyah* [vocabulaire technique et critique de la philosophie]. Beirut-Paris: Editions Oueidat.
- Badawī, A.Z. (1982). *Muʻjam muṣṭalaḥāt al-ʻUlūm al-ijtimāʻīyah* [Dictionary of Social Science Terms]. Beirut: Lebanon Bookstore.

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

الهجرة الداخلية وتداعياتها على المنظومة الصحية بالبلاد التونسية

بالحاج لطيف طارق

وحدة البحث : "التوارث، الانتقالات و الحراك"

جامعة تونس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

الإيميل: tarek.ltaief@yahoo.fr

Internal migration and its repercussions on the health system in Tunisia

Bel hadj Ltaief Tarek

Search unit : Transmission, Transitions and Mobility

University of Tunis

Faculty of Humanities and Social Sciences in Tunisia

Email: tarek.ltaief@yahoo.fr

ملخّص:

يتمثل الهدف من هذ المقال في تحديد العلاقة الجدلية بين مفهومي الهجرة الداخلية والصحة. يقوم بالأساس على منهج بحث ديموغرافي، استنادا على الأرقام الرسمية والمعطيات الإحصائية الميدانية. فقد أثبتت جل الدراسات أنّ المثال التنموي التونسي اشتكى من خلل منهجي، فيما يتعلّق بالنمو اللامتكافئ بين المركز والمحيط، ما خلق منذ البداية مشاكل تنموية ظرفية، سرعان ما تطوّرت الى مشاكل تنموية هيكلية، أدّت في النهاية الى تعثّر منوال التنمية، وظهور اختلالات وفوارق جهويّة، فرضتها هجرة سكانية داخلية، لم ينتبه الساسة أنّ مردّها البحث عن خدمات مفقودة في الجهات الداخلية، وبدأت تتوفّر في العاصمة والمدن الساحلية بشكل جلي.

الكلمات المفاتيح: تنمية صحية، هجرة داخلية، هجرة داخلية للعلاج.

Abstract :

The aim of this article is to identify the dialectical relationship between the concepts of internal migration and health. It is primarily based on a demographic research methodology, relying on official figures and field statistical data. Most studies have shown that the Tunisian development model has suffered from methodological flaws concerning the unequal growth between the center and the periphery, which initially created circumstantial developmental problems that quickly evolved into structural developmental issues. Ultimately, this hindered the development trajectory and led to the emergence of regional imbalances and disparities imposed by internal population migration. Policymakers failed to realize that the root cause of this migration was the search for missing services in the inland regions, which were increasingly becoming available in the capital and coastal cities.

Keywords : Health development, internal migration, internal migration for treatment.

مقدمة:

إنّ فك العزلة الاقتصادية عن العديد من مناطق بالبلاد التونسية وخاصة الداخلية منها، يستوجب دراسة متكاملة. إذ عملت الدولة منذ البداية على خلق تشجيعات إضافية للاستثمار بتلك المناطق. وبالرغم من ذلك لم يعرف المشهد الاقتصادي تحوّلا ملحوظا حيث لم يقع التفكير مسبقا في تهيئة فضاء رحب وداعم للاستقطاب الصناعي.

فحتى يتحقق الهدف لابد من استراتيجية متكاملة تضع في الحسبان نظاما تنمويا شاملا ومتكاملا، يضمن الرفاه الاجتماعي للأفراد. ويوفر كل احتياجاتهم الاجتماعية بما في ذلك منظومة صحية تتسم بالجودة والنجاعة. إذ "يؤدي تعزيز قدرة والبلدان والمجتمعات المحلية على الصمود من خلال التغطية الصحية الشاملة إلى وضع الأساس اللازم لإدارة مخاطر الطوارئ الصحية. والكشف المبكر وتقدير المخاطر وتبادل المعلومات والاستجابة السريعة، تعد جميعها ضرورية لتلافي الأمراض والإصابة والوفاة والخسائر الاقتصادية على نطاق واسع"(تيدروس. 2019، ص22).

فالصحة الجيدة للفرد تساهم في الرفع من الإنتاجية وبالتالي تعزز التنمية الاقتصادية محليا وجهويا، فـ"التنمية الصحية تؤدي إلى تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية" (الشيب. 2007، ص8). فلم يعد ينحصر تعريف الصحة على غياب المرض "فنحن نعيش اليوم على وقع تعريف جديد للصحة أكثر شمولية ودقة، أصبحت الصحة تعرّف كحالة "كاملة للأداء المادي والعقلي" (Ministère de Santé et services sociaux Canadienne. 2005, P17).

يشتكي المثال التنموي التونسي من ظهور اختلالات وفوارق جهويّة، أدّت إلى هجرة سكانية داخلية، مردّها البحث عن خدمات مفقودة في الجهات الداخلية، تقتصر على العاصمة والمدن الساحلية بشكل جلي، مما ساهم تدريجيا في اتساع هوة الفوارق التنموية. فكلّ الدراسات الديموغرافية تؤكّد، وجود هجرة داخلية من المناطق المحرومة والمهمشة باتجاه العاصمة والمدن الساحلية. مما انعكس سلبا على المناطق الطاردة والجاذبة على حد السواء.

إنّ الهجرة الداخلية متوغلة في القدم، تتعدد أسبابها ودوافعها، حيث كانت حركة الهجرة الرئيسية من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية قد اقترنت بنمو اقتصادي في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. ولكنها اقترنت بالعديد من العوامل الاجتماعية فيما بعد كالتعليم والصحة كما هو الحال بالبلاد التونسية.

ومن هذا المنطلق سأسعى في هذه الدراسة إلى إثبات أن الصحة عامل رئيسي للهجرة الداخلية كغيرها من العوامل الأخرى الاجتماعية. الشيء الذي ساهم في تنامي المشهد الحضري في المدن الساحلية عن بقية مدن الدواخل، ما عزز التفاوت الجهوي في التنمية.

1- الإشكالية:

إنّ السؤال المحوري الذي سنعتمد عليه في هذه الدراسة والذي يمثل الإشكالية الرئيسية لها يتمثل في

كيف يمكن أن نعتبر أن التنمية الصحية عاملا رئيسيا ومحفزا للهجرة الداخلية؟

2- المفاهيم:

تتلخص مفاهيم دراستنا المتواضعة هذه في ثلاث محاور رئيسية وأساسية، ألا وهي التنمية الصحية، هجرة داخلية وهجرة داخلية للعلاج والتداوي.

1.2- التنمية الصحية:

لم يعد الحديث عن الصحة بمنأى عن التنمية، فالصحّة كغيرها مثل التعليم أصبحت عنصرا رئيسيا وأساسيا في منوال التنمية، لا تقل أهمية عن بقية العناصر، فالتنمية الصحية العادلة، تضمن المساواة في الخدمات والتجهيزات ناهيك عن العنصر البشري من أطباء وأطباء اختصاص وإطارات شبه طبية وممرضين، "فالتقليص من التفاوتات في المجال الصحّي يعتبر واجبا أخلاقيا، فالظلم الاجتماعي يقتل على نطاق واسع" (OMS. 2008). إذ تلعب الصحة دورًا هامًا في تعزيز الإنتاجية

الاقتصادية للفرد والمجتمع. فالأصحاء والخاليين من الأمراض، يكونون أكثر قدرة على العمل والمساهمة في التنمية الاقتصادية من خلال تنمية قدراتهم وتطوير مهاراتهم المعرفية والعملية مهما كانت انتماءاتهم الطبقية، "فنحن نعيش في عالم غير قابل للتجزئة، حيث لم يعد بإمكان الأغنياء تجاهل الفقراء (Bousnina. 2019, P1).

2.2- هجرة داخلية:

لا أحد يختلف في أن مفهوم الهجرة الداخلية عموما يعني "انتقال السكان أفرادا أو جماعات من مكان الى أخر داخل حدود الدولة" (ابن الطرز. 1975، ص378)، لما توفره المدن الجاذبة، كموقع استقطاب تتجمع فيه كل المصالح الاقتصادية والإدارية والاجتماعية والترفيهية، ما تفتقر إليه الجهات الطاردة. وقد أدّت هذه الهجرة الى زيادة في عدد السكّان، نتج عنها "ضغوطات لم تكن معروفة سابقا، على الموارد المتاحة (المياه، والأراضي الزراعية والبيئية)، وعلى الخدمات المجتمعية المقدمة بمختلف أنواعها: التعليم والصحة والإسكان" (دائرة الإحصاءات العامة. 2016، ص1). فالهجرة الداخلية بشتى أنواعها لها أسبابها وانعكاساتها من جميع النواحي ديموغرافيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا.

3.2- هجرة داخلية للعلاج:

وأعني بالهجرة الداخلية من أجل العلاج، حراك بعض الأفراد المرضى من مكان إقامتهم الحالي إلى مكان آخر بعيد، بهدف الوصول إلى خدمات صحية غير متوفرة بمكان إقامتهم الأصلي. يتم ذلك عن طريق قطع مسافات طويلة للوصول إلى المرافق الطبية المناسبة. يمكن تقسيم هذا النوع من الهجرة الداخلية إلى هجرة مؤقتة -ظرفية- يعود فيها المهاجر الى مقر إقامته بعد أن تلقى العلاج. وهجرة داخلية دائمة حيث يتم الانتقال نهائياً إلى المكان الجديد للاستقرار النهائي به للاستفادة من الخدمات الصحية بشكل دائم.

لذا سأتناول في بداية هذه الدراسة واقع التنمية الصحية بالبلاد التونسية وتحديد التفاوت بين الولايات وفقا للعديد من العناصر في هذا المجال. كما سأتناول بالتحليل في هذا المحور الهجرة الداخلية للبلاد التونسية وانعكاسات ذلك تنمويا.

3- واقع التنمية الصحية بالبلاد التونسية:

وقع حساب التباين الجغرافي للتنمية الصحية بالبلاد التونسية، استنادا للطريقة الإحصائية: التصنيف التصاعدي الهرمي Classification Ascendante Hiérarchique CAH (XLSTAT . 2020) من خلال تحليل المجموعات القائمة على بناء تسلسل هرمي من الأبعاد الصحية التالية وفقا للمعطيات الرسمية لوزارة الصحة التونسية لسنة2018 كما يبينه الجدول التالي:

جدول رقم (1): القيمة القصوى والدنيا للأبعاد الصحية لكل 10 آلاف ساكن سنة2018:

	الأبعاد	الأكثر	الأقل
1	طب عام	10,58	3,65
2	طب اختصاص	23,40	1,50
3	طب أسنان	1,63	0,26
4	صيدلي	1,20	0,13
5	مستشفيات	0,44	0,03
6	مراكز التصفية	0,16	0,01
7	آلات غسيل الكلى	3,78	0,17
8	IRM	0,05	0,00
9	SCAN	0,09	0,01
10	أسرة إنعاش	0,76	0

المصدر: إعداد الباحث وفقا لمعطيات وزارة الصحة التونسية

سمح هذا التوزيع للأبعاد الصحية بين مختلف ولايات البلاد التونسية على تقسيم ولايات البلاد التونسية الى مجموعات مختلفة حسب الأفضلية والتجانس في القياسات، من حيث الخصائص والأبعاد الصحية المذكورة بالاعتماد على طريقة الرسم البياني التصاعدي الهرمي CAH، كما يلي:

رسم بياني رقم (1): التصنيف التصاعدي الهرمي

Résultats par classe :

4	3	2	1	Classe
10	9	4	1	Objets
10	9	4	1	Somme des poids
3,107	1,125	4,881	0,000	Variance intra-classe
0,441	0,366	1,430	0,000	Distance minimale au barycentre
1,472	0,915	1,872	0,000	Distance moyenne au barycentre
2,976	1,584	2,394	0,000	Distance maximale au barycentre

المصدر: إعداد الباحث

يظهر التصنيف أربع مجموعات مختلفة، تحتل فيها ولايات تونس العاصمة المجموعة الأولى بانفراد تام. وتحتل المجموعة الثانية والثالثة بقية المناطق الساحلية. في حين تجتمع أغلبية المناطق الداخلية بالمجموعة الرابعة، ما يؤكّد على أن التنمية الصحية بالبلاد التونسية تشهد تفاوتا ملحوظا بين المركز ومختلف الولايات من جهة وبين الولايات الساحلية أي المدن الكبرى والولايات الداخلية من جهة أخرى.

كما تؤكّد نتائج هذه النتائج على أنّ المركز المتمثل في ولاية تونس العاصمة يحتوي قدر أكبر من التجهيزات والموارد الصحية البشرية، ما يميزه تنمويا في مجال الصحة على بقية ولايات البلاد التونسية. هذا التفاوت في التنمية الصحية سيدفع ولا شك الى هجرة داخلية ظرفية أو دائمة طلبا للخدمات والرعاية الصحية نحو تونس العاصمة أو المدن الساحلية مثل ولايتي صفاقس وسوسة. فمع تطور الطب الحديث أصبحت هذه الرعاية الصحية تستوجب معدّات وتجهيزات طبية حديثة لتحديد الأمراض بكل دقة وأخرى متطورة تستخدم في الجراحة بكل حرفية تامة.

4- الهجرة الداخلية بالبلاد التونسية:

تمثل الهجرة الداخلية ذلك الحراك السكاني داخل البلد الواحد، كما وقع تعريفه سابقا والذي يؤدي إلى إعادة توزيع السكان وإعادة تنظيمهم، خاصة بالعاصمة والمناطق الساحلية والشرقية للبلاد التونسية التي توفر احتياجات السكان، الاقتصادية والاجتماعية.

هذا وتطورت الهجرة الداخلية بولايات بالبلاد التونسية بين ولايات طاردة وأخرى مستقبلة وجاذبة كما يلي (INS. 2017, P15):

رسم بياني رقم(2): حصيلة الهجرة الداخلية لجهات البلاد التونسية 2009-2014

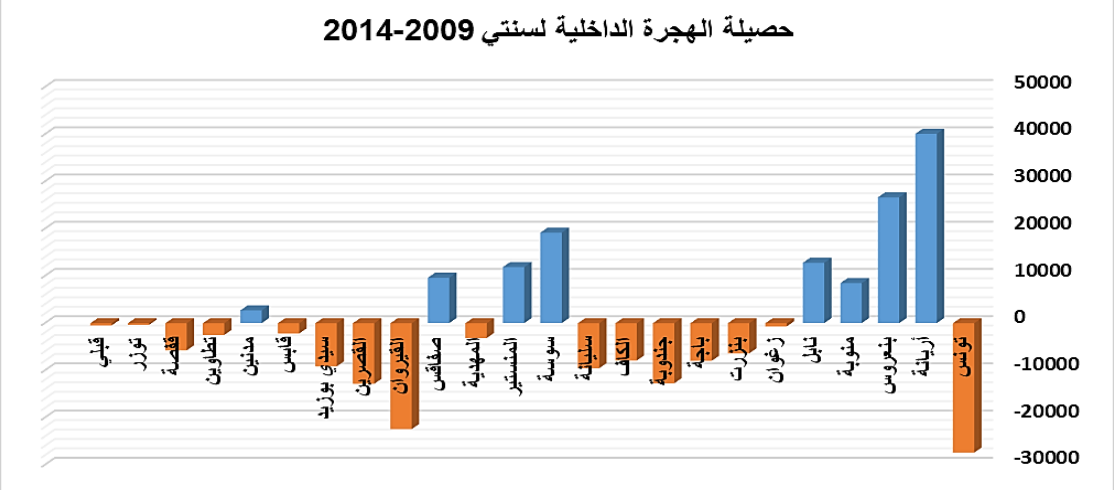

المصدر: إعداد الباحث وفقا لمعطيات المعهد الوطني للإحصاء

من خلال معطيات الرسم البياني السابق حول حصيلة الهجرة الداخلية للبلاد التونسية بين سنتي 2009 و2014 يتضح جليّا وأنّ أغلبية المناطق الداخلية للبلاد التونسية تعدّ عامل طرد للسكان، حيث أن تدفقات الهجرة لا تزال موجهة نحو الولايات الشرقية الساحلية إذ " نلاحظ أن نفس الولايات هي بالضبط التي سجلت حصيلة إيجابية سنتي 1999 و 2004" (المصدر السابق، ص14). وهم على التوالي: ولايات أريانة، بن عروس، منوبة، نابل، سوسة، المنستير، صفاقس ومدنين بحصيلة هجرة إيجابية عليا تساوي 40,1 ألف مهاجر بولاية أريانة وحصيلة هجرة دنيا بولاية مدنين بـ2,7 ألف مهاجر.

وتبقى المناطق الداخلية الولايات الرئيسية المصدرة للهجرة الداخلية بحصيلة سلبية تساوي 89029 ما بين سنتي 2009 و2014. تحتل بذلك ولاية القيروان المركز الأول من حيث حصيلة هجرة سلبية بـ 22,4 ألف، تليها القصرين وجندوبة بحصيلتين سلبيتين للهجرة بـ 12,8 ألف و12,7 ألف.

هذا وتواصل ولاية تونس العاصمة أي المركز، في رصد حصيلة لهجرة سلبية، "**27,3- الف بين سنتي 2009 و 2014، 31- ألف بين 1999 و 2004 و 22- ألف بين 1989 و 1994**" (BOUNOUH, GSIR. 2017, P38). نظرا للتوسع والتمدد العمراني بالولايات المجاورة " كما تراجع مركز المدينة (العتيق والحديث) من حيث حجم السكان والكثافة الديمغرافية نتيجة تحويل المساكن إلى محلات تجارية ومكاتب في شكل تنقية المركز وقطاعها الخدمي، خاصة وأن المؤسسات الجديدة والحديثة أصبحت تنتصب في الأطراف وهو ما جعل جودة السلع والخدمات في الأطراف تفوق بكثير شبيهها في المركز التقليدي" (بالهادي, 2020).

5- الهجرة الداخلية في علاقتها بالتنمية:

تعتبر الهجرة عموما (داخلية كانت أو دولية) "جزءا لا يتجزأ من عملية التنمية" (البوسعيدي. 2019، ص67). إذ ساهمت التدفقات السكانية الى المناطق الساحلية التونسية في زيادة نسب التحضر بها، وزيادة النمو الاقتصادي لوفرة اليد العاملة. ولكن لذلك "عواقب وخيمة عن طريق إجهاد البنى التحتية والخدمات الحضرية القائمة، مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات الفقر في المناطق الحضرية، وانعدام حصول السكّان على الرعاية الصحية والتعليم والخدمات الأخرى، بالإضافة الى المشاكل البيئية" (الاتحاد الإفريقي. 2018، ص33).

كما يترتب عن الهجرة الداخلية، آثار سلبية ترتبط بفقدان اليد العاملة الماهرة والطبقة المتعلمة من المناطق الطاردة، ما يؤثّر على نوعية الخدمات بهذه المناطق "وشيئا فشيئا فدعائم الإنتاج في المناطق المهجرة، تضعف بدورها"(البوسعيدي، ص73)، كما يؤثر على مسار التنمية عموما بالبلد الواحد من خلال التفاوت في التوزيع بين الجهات انطلاقا من عدد السكّان الذين يمثلون العنصر الرئيسي في التنمية. فالمناطق الداخلية التي تشهد منوالا تنمويا ونموّا ضعيفا، تعدّ أكبر مصدّر للمهاجرين،

"فمزيد من التنمية يقود الى هجرة أقل...فالهجرة نتاج فشل وضعف تنمية" (المصدر السابق، ص78-80) إذ يمكن الحديث اليوم عن هجرة داخلية سببها التفاوت في التنمية.

6- الدراسة الميدانية

وللوقوف على أسباب الهجرة الداخلية ودوافعها سأتناول بالتحليل تمثلات سكان ولايات الدراسة الميدانية بن عروس، سوسة، القصرين وقفصة حول الهجرة الداخلية. وفي البداية سأبين طريقة احتساب العينة التي سيقع توزيعها بطريقة حصصية وفقا للخصائص الديموغرافية والاجتماعية والجغرافية للسكان حسب كل ولاية. ومن ثمة تحليل النتائج التي صرّح بها المستجوبين باستعمال برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS وبرنامج Excel.

1.6- حساب حجم العينة :

وقع الاختيار في هذه الدراسة على استعمال العينة الطبقية، وهي التي" يكون حجمها حجمها n يتم اختيارها من مجتمع حجمه N و يقسم إلى طبقات غير متجانسة" (جنيفير. 2020، ص2). هذا ووقع احتساب العدد الأمثل للعينة وفقا لمعادلة:

$$n = \frac{\left(\frac{z}{d}\right)^2 \times (0.50)^2}{1 + \frac{1}{N}\left[\left(\frac{z}{d}\right)^2 \times (0.50)^2 - 1\right]}$$

n: حجم العينة

N: مجتمع الدراسة ويساوي **2083234 نسمة 20 سنة فما فوق**

z: الدرجة المعيارية المقابلة لمستوى الدلالة 0.95 أي قسمة **1.96**

d: نسبة الخطأ تمثل 5% أي ما يساوي **0.05** في هذه الدراسة

وعليه فإن حجم العينة n يساوي 384 ساكن لمن سنهم 20 سنة فما فوق، وفقا لهذه المعادلة الإحصائية مع نسبة خطأ تمثّل 5% ومستوى دلالة يساوي 1,96وقد أفضت النتائج الى ما سيقع تحليله في العناوين اللاحقة.

2.6- الهجرة الداخلية بولايات الدراسة:

تبيّن من خلال العمل الميداني أنّ العديد من الأسر وأفراد العينة، يقطنون بمناطق ومدن نزحوا إليها. والتي أتاحت لنا الفرصة لتحديد المناطق الجاذبة والأخرى الدافعة بمجال الدراسة.

1.2.6- واقع الهجرة الداخلية بولايات الدراسة:

لمزيد التحليل والتعمّق في الحراك السكّاني، يعطينا الجدول التالي لمحة عن الأقاليم التي دفعت بالمهاجرين نحو مختلف ولايات الدراسة، كما يلي:

جدول رقم 2: نسب تدفقات الهجرة بين الأقاليم ومجال الدراسة

الأقاليم	مجال الدراسة%			
	بن عروس%	سوسة%	القصرين%	قفصة%
الشمال الشرقي	10,43	3,15	0,00	0,00
الشمال الغربي	35,65	1,57	1,23	0,00
الوسط الشرقي	8,70	4,72	1,23	4,92
الوسط الغربي	12,17	41,73	1,23	3,28
الجنوب الشرقي	9,57	3,15	2,47	6,56
الجنوب الغربي	6,96	7,09	8,64	4,92
المجموع	**83,48**	**61,42**	**14,81**	**19,67**

المصدر: العمل الميداني

نلاحظ أنّ أنّ الحجم الأكبر من الوافدين على ولاية بن عروس من أفراد العينة المستجوبة، من الشمال الغربي بنسبة 35,65%، والذين يمثلون 42,71% من مجموع الوافدين على ولاية بن عروس. أغلبيتهم أصيلي ولاية باجة بـ36,59%، والتي تمثّل 13,04% من أفراد العينة بولاية بن عروس. تليها في ذلك كل من ولايتي سليانة وجندوبة بـ9,57% و7,83%. وبنسبة اقل ولاية الكاف بـ5,22%. علما أنّ نسبة الوافدين من الشمال الغربي على تونس الكبرى بلغت 60,9% ما بين سنة 2009-2014 (INS. P17). هذا وتستقبل ولاية بن عروس نسبة هامة من الوافدين أصيلي الوسط الغربي بـ12,17% من الوافدين. 50% أصيلي ولاية القيروان. كما تستقبل ولاية بن عروس عددا هاما من الوافدين عليها أصيلي الشمال الشرقي خاصّة من المدن المجاورة كأريانة ومنوبة بنسبة متساوية بلغت 25%، إذ "يعود الفضل للمناطق السكنية الجديدة بحيث سجلت الكثافة السكّانية نسبا هامّة داخل المعتمدّيات ذات النموّ العمراني الكبير(المروج والمدينة الجديدة)"(وزارة التجهيز والإسكان. 2010، ص23).

أمّا بالنسبة لولاية سوسة، فإنّ معظم الوافدين عليها، هم أصيلي الوسط الغربي والتي بلغت نسبتهم 41,71% من العينة، والذين يمثّلون 65,97% من مجموع الوافدين. أغلبيتهم أصيلي ولاية القيروان بنسبة 38,46% تليها ولاية القصرين بـ24,36% من مجموع الوافدين. هذا وتظل نسبة الوافدين على ولاية سوسة من بقية الأقاليم ضعيفة نسبيّا مقارنة مع إقليم الوسط الغربي، بأسبقية لإقليم الجنوب الغربي الذي بلغت نسبة الوافدين منه على ولاية سوسة 7,09% من مجموع العينة المستجوبة.

وبخصوص الولايتين المتبقيتين من مجال الدراسة وأعني بهما ولاية القصرين وولاية قفصة، فإنّ نسبة الوافدين عليهما ضئيلة جدّا، كما سبق وأشرت. فيما يخص ولاية القصرين فإنّ أغلبية الوافدين أصيلي الجنوب الغربي 58,33%، والتي تمثّل 8,64% من العينة بهذه الولاية. في حين أنّه بالنسبة لولاية قفصة فاغلبية الوافدين عليها هم أصيلي، الجنوب الشرقي بـ6,56%، أغلبيتهم من ولاية قابس بنسبة 75%.

2.2.6- أسباب الهجرة الداخلية لأفراد العينة:

سنتحدّد في هذا المحور أساب الهجرة الداخلية وتحليل عام لها، دون التوسّع في الجانب الذي يرمز الى علاقة الهجرة الداخلية بالصحة. والذي سنتناوله بالتحليل بعد أن أتطرّق الخصائص الصحية للعينة ومجال الدراسة. وفي ما يلي أسباب الهجرة الداخلية كما صرّح بها المستجوبون من أفراد العينة:

جدول رقم(3): توزيع العينة حسب أسباب الهجرة الداخلية والنوع الاجتماعي

			أسباب الهجرة الداخلية[a]				المجموع
			العمل	الدراسة	العلاج	العمل في منطقة بها مستشفيات جامعية	الزواج	
النوع الاجتماعي	ذكر	العدد	47	4	16	29	0	96
		%	48,96	4,17	16,67	30,21	0	100
		%من المجموع العام	23,74	2,02	8,08	14,65	0	48,48
	أنثى	العدد	11	5	13	14	59	102
		%	10,78	4,9	12,75	13,73	57,84	100
		%من المجموع العام	5,56	2,53	6,57	7,07	29,8	51,52
المجموع العام		العدد	58	9	29	43	59	198
		%	29,29	4,55	14,65	21,72	29,8	100

المصدر: العمل الميداني

كما سبق وأشرت فإنّ أفراد العينة والبالغ عددهم 198 فردا، أي ما يوافق 51,56% من العينة هم من النازحين. وكما هو مبيّن بالجدول، فإنّ أسباب الهجرة الداخلية متنوعة ومتفاوتة، لكلا الجنسين مع نسب متقاربة باسبقية طفيفة للإناث عن الذكور بـ3,04%. فقد ساهمت الهجرة من أجل الزواج في ارتفاع نسبة الإناث المهاجرات بالعينة والتي بلغت 29,80% بشكل عام، والتي تمثّل النسبة الأهم في صفوف الإناث النازحات بـ57,84%.

ومن الملاحظ أن الفئة من العينة المهاجرة، التي كان العمل سببا رئيسيّا في هجرتها توزعت بين مجموعتين مختلفتين. المجموعة الأولى، انتدبت للعمل، دون تحديد مسبق لمكان العمل، أي ليست بصفة اختيارية. وقد بلغت نسبتهم 29,29%، الحجم

الأكبر منها لدى فئة الذكور بنسبة 23,74% من أفراد العينة المهاجرة. والتي تمثّل النسبة الأهم في صفوفهم (اي الذكور) بـ48,96%.

أمّا المجموعة الثانية فقد اختارت لنفسها مكان العمل بمحض ارادتها، واختيارها على مناطق بعينها يشترط أن تتوفر بها أو على مقربة من المرافق الصحية العمومية ذات خدمات صحية شاملة، كجزء مشترك بين المستجوبين في هذا السياق، وقد بلغت نسبتهم 21,72%، أغلبيتهم من الذكور بنسبة 14,65%.

هذا ولم تنحصر الهجرة الداخلية بشكل أساسي كما ورد في جل الدراسات السابقة في الاقتراب من مكان العمل، أو البحث عن وظيفة " وإنّما تجاوزتهما لتقدّما طرحا جديدا بالغ الأهمية، يتمحور في الهجرة من أجل الصحة للتداوي والعلاج، أو الاقتراب أكثر فأكثر من المرافق الصحية، لكلا الجنسين على حد السواء. بمزيد التعمّق في هذه الدراسة تبيّن وانّ للهجرة الداخلية دوافع صحّية. أما بصفة مباشرة من خلال التنقّل للعلاج أو بصفة غير مباشرة تحت غطاء العمل أو أي دافع أخر، ولكن المراد منه الاستقرار بمجال تتوفّر به كل مستلزمات الرعاية الصحّية الشاملة. "ففرص العمل ونوعية الحياة عامل من عوامل الجذب" (بن سعيد. 2018، ص4). هذه الخدمات الصحية لا توفّرها مناطق الدّفع. ناهيك والعوامل البيئية المضرة بالصحة والتي "تلعب دورا

في التسبب في تحركات السكان"(الاتحاد الإفريقي. 2018، ص41). فقد تبيّن من خلال الدراسة الميدانية، أنّ هناك فئتين من المهاجرين من أجل العمل، فئة سنحت لها الفرصة لاختيار مكان العمل، فكان لها أن اختارت الولايتين الساحليتين، في علاقة بتوفّر الكماليات الحياتية بما في ذلك المستشفيات الكبرى. وفئة أخرى فرض عليها مكان العمل، ولم يتسن لها الاختيار. إذا يمكن الجزم وانّ "ظاهريا يعد البحث عن لقمة العيش الدافع الرئيسي وراء نزوح آلاف السكان، لكن البحث عن عمل ليس السبب الوحيد وراء تفاقم الظاهرة بل هناك عديد الأسباب الأخرى منها غياب أهم المرافق والخدمات الصحية والتعليم وضعف البنية التحتية والتهميش" (بشير. 2021، ص13)

3.6- الهجرة الداخلية من أجل العلاج:

نجد أيضا انّ الأمراض المزمنة التي أصبح أعداد المصابين بها في تزايد، خاصّة من كبار السن، تطلّب عناية طبّية فائقة، من جميع الاختصاصات. فعلى سبيل المثال "من بين مضاعفات النوع الثاني من مرض السكر الإصابة بالعمى، والفشل الكلوي، وتقرح القدمين الذي قد يؤدي إلى البتر، وإلى حدوث زيادة كبيرة في خطر الإصابة بالعدوى والإصابة بمرض الشريان التاجي، وبالسكتة الدماغية"(منظمة الصحة العالمية. 2003، ص96). ومع تطوّر التصوّرات الحديثة للمرض، وفي ظل غياب طواقم طبية مختصّة، يلتجئ أغلبية المرضى الى هجرة داخلية وقتية او دائمة في بعض الأحيان طلبا للعلاج كما هو الحال لبعض أفراد العينة بهذه الدراسة.

1.3.6- الهجرة الظرفية:

نقصد بالهجرة الظرفية، ذلك الحراك السكّاني، نحو مدن وولايات مجاورة، تتوفّر بها اختصاصات طبّية. نظرا للتفاوت الجهوي الذي تشهده بلادنا في هذا المجال. والذي وقع رصده خلال هذه الدراسة، بين ولايتين من الوسط والجنوب الغربيين وولايتين ساحليتين من الوسط والشمال الشرقيين. فمن المفترض أنّ "الرعاية الصحية حق للجميع، إذ يواجه السكّان المحرومين صعوبات يومية للتنقّل. نتيجة لعدم المساواة الاجتماعية والمجالية للرعاية الصحية" (Rebouha. P10). خاصّة عند الإصابات البليغة، او الإصابة بإحدى مضاعفات الامراض المزمنة. وفي ما يلي نبذة عن الحراك السكّاني لافراد العينة من أجل العلاج :

رسم بياني رقم(3): الحراك السكّاني من أجل العلاج

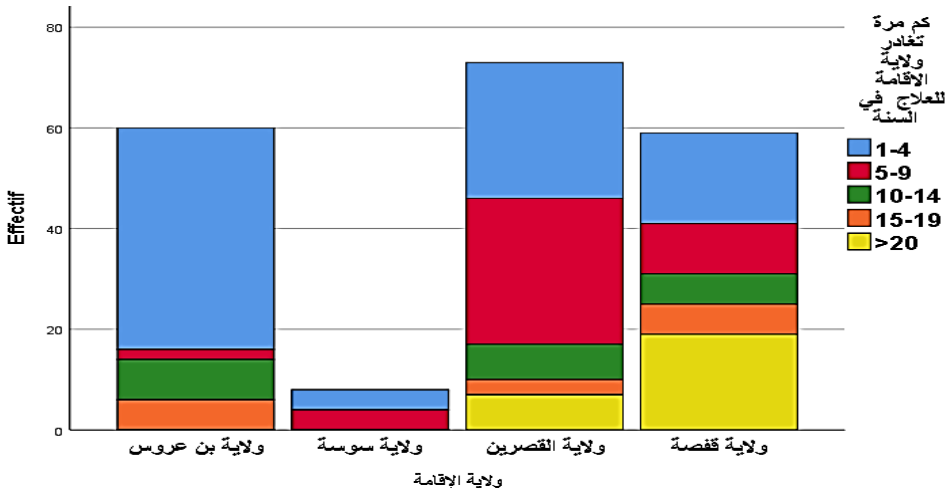

المصدر: العمل الميداني

يتبيّن من خلال الرسم البياني، أنّ مختلف ولايات الدراسة معنية بالحراك السكّاني، أو بالهجرة الظرفية من أجل العلاج، ولكن بنسب متفاوتة بينهم. هذا نلاحظ من خلال الرسم البياني أنّ أغلبية الولايتين الداخليتين تشهد حراكا سكانيا للمرضى باتجاه ولايات أخرى قصد التداوي والعلاج.فقد بلغت نسبة المهاجين ظرفيا للعلاج من العينة بولاية قفصة 98,36%، تلها ولاية

القصرين بالمركز الثاني بـ90,12%. في حين بلغت هذه النسبة بولاية بن عروس الولاية القريبة من المركز بـ52,17%. و لم تتجاوز هذه نسبة 6,30% بولاية سوسة التي تظم قطبا استشفائيا هامّا يتمثّل في المستشفى الجامعي "سهلول".

هذا وأكّد 46,5% من المستجوبين أنهم غادروا منطقة الإقامة الى مناطق مجاورة للعلاج بالمستشفيات الجامعية، بين مرّة و4 مرّات في السنة. في المقابل تتقلّص هذه النسبة شيئا فشيئا كلّما ارتفع عدد مرّات مغادرة الولاية في اتجاه المدن الكبرى للعلاج.

وفي هذا الإطار لمحة عن الوجهة الاساسية للمرضى نحو مختلف المدن لتلقي العلاج ومن ثم العودة الى مدن غقامتهم كما يبينه الجدول التالي:

جدول رقم (4): الحراك السكّاني لأفراد العينة قصد العلاج

ولايات الدراسة		المدن التي توفّر العلاج			المجموع
		تونس العاصمة	سوسة	صفاقس	
بن عروس	العدد	60	0	0	60
	النسبة	100	0	0	52,17
سوسة	العدد	8	0	0	8
	النسبة	100	0	0	6,3
القصرين	العدد	12	38	23	73
	النسبة	16,44	52,05	31,51	90,12
قفصة	العدد	11	10	38	59
	النسبة	18,64	16,95	64,41	96,72

المصدر: العمل الميداني

كما سبق وأشرنا أنّ العديد من الولايات تدفع بالمرضى إلى هجرة ظرفية للعلاج والحصول على رعاية صحّية شاملة، فـ52,17% من العينة بولاية بن عروس وجهتهم الأساسية تعدّ تونس العاصمة من أجل العلاج وهي الأقرب غلهم من حيث المسافة. والتي تعدّ نفس الوجهة لأفراد العينة بولاية سوسة دون سواها بنسبة 6,3%.

في المقابل، تتنوع الوجهة بالنسبة للولايتين الداخليتين. حيث أنّ سوسة تعدّ اهم وجهة للمرضى قصد الحصول على الرعاية الصحية بنسبة 52,05%. تأتي ولاية صفاقس الوجهة الثانية بـ31,51%. أمّا الوجهة التي تحتل المركز الأخير فهي تونس العاصمة نظرا لبعد المسافة بـ16,44%. فالمرضى من السكان بولاية قفصة مثلا، فإنّ ولاية صفاقس تعدّ الوجهة الرئيسية لهم لتلقي العلاج حسب ما صرّح به 64,41% من العينة بهذه الولاية.

2.3.6- الهجرة الدائمة من أجل العلاج:

تلعب العديد من الأسباب في ديمومة الهجرة، أي الانتقال من مجال إلى آخر قصد الاستقرار فيه. "فالتحول من نمط إلى آخر هدفه هو العيش بمسكن صحي لائق حضري، كالحق في ممارسة الحرية، و العيش في كر امة و البحث عن ظروف أحسن من سكن، صحة، تعليم و عمل، و تحقيق " ترقية اجتماعية promotion sociale" (جغار. 2016، 154) فقد ثبت من خلال هذه الدراسة نوعية من الهجرة الداخلية التي تتميّز بديمومتها، السبب الرئيسي فيها العلاج والحصول على الرعاية الصحّية المناسبة كما يلي:

رسم بياني رقم(4): الهجرة من أجل العلاج

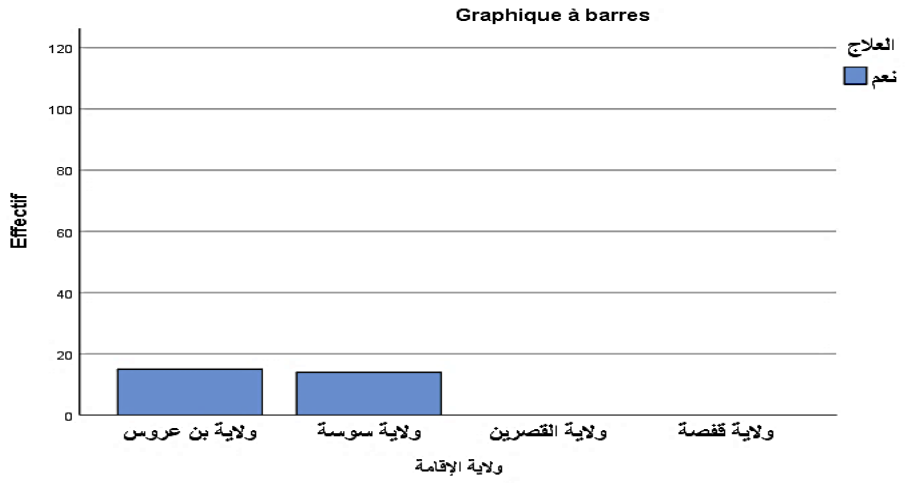

المصدر: العمل الميداني

كما سبق ذكره سلفا، فإنّ الولايتين التي تستقطب السكان للعلاج، ولاية سوسة، وولاية بن عروس كجزء من العاصمة وأحد أطرافها، باعتبارها لاتزال مكانا خصبا يوفّر مناطق سكنية تستوعب عدد المهاجرين نحو العاصمة. هذا وقد بلغت نسبة المهاجرين بلا عودة من أجل العلاج والتداوي بلغت 7,55% من أفراد العينة، واستقرّ منهم 51,72% بولاية بن عروس والبقية بولاية سوسة. موزعين حسب الجنس والسن كما يبينه الهرم السكاني:

رسم بياني رقم(5): الهرم السكّاني للمهاجرين من أجل العلاج

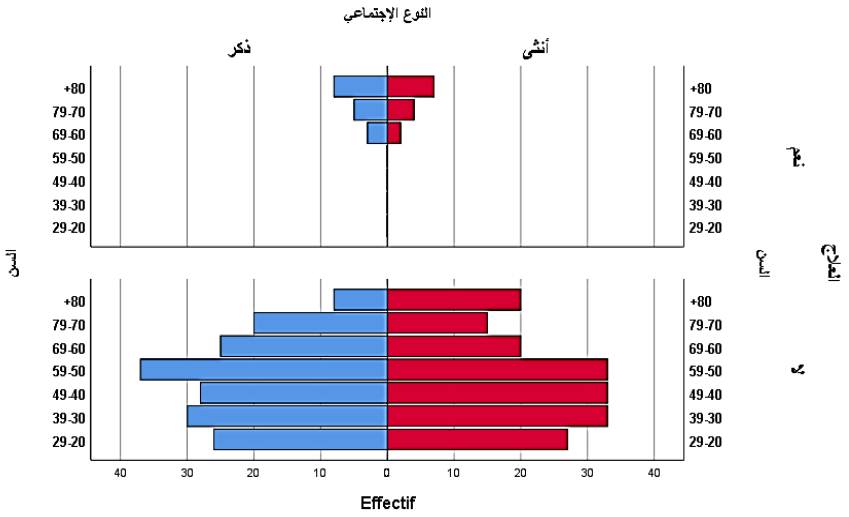

المصدر: العمل الميداني

كما هوّ مبيّن من الهرم السكّاني للنازحين من أجل العلاج، فإنّ سنّهم 60 سنة فما فوق، وكلما انتقلنا من فئة عمرية الى أخرى إلاّ وازداد عددهم، في تناسق كبير بين عدد الذكور والإناث كما يبينه الرسم. فالفئة العمرية 60-69 أي القاعدة تضمّ 17,24% من المهاجرين، بتقدّم للذكور عن الإناث بـ10% فقط. في حين تضمّ الفئة العمرية 70-79 سنة 31,03% بأسبقية كذلك للذكور عن الإناث بـ5,55%. في حين يضمّ اعلى الهرم لمن سنهم 80 سنة فما فوق، اعلى نسبة من المهاجرين بـ51,72%.

هذا وأكّد جميع المهاجرين أنهم يقيمون لدى أحد الفروع، الذي يقطن على مقربة من مستشفى جامعي، حتى يتيسّر لهم العلاج، وتخطّي كل الظروف التي تعيق عملية التنقّل للتمتّع بالخدمات الصحّية، والمتمثّلة في بعد المسافة والنفقات الإضافية المترتبة عن النقل.

ولكن مهما كانت الهجرة ظرفية أو دائمة، فإنّها خلقت العديد من الصعوبات والتحديات التي تواجهها المناطق الجاذبة والدافعة على حد السواء.

4.6- تداعيات الهجرة الداخلية على المنظومة الصحّية الجهوية:

سبق وأشرنا إلى أنّ الهجرة الداخلية، بمختلف أسبابها، نحو المدن الساحلية والكبرى. خلقت العديد من الاختلالات على المستوى الديموغرافي، والاجتماعي بالخصوص. وفي هذا الجزء سأتناول بالتحليل الأثار السلبية التي تسببت فيها الهجرة الداخلية مهما كانت أسبابها على المنظومة الصحية بالمناطق الجاذبة والأخرى الدافعة. فمع تحول الاقتصادات، تصبح حركة الأشخاص سعيًا وراء فرص أفضل داخل البلدان أمرا محتما. وغالبا ما يعتبر تنقل الأشخاص نتيجة لأوجه انعدام المساواة الكبيرة في الفرص التي ما تزال موجودة في مختلف أنحاء العالم داخل البلدان. "فيمكن النظر الى المهاجرين نظرة إيجابية باعتبارهم قوى عاملة، أو بالعكس كعبء ثقيل غير مرغوب فيه ملقى على عاتق المجتمع"(منظمة الأغذية والزراعة. 2018، ص2).

1.4.6- انعكاسات الهجرة الداخلية على التنمية الصحية بالولايات الجاذبة:

في البداية سنتناول تحليل الإحصائيات بخصوص الأثار الجانبية للهجرة الداخلية على الولايات الجاذبة والتي تتمثّل فيما يلي:

جدول رقم(5): انعكاسات الهجرة الداخلية على المنظومة الصحّية الجهوية، بالولايات الجاذبة:

الانعكاسات	ولايات الدراسة %				
	بن عروس	سوسة	القصرين	قفصة	المجموع
الاكتظاظ	43,48	43,31	82,72	88,52	58,85
مواعيد طويلة الأمد	66,09	59,84	90,12	88,52	72,66
طول الانتظار	70,43	73,23	90,12	85,25	77,86
سوء الخدمات الصحية	29,57	29,13	91,36	59,02	47,14

عدم القدرة على توفير كل احتياجات الفرد من الرعاية الصحية	67,83	65,35	95,06	95,08	77,08

المصدر: العمل الميداني

أكّد أغلبية أفراد العينة، وجود العديد من الأثار الجانبية التي انعكست سلبا على قطاع الصحة العمومي بالمناطق الساحلية الجاذبة، نتيجة للهجرة الداخلية. وكان في مقدّمة هذه الأثار السلبية طول الانتظار قبل العيادة الطبية، بنسبة 77,86% من أفراد العينة. تطرّق الى هذا الجانب أغلبية العينة بنسب متقاربة.

هذا ومثّل عدم قدرة القطاع على تلبية احتياجات الأفراد من الرعاية الصحية الشاملة، الأثر السلبي للهجرة الداخلية على قطاع الصحة، الذي احتل المركز الثاني بنسبة 77,08% من المصرّحين من أفراد العينة. حيث شهدت ولايتا القصرين وقفصة أعلى النسب بخصوص هذا الأثر بـ95,06% و95,08%. وفي هذا السياق أكّد 72,66% من العينة أنّ الهجرة الداخلية كانت السبب وراء المواعيد الطويلة الأمد. كما تسببت الهجرة الداخلية في اكتظاظ بالمرافق الصحية الجهوية بالمناطق الجاذبة، صرّح بذلك 58,85% من أفراد العينة. هذا وأكّد أفرد من العينة المستجوبة أنّ عامل الهجرة الداخلية تسبب في اكتظاظ بالمرافق الصحية بالمناطق الجاذبة أدّى إلى سوء سوء الخدمات الصحية التي تقدمها المنظومة العمومية.

وما يمكن أن نستخلصه أنّ هذه الهجرة الداخلية من اجل العلاج كانت دائمة أو ظرفية تسببت في العديد من التحديات التي يواجهها المرضى أثناء عملية العلاج، وقد صرّح بذلك وبنسب أكبر أغلبية العينة بالولايتين الداخليتين، حيث "يعتبرون أنفسهم عبئا غير مرغوب فيه على الخدمات العامة وفي مجالات، مثل: الصحة والتعليم، ويتسببون في خلق توترات اجتماعية مع السكان المحليين" (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. 2009، ص71).

2.4.6- انعكاسات الهجرة الداخلية على المنظومة الصحية بالولايات الدافعة:

كما أنّ للهجرة الداخلية تداعيات سلبية على المنظومة الصحّية بالمناطق الجاذبة، سنلاحظ أن لها تداعيات سلبية على المناطق الدافعة كما يبينه الجدول التالي:

جدول رقم(6): تداعيات الهجرة الداخلية على المنظومة الصحة بالولايات الدافعة

الانعكاسات	ولايات الدراسة %				المجموع
	بن عروس	سوسة	القصرين	قفصة	
مزيد تهميش المنظومة الصحية	31,30	9,45	96,30	90,16	47,14
اتساع هوة التفاوت الجهوي في التنمية الصحية	33,04	11,02	97,53	78,69	46,61

المصدر: العمل الميداني

أكّد 47,14% من العينة أنّ الهجرة الداخلية من شأنها أن تزيد في تهميش المنظومة الصحّية بالولايات الدافعة، نظرا لأنّ الإقبال على المؤسسات الاستشفائية بالولايات الجاذبة يزيد من تخصيص موارد إضافية لها، لتغطية النقائص، ومقاومة التحدّيات التي يشهدها قطاع الصحّة بهذه الولايات نتيجة للاكتظاظ ونقص الموارد. تزيد في تقدّم قطاع الصحة بالولايات الجاذبة على حساب الولايات الدافعة. هذا وقد صرّح 46,61% من العينة أنّ الهجرة الداخلية تسببت في زيادة تهميش المناطق الداخلية، بقطاع الصحة العمومية، وساهمت في اتساع فجوة التفاوت الجهوي في التنمية الصحّية. أكّده 97,53% من أفراد العينة بولاية القصرين. و78,96% من أفراد العينة بولاية قفصة.

الخاتمة:

بالرغم من التقدّم والتطوّر الذي عرفه القطاع الصحّي ببلادنا، مما نتج عنه رفع أمل الحياة عند الولادة وتخفيض نسبة الوفيات عموما (ونسبة وفيات الأحداث، ونسبة وفيات الأم عند الولادة) إلى جانب تغطية اجتماعية، شملت أغلب شرائح المجتمع التونسي. لازال هذا القطاع العمومي يواجه العديد من النقائص والتحديات، الذي يشكو من التوزيع غير المتكافئ للموارد البشرية والبنى التحتية بين مختلف المناطق والجهات. فقد أولت منظمة الصحة العالمية في هذا السياق اهتماما كبيرا للارتقاء بالخدمات الصحية لتشمل كل الشرائح العمرية، دون أي تمييز طبقي أو عرقي أو جغرافي.

إنّ دراسة التفاوت بين الجهات، لا يقتصر على تباين الاستثمارات في مجال التصنيع، بل يتعدّاه الى التفاوت في البنى التحتية والموارد البشرية. فقد أثبتت هذه الدراسة أنّ التفاوت الجهوي في الصحّة، ساهم في تنامي ظاهرة الهجرة الداخلية طلبا للعلاج ولخدمات صحّية شاملة متطوّرة، لا تتوفّر بالمناطق الداخلية الدافعة. مما أدّى في النهاية إلى تداعيات خطيرة أثّرت على المناطق الجاذبة والدافعة.

المراجع باللغة العربية:

- أبي الفتح، ناصر الدين ابن الطرز. (1975)، المغرب في ترتيب العرب، مكتبة أسامة بن زايد، سوريا
- الإتحاد الافريقي. (2018)، الإطار المنقح لسياسة الهجرة في إفريقيا: خطة العمل 2018-2027، أديس أبابا ، أثيوبيا
- بن سعيد، آمال. (2018)، مشروع الهجرة المختلطة للشباب، صندوق الأمم المتحدة للسكان بتونس، تونس
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. (2009)، تقرير التنمية البشرية، مركز معلومات قراء الشرق الأوسط، مصر
- تيدروس، أدهانوم وآخرون. (2019)، تعزيز الصحة الحفاظ على سلامة العالم، منظمة الصحة العالمية، Inis Communication، سويسرا
- دائرة الإحصاءات العامة. (2016)، الهجرة الداخلية والدولية، التعداد العام للسكان والمساكن سنة 2015، الأردن
- بشير، رياض. (2021)، دراسة تشخيصية وتقييمية حول الواقع الاقتصادي بتونس وسبل تجاوز التفاوت التنموي بولايتي جندوبة وقبلي، سوليدار تونس.
- بوصيدة، سامي، بن رابح عمار. (2016)، *ماهية ودلالات التنمية في علاقة مع الواقع التونسي*، المعهد التونسي للقدرة التنافسية والدراسات الكمية، تونس
- المازقي، صالح. (2012)، الطور الأخير، الدار المتوسطية للنشر، تونس
- بالحاج لطيف، طارق. (2018)، دراسة ديموغرافية لمرضى السكّري، ماجستير بحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس
- جغار، عايدة. (2016)، الحراك السكني كدنماكية حضرية بقسنطينة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التهيئة العمرانية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر
- بن عبد اللطيف، العقيل عبد الله. (2020)، بر الوالدين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض
- بالهادي عمر (2020)، ترحال في المجال : تونس العاصمة، ماي 2020، تم استرجاع من الرابط التالي: http://amorbelhedi.m.a.f.unblog.fr/files/2020/03/la-capitale-tunis1.pdf .
- ختو، فايزة. (2011)، البعد الأمني للهجرة غير الشرعية في إطار العلاقات الأورو مغاربية، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، الجزائر.
- الشبيب، كاظم. (2007)، معوقات التنمية الصحية، صحيفة العكاظ، العدد 2202
- قعلول محمد وآخرون. (2020)، مناصرة القضايا البيئية: من الاحتجاج إلى التقاضي، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، قسم العدالة البيئية، تونس
- منظمة الأغذية والزراعة. (2018)، الهجرة والزراعة والتنمية الريفية، روما إيطاليا
- منظمة الصحّة العالمية. (2003)، النظام الغذائي والتغذية والوقاية من الأمراض المزمنة، جنيف
- بالحاج لطيف، نوفل. (2015)، جدل العدالة الاجتماعية في الفكر الليبيرالي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت سنة 2015
- جنيفير، هلاس. (2020)، البحث الكمي والكيفي، كلية العلوم الإنسانية جامعة وهران، الجزائر
- وزارة التجهيز و الإسكان و التهيئة الترابيّة. (2010)، أطلس ولاية بن عروس، الإدارة العامّة للتهيئة الترابيّة، تونس
- البوسعيدي وليد (2019)، الهجرة الدولية وتأثيراتها على التنمية المحلية: مثال غار الدماء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

المراجع باللغة الأجنبية:

- BOUNOUH, GSIR (2017), Migrations et environnement en Tunisie : Relations complexes et défis pour le développement, Editeur: Organisation internationale pour les migrations, Tunisie

- Bousnina, Adel. (2019), (Apropos d'Amartya Sen), La Tunisie périphérique oubliée : Essai sur le développement local, la marginalisation, et les disparités territoriales, L'Harmatan, Paris
- Beitone, Alain. (2000) ,Sciences Sociales, 2eme édition Dalloz édition, Paris
- OMS. (2008), Commission des déterminants sociaux de la santé de l'OMS, Genève,
- Rebouha, Fafa. (2012), Concentration des services de santé, contraintes de mobilité et difficultés d'accès aux soins dans la métropole d'Oran, Oran
- INS. (2017), RECENSEMENT GÉNÉRAL DE LA POPULATION ET DE L'HABITAT 2014, Volume 5 : CARACTERISTIQUES MIGRATOIRES, Retrieved from : file:///C:/Users/ThinkPad/Downloads/Concentration_des_services_de_sante_contraintes_de.pdf
- Ministère de Santé et services sociaux Canadienne. (2005), La Santé dans une perspective de Développement durable, Mémoire présenté au ministère de l'environnement dans le cadre de la consultation publique sur le Plan de Développement durable du Québec
- Patrick, Donald, Patrick. (1982) sociology as applied to medicin, Bailliere Pindall, London

- XLSTAT (2020) Retrieved from https://www.xlstat.com/fr/solutions/fonctionnalites/classification-ascendante-hierarchique-cah
-

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

Air pollution and its risks to the field: A comparative study between "Chatt Essalem and New Matmata" from Gabès Governorate

Kamel B. Abdesslem Khlifi

Higher Institute for Human Sciences of Medenine, University of Gabes, Republic of Tunisia

Email: khlifikamel@hotmail.fr

Abstract

This research, entitled: Air pollution and its risks to the field, aims to present the industrial zone and the danger it represents for the inhabitants who border it following the successive disasters caused by the factories erected in the aforementioned zone. We conducted a comparative study between two geographical regions. The first area is adjacent to the industrial zone called "Chatt Essalem," while the second area is more than 30 kilometers away from the pollution hotspots, which is the "New Matmata" area.

In our study, we relied on a field research in which we used the descriptive approach, through a questionnaire It included 280 respondents, divided equally between the two areas mentioned previously, and interviews. We chose the stratified sample due to the breadth of our research. And we have concluded the following results: -The role of the industrial zone in the region's environmental degradation.

-The extent of the participation of the respondents in the awareness of environmental risks, diseases resulting from pollution, and the recurrent disasters that afflict the lives of local elderly people in the area near the pollution hotspots.

Keywords: Social interaction; Social adaptation; Environmental risks; Risk society; Environmental disasters.

التلوّث الهوائي ومخاطره على المجال: دراسة مقارنة بين "شطّ السّلام ومطماطة الجديدة" من ولاية قابس

كمال بن عبدالسلام خليفي

المعهد العالي للعلوم الانسانية مدنين، جامعة قابس، الجمهورية التّونسيّة

الايميل: khlifikamel@hotmail.fr

ملخص

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

يهدف هذا البحث الموسوم ب: التلوث الهوائي ومخاطره على المجال إلى التعريف بالمنطقة الصناعية والخطر الذي تشكّله على السكّان المُجاورين لها من جرّاء الكوارث المتتالية التي خلّفتها المعامل والمصانع المنتصبة في المنطقة المذكورة. وقد قمنا بدراسة مقارنة بين مجالين جغرافيين، المجال الأول متاخم للمنطقة الصناعية ومجاورا لها وهو "شطّ السّلام" أمّا المجال الثّاني فهو بعيدا عن بؤر التلوّث بأكثر من 30 كيلومترا والمتمثّل في منطقة "مطماطة الجديدة".
وفي دراستنا اعتمدنا على بحث ميداني استعملنا فيه المنهج الوصفي من خلال استمارة استبيان، ضمّت 280 مستجوبا مقسمين بالتّساوي بين المجالين المذكورين سابقا، ومُقابلات مباشرة. وقد اخترنا العيّنة الطبقيّة نظرا لاتّساع رقعة بحثنا. وخلصنا إلى النتائج التّالية: -المنطقة الصناعيّة تساهم بشكل كبير في التّدهور البيئي بالجهة.
-مدى انخراط جمهور المبحوثين في الوعي بالمخاطر البيئيّة، وبالأمراض النّاتجة عن التلوّث وبالكوارث المُتكرّرة الّتي تعصف بأرواح المحلّيين المُعمّرين للمجال القريب من بؤر التلوّث.

الكلمات المفتاحية:

التفاعل الاجتماعي؛ التكيّف الاجتماعي؛ المخاطر البيئيّة؛ مجتمع المخاطر؛ الكوارث البيئية.

مقدمة:

إنّ الوضع البيئي في البلاد التونسيّة، لا يقلّ خطورة عن الوضع العالمي، حتّى وإن اختلفت طبيعة الأزمات البيئيّة وأسبابها. حيث أنّنا نعيش في بيئة شديدة التّدهور انعكست آثارها سلبا على التّنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة للبلاد. والمواطن القابسي اليوم، يعي جيّدا المخاطر البيئية الّتي تُهدّده على العديد من المجالات. نذكر منها المجال الصحّي الّذي يدقّ ناقوس الخطر في ظلّ تفاقم الأمراض النّاتجة عن مشكل التلوّث. مع تدهور تامّ على المستوى الايكولوجي للجهة جرّاء السلوك الإنساني وتصرّفاته في محاولاته لإشباع رغباته، خاصّة مع تحرّره من كلّ الضّوابط الأخلاقيّة وخضوعه للمنطق الأناني، بسيطرة الفكر المادّي عليه. لقد تغيّر الوضع في جهة قابس خلال العقود الماضية، لتُصبح المدينة مجالا لنشاط صناعي ملوّث. وقد أصبح الخطر البيئي جدالا محلّيا ووطنيّا. فهنالك فئة من المجتمع المحلّي لا تكترث لهذه المسألة، وتعتبر أنّ المجمع الكيميائي، عنصرا ايجابيّا. ويشترك في ذلك الفاعل السّياسي من خلال رهان الحكومات المتعاقبة والحقب السياسيّة من مرحلة حكم بورقيبة إلى بن علي، وصولا إلى مرحلة ما بعد الثورة. وذلك من أجل تثبيت هذا النّشاط الصّناعي، رغم المخلّفات البيئيّة ومخاطرها. أمّا الشقّ الثّاني والّذي نُصنّفه ضمن المجتمع أو الزّمر الاجتماعية الممانعة والمقاومة للتلوّث وللنّشاط الصّناعي ومنهم المزارعون وبعض الجمعيّات النّاشطة في المجال البيئي. ولا تتوقّف النّتائج السلبيّة عند حدود المستوى الايكولوجي، بل تتعدّاه إلى المستوى البشري وتأثيراته الصحّية على متساكني جهة قابس، حيث يُعتبر إنشاء المركز الصحّي للأمراض الخبيثة بالمستشفى الجهوي بالولاية، دليلا على إحدى الصّور المعبّرة عن تطوّر ظاهرة التلوّث. ولذلك، وجب البحث عن الرّهانات انطلاقا من المواطنين الّذين يُقيمون بجوار المنطقة الصناعيّة. فهم فاعلون اجتماعيّون تحكم سلوكهم رهانات ولهم استراتيجيات فعل، قد تُحدّد طبيعة مواقفهم من وجود المنطقة الصناعيّة، ومدى تفاعلهم معها.

1-الإطار النظري للدراسة

1.1.إشكالية البحث

إنّ استفحال ظاهرة التلوّث، والتّدهور البيئي من جرّاء مُخلّفات إنتاج المنطقة الصناعيّة، حتّم علينا الخوض في مسألة التلوّث الصّناعي بجهة قابس من خلال دراسة ميدانية شملت 280 مستجوبا موزعين بالتساوي بين الذّكور والإناث، وبين مجالين جغرافيين يختلفان على مستوى القرب والبعد عن المعامل والمصانع المنتصبة بجهة قابس. وأجرينا مقارنة بين كلّ من منطقة شط السلام التابعة لمعتمدية قابس المدينة والتي لا يفصلها عن المنطقة الصناعية سوى بعض الأمتار، وبين معتمدية مطماطة الجديدة والتي تبعد نحو ثلاثين كيلومترا عن المجمّع الكيميائي التّونسي. ونتيجة لهذا الوضع البيئي المتردي في جهة قابس، كان لزاما علينا طرح مجموعة من الأسئلة، والتي سنجيب عنها عند تحليلنا لنتائج العمل الميداني. وكانت الأسئلة كالتالي: إلى أيّ حدّ

يمكننا التّضحية من أجل المنطقة الصناعية، وتحديدا المجمع الكيميائي بالخصوصيّات الايجابية للجهة؟ وكيف تمكّن المجمع الكيميائي بقابس من فرض نفسه وهو قريب من المناطق الآهلة بالسكّان، بالرّغم من الأضرار الّتي باتت ظاهرة للعيان خاصّة وقد تطرّق جلّ الفاعلين في ولاية قابس لمسألة المخاطر البيئيّة والصحيّة للمحلّيين؟

2.1. فرضيات البحث

لقد اخترنا ثلاث فرضيات رئيسية للبحث سنتعرض إلى تحليلها ومناقشتها في الجانب التطبيقي للدراسة حتى نتمكن من دعمها أو دحضها. وكانت الفرضيات كالتالي:

*تحوّلت المنطقة الصناعيّة بقابس في الذّاكرة الجماعيّة للمجتمع المعني بالتلوّث البيئي، من مشروع للتقدّم الاقتصادي، والرقيّ الاجتماعي، إلى عنصر تدمير ايكولوجي وصحّي وتنموي.

*الانخراط في العمل الجمعيّاتي، يلعب دورا في بثّ الوعي بالمخاطر البيئيّة.

*الوعي بالمخاطر البيئيّة والصحّية، يدفع المتساكنين إلى شحن قدراتهم بآليّات للّدفاع عن بيئتهم عبر بعض المؤسّسات والمجتمع المدني، لتعزيز منطق التّضامن وخلق موازين القوى لمواجهة المسؤولين على التلوّث البيئي.

3.1. أهداف البحث

-التعرف على المخاطر التي يتسبب فيها المجمع الكيميائي على صحة السكّان المحليين.

-مدى تأثير التلوث الهوائي على المجال القريب والبعيد عن بؤر التلوّث.

-ردّات الفعل النّاتجة عن أهالي كلا المنطقتين، شطّ السّلام ومطماطة الجديدة تجاه التلوث البيئي.

4.1. الجهاز المفاهيمي

1.4.1. مفهوم التّفاعل الاجتماعي:

* **اصطلاحا:** التفاعل الاجتماعي، هو العمليّة الّتي بمقتضاها تتيح الجماعة للأفراد الّذين يتّصل بعضهم بالبعض الآخر بالتفاعل في ما بينهم، وأن يُؤثّر كلّ فرد على الآخرين، ويتأثّر بهم في الأفكار والأنشطة على حدّ السّواء (جابر، 2006، صفحة 55).

* **التّفاعل من منظور اجتماعي:** هو العمليّة الّتي يرتبط بها أعضاء الجماعة مع بعضهم البعض عقليّا، ودافعيّا، وفي الحاجات والرّغبات والوسائل والأهداف والمعارف (باسم، 2004، صفحة 288). ويقصد أيضا بالتّفاعل الاجتماعي التّأثيرات المتبادلة الّتي تحدّدت بين الأفراد والجماعات، بحيث يُؤثّر ويتأثّر بالآخر. إذ يبدأ كلّ شخص بفعل اجتماعي، يعقبه ردّة فعل تصدر عن شخص آخر، ويحدث ذلك في محاولة من الأفراد لحلّ مشاكلهم، وفي كفاحهم من أجل الوصول إلى الأهداف (حسين، 2004، صفحة 88).

2.4.1 مفهوم التكيّف الاجتماعي.

التكيّف الاجتماعي، هو عمليّة ديناميكيّة مُستمرّة، يهدف به الشّخص إلى تغيير سلوكه، ليُحدث علاقة أكثر توافقا بينه وبين البيئة. وبناء على ذلك نستطيع أن نُعرّف هذه المظاهر، بأنّها القُدرة على تكوين علاقات حسنة بين المرء وبيئته (فهمي، 1958، صفحة 359). كما يُعرّف يوسف مراد التكيّف ب: "أنّه سلوك الفرد باتباع التّقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعيّة، كي ينسجم مع غيره من الأفراد". (مراد، 1986، صفحة 126). كما يجب على الفرد "احداث نوع من التّوازن بينه وبين بيئته المادّيّة والاجتماعيّة. ويكون ذلك عن طريق الامتثال للبيئة والتحكّم فيها أو إيجاد حلّ وسط بينه وبينها" (راجح، 1975، صفحة 29). وللتكيّف الاجتماعي عدّة أشكال نذكر منها: التكيّف الأسري، الرّوحي البيئي والتكيّف في مجال العمل والدّراسة، ومع الأصدقاء (أحمد، 1985، صفحة 11). ويرى "قالنت"، بأنّ أهمّ الثّقافات الفرعيّة بالنّسبة لتكيّف الأفراد داخل المجتمع، تتمثّل في ثقافة الأسرة وثقافة الأصحاب. وانطلاقا من مبدأ "النّسبية الثقافيّة" يمكن الحكم على السّلوك بأنّه مناسب أو غير مناسب متكيّف أو غير متكيّف، وذلك من خلال علاقة الفرد بثقافة معينّة، وفي زمن معيّن. حيث تتوقّف درجة تكيّف الفرد، من خلال قدرته على التأقلم مع عدّة عوامل، منها: العضويّة والوظيفيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة. بالإضافة إلى العوامل المتعلّقة بالمواقف الاجتماعيّة المختلفة، والّتي يتفاعل فيها الفرد مع العوامل الاجتماعيّة العامّة (نوري، 1988، صفحة 133).

3.4.1 مفهوم المخاطر البيئيّة.

المخاطر البيئيّة هي حُدوث اختلال في توازن النّظام البيئي، ويحدث هذا الاختلال عندما يتمّ التّأثير على مُكوّن واحد من مُكوّنات التّوازن البيئي، أو أكثر من مُكوّن. ورغم تعدّد أخطار هذا المجتمع الجديد وهو مُجتمع المخاطرة، والّتي أشار أولريش باك Ulrich Beck إلى ضرورة انتقادها، فإنّ أكثر الأخطار أهميّة في الوطن العربي، هي مُشكلة اللاّأمن الاجتماعي. إن حقوق الخدمات الصحّية، مهدّدة بالتلوّث وبالكوارث الشبيهة بكارثة تشيرنوبيل... وما من أحد يستطيع تجنّب آثار زيادة حرارة كوكب الأرض، وكذلك من شأن الآثار الفعليّة للنّظم الاقتصاديّة أن تسخر من عقلانيتها المزعومة، وأن تُؤدّي إلى تجريدنا من حقوقنا (فرانك (جي ليتشز) وجون، 2004، صفحة 338). لهذا ذهب: إمليو ماريديني mardini Emilio للقول بأنّ: شدّة الخطر عالميّا، تسمو بكلّ الفروق الاجتماعيّة والاقتصاديّة والجغرافيّة لمُجتمع المخاطرة للوصول إلى مُجتمع الأمن.(Mordini, 2009)

4.4.1.مُجتمع المخاطر.

أمّا مُجتمع المخاطرة: فهو مصطلح مُكوّن من كلمتين: مُجتمع ومُخاطرة. والمخاطرة من الخطر، ويحتمل في اللّغة معنيين: المعنى الأوّل: هو ارتفاع القدر، فيُقال خطر بمعنى صار عالي المقام. والمعنى الآخر لكلمة خطر فهو: الإشراف على هلكة... (غالب، 2003، صفحة 18) أو كما يُعرّفه لاروس الصّغير: «هو إمكانيّة أو احتمال فعل أو حادث فيه ضرر.(Malaval, 1999, p. 351). إنّ فكرة السّيطرة المحتملة على المخاطر أمر ضروريّ بفضل الرّبط بين الخبرة والقرار. إنّ المخاطر التّكنولوجية، هي بُؤرة من بُؤر ثمانينات القرن العشرين تطوّرت مع تطوّر التّكنولوجيا. (Lagadec, 1981) أو على نحو أدقّ فالتّهديدات المصحوبة بشكوك قد نشأت في التّسعينات والمتمثلة في عدّة أمراض طفت على السّاحة. ومن بين هذه الأمراض نذكر "مرض جُنون البقر، الكائنات المعدّلة وراثيا المهاتفة المتنقّلة، وما إلى ذلك"(René, 2001, p. 90) .

2- الإطار المنهجي للدراسة

1.2. المنهجية المعتمدة:

نظرا لطبيعة الدراسة التي تعالج مسألة المخاطر البيئية المنجرّة عن التلوّث الصناعي، فإنّنا لا نستطيع أن نستغني عن الطرق البحثية والمعرفية التي تساعدنا على فهم ظاهرة التلوث، وعلى معالجتها علميا. وبالعودة إلى تساؤلات البحث وطبيعة الفرضيات، فإننا اعتمدنا في هذه الدراسة على المراوحة بين المنهج الكيفي والمنهج الكمي ونموذج المقارنة. وذلك بالاعتماد على الملاحظة

بالمشاركة، وعلى تقنية المقابلة نصف الموجهة، مع التركيز على استمارة الاستبيان، نظرا للتنوع بين الفاعلين. ولذلك استعملنا المقاربة الوصفية، لأنّها تُعتبر أسلوب أو طريقه لدراسة الظّواهر الاجتماعية بشكل علمي منظّم، من أجل الوصول إلى أغراض محدّدة لوضعية اجتماعية معيّنة، أو مشكلة، أو سكّان معيّنين.

2.2.المقاربة الوصفية

تعدّ المقاربة الوصفية طريقة منتظمة لدراسة حقائق راهنة، متعلّقة بظاهرة أو موقف أو أفراد، أو أحداث، أو أوضاع معيّنة، بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقّق من صحّة حقائق قديمة وآثارها، والعلاقات الّتي تتّصل بها وتغيّرها، وتكشف الجوانب التي تحكمها (سلطانية، 2012، صفحة 133). وفي المقاربات الوصفية يحاول الباحث أن يتوصل إلى إجابات عن مشكلات، خلال تحليل العلاقات السببية. فيبحث عن العوامل التي ترتبط بوقائع وظروف أو أنماط سلوك معينة وذلك لأن الباحث يجد أنه من غير العملي، أن يعيد ترتيب الوقائع والتحكم في وقوعها. والطريقة الوحيدة المتوفرة لديه، هي تحليل ما يحدث فعلاً لكي يتوصل إلى الأسباب والنتائج (جابر (عبد الحميد) و كاظم، 1996، صفحة 193).

3. تحليل نتائج البحث الميداني

1.3. المخاطر البيئيّة:

1.1.3 القطب الصّناعي بقابس ومساهمته في التلوث البيئي

يُعتبر القطب الصناعي، المساهم الرئيسي في التنمية على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي وذلك على المستوى الجهوي والوطني. لكن المواد الكميائيّة المحوّلة تخلّف نفاياتها آثارا وخيمة على الإنسان والبيئة بأبعادها الثلاثة، برّا وبحرا وجوّا. فقد ينتج عن تحويل مادّة الفسفاط، انبعاث غازات لها مضارّ واضحة على الهواء، على غرار الأمونيا، والتلوّث الهوائي للكبريت «البخّارة». ويتسبّب تلاقح هذه الغازات السامّة بالغلاف الهوائي في عديد الأمراض لدى الإنسان، والمتعلّقة أساسا بالجهاز التّنفسي والهيكل العظمي وأمراض الحساسيّة. بالإضافة إلى التّأثير السّلبي على عديد الغراسات والنباتات، خاصّة المحيطة بفناء المركّب الكيميائي، كالواحات المتواجدة بكلّ من غنّوش وبوشمّة وشطّ السّلام. وتبقى مادّة الفسفوجيبس المادّة الأكثر تلويثا، وخاصّة لمياه البحر والثّروة السمكيّة بخليج قابس. حيث تعتبر الكمّيات الملقاة بمياه خليج قابس من مادّة الفسفوجيبس، من قبل وحدات المركّب الكيميائي مرتفعة جدّا، مما تسبّب في تصحّر قاع البحر بخليج قابس، وترصيفه بطبقة سميكة من هذه المادّة المتصلّبة. وبالتّالي القضاء على عديد النّباتات البحريّة، ممّا أثّر سلبا على الثّروة السمكيّة بالجهة ولوّث مياه البحر بالحوامض. ويتمّ إلقاء 28720 طنّ من الفسفوجيبس يوميّا في البحر، عبر واد أنشئ لهذا الغرض لربط المصانع بمياه البحر. مع تركيز مضخّة مياه عالية التدفّق، لتصريف الفسفوجيبس وعدم تراكمه في الواد. وبمتابعة مسار تدفّقه في مياه البحر، يتبيّن أنّه يتسرّب إلى مسافة مئات الأمتار على مستوى الشّاطئ. وقد يبلغ المناطق التي يختارها بعض الصيّادين للصّيد، وأحيانا المناطق التي يختارها بعض المصطافين للسباحة نظرا لقربها من الأحياء السكنيّة. وللتذكير بحادثة 6 ماي 2017، والتي أتلفت جلّ المحاصيل الزراعية. وتوالت الكوارث الناتجة عن المنطقة الصناعية بصفة عامّة، وعن المجمع الكيميائي التونسي بصفة خاصّة. وكانت الكارثة الأخيرة التي جدّت يوم السبت 13 مارس 2021 والتي راح ضحيتها خمسة قتلى، وقد قضوا حرقا على إثر الانفجار الحاصل بمصنع الإسفلت بالمركب الصناعي بقابس.

وهذه الكارثة البيئيّة تُعدّ خير دليل على الوضع المتردّي الّذي تشهده جهة قابس نتيجة لتسرّب غاز ثاني أكسيد الكبريت (SO2) ، والّتي أضرّت بواحات المنطقة المذكورة، حيث تسبّبت في حالات الاختناق وضيق التّنفس بالنّسبة للأطفال والمسنّين. ونفوق العديد من المواشي، وما لذلك من انعكاسات سوسيو-اقتصادية وصحّية على الجهة المذكورة والّتي تمثّل جزءا من مجتمع الدراسة. علما وأنّ الفاعل السّياسي لم يأخذ في الحسبان المخاطر البيئيّة والاقتصاديّة النّاتجة عن المركّب الكيميائي، والّتي أصبحت ظاهرة للعيان، ومخلّفاتها بارزة على مختلف الأصعدة. ونذكر منها المجال الفلاحي، من خلال تدهور المنتوج، وانقراض العديد من أنواع الأشجار المثمرة الّتي كانت تُعرف بها جهة قابس.

وفي مقابلة مع السيّد رئيس المحكمة الابتدائية بقابس، مع مجموعة من فلّاحي الولاية وبعض مكوّنات المجتمع المدني، وقع عرض الأضرار النّاتجة عن مداخن المجمع الكيميائي، على أنظار القضاء للبتّ في المسألة. لكن السيّد رئيس المحكمة الابتدائية لم يعط أهمّية للموضوع ورفض كلّ القضايا المعروضة عليه من قبل فلاّحي المنطقة المتضرّرة، والمطالبة بتعويضات عن الخسائر التي تكبدتها من خلال إتلاف محاصيلها الزراعية وبعضٍ من مواشيها. كما نهى على مواصلة الأنشطة الفلاحيّة في المناطق القريبة من المجمع الكيميائي وإلّا يقع تتبّع النّاشطين في المجال الفلاحي عدليّا بتهمة بيع منتجات ملوّثة. ومن خلال هذه المقابلة نلاحظ الفوارق الاجتماعية والصّراع بين مختلف طبقات المجتمع. بين من بيده القرار وبين من لا يملك القرار. بين سلطة قضائية تبتّ في القضايا وتفصل في النّزاعات التي تتعلق بقضايا التلوث في جهة قابس، وبين المواطن البسيط الذي يعيش الظُّلم والغُبن. وهنا لمسنا بعض الانحياز للطرف الأقوى وهو من يمتلك المال والنّفوذ... حيث أنّ موازين القوى غير متكافئة، في ظلّ تواطئ مفرط فيه لصالح الفاعل الصناعي على حساب المواطن العادي، الذي يستوطن المكان قبل مجيء المستثمر بمئات السنين. كما يُمكن أن نستحضر ما تعرّض له الريش بيك، في كتابه مجتمعات المخاطرة، في قوله "إنّ الأخطار البيئية هي عبارة عن تكوينات من الآثار الجانبيّة المحتملة للقرارات الصّناعيّة، الّتي تتّخذها الكيانات الاقتصاديّة وكذلك الدّول والمستهلكون والأفراد" (بيك، 2013، صفحة 287).

2.1.3 دور المجتمع المحلي في التّعريف بمخاطر التلوّث.

إنّ ارتفاع معدّلات التلوّث وانتشاره على المجال، وما ينجرّ عنه من مخاطر بيئية وصحيّة، يدفع المجتمع المحلّي إلى شحن قدراته وطاقاته، عبر تعزيز منطق التضامن لمواجهة الأزمة وتغيير الواقع ويكون ذلك عبر حشد بعض الفاعلين السياسيين لصالحهم، والناشطين في المجال الإعلامي مثل الصحافة، ومقدمي بعض البرامج الاذاعية والتلفزية، والمواطن صاحب المصلحة بدرجة أولى. ف: "الانتماء لجماعة ما، يمنح كل عضو من أعضائها سندا من الثقة والأمان الجماعي"(Bourdieu, 1987, p. 24) . إنّ تجميع هذه القدرات وغيرها، يتمظهر في ترجمة التمثّلات إلى أفعال، عبر التنديد المتواصل بمخاطر التلوث والتدهور البيئي. وإحداث موجة متواصلة من الاحتجاجات في الشارع، ونقلها الى سلط الإشراف والمؤثرين في الفعل السياسي. لكن توجد جمعيات بيئية، خيرت المصالح الشخصية والآنية، عن المصلحة الجماعية وذلك بدافع الأنانية وحب الذات. ف" بعض الانتقادات توجّه إلى الناشطين في العمل الجمعياتي الذين يؤاخذون الانتهازي و"الأناني والتفردي"، واستعمال الجمعية مطيّة للارتقاء السّياسي والاجتماعي ضاربين عرض الحائط بأخلاقية العمل الجمعيّاتي والبيئي، الذي من المفترض أن يكون في الأساس عملا ايثاريّا وتطوعيّا" (عبدمولاه، 2013، صفحة 185). وتدعيما لما ذهب إليه الباحث الاجتماعي رضا عبدمولاه، فإنّ بعض الجمعيّات في ولاية قابس، قد تخلّت عن المشكل الرئيسي في الجهة، والمتعلّق بقضية التلوث البيئي. واستعملت الجمعية كمطية لخدمة أجندات شخصية وحزبية. كانحياز بعض هذه الجمعيات إلى الأحزاب المنتمية إليها. وبرز ذلك بوضوح خلال الانتخابات البلدية 06 ماي 2018. فالمجتمع المدني ليس فضاء للتنافس الاقتصادي –كما هو الشأن عند" ماركس" و"هيجل"- و لكنه فضاء للتنافس الإيديولوجي حسب رأي قرامشي(Zgal, 1989, p. 35) . أمّا البعض الآخر، فقد تعاطف مع الفاعل الصّناعي وتراخى عن المطالبة بإزالة التلوّث أو الحدّ من انتشاره في الجهة نتيجة لبعض الامتيازات الممنوحة من الطرف الأخير –ونعني به الفاعل الصناعي-. وهذا ما لمسناه خلال حراك "سكّر المصبّ" يوم 30 جوان 2017، عندما قرّرت مُختلف أطياف المجتمع القابسي غلق مصبّ الفوسفوجيبس غلقا نهائيا ولا رجعة فيه، وذلك بعد انذار السلط الرسمية، ومسؤولي المجمع الكيميائي عديد المرّات. لكن بعض النشطاء في المجتمع المدني أفشلوا هذا التحرّك.

2.2.3.المواطن والوعي بالمخاطر البيئيّة في قابس.

جدول عدد 01 درجة خطورة الوضع البيئي في علاقة بالنّوع.

درجة الخطورة	النّوع		المجموع
	ذكور	إناث	
خطير جدّا	114	100	214
خطير	25	30	55
قليل الخطورة	0	8	8
دون رأي	1	2	3
المجموع	140	140	280

المصدر: العمل الميداني

من خلال الجدول، نتبيّن أنّ نسبة 96.06% من المستجوبين من الجنسين، يرون بأنّ درجة خطورة الوضع البيئي بجهة قابس، يتراوح بين خطير جدّا، 76.42% وخطير 19.64%. ويُرجعون ذلك لدرجة التلوّث الكبيرة والنّاتجة عن مداخن المجمع وما يترتّب عنه من مخاطر صحّيّة. خاصّة وأنّ عددا كبيرا من عمّال المجمع يصابون بعدّة أمراض مرتبطة بالتلوّث. وقد تفاوتت النّسب بين الذّكور والإناث، حيث يرى 81.42 % من الذّكور بأنّ الوضع البيئي خطير جدّا، أي 114 مستجوبا من جملة 140. بينما تنخفض النّسبة لدى الإناث، لتصل إلى 71.43% أي 100 مستجوبة من جملة 140. ويعود هذا التفاوت النّسبي، نظرا لأنّ فئة الذّكور أكثر احتكاكا بمناطق التلوّث، ومنها المجمع الكيميائي. وذلك من خلال عملهم بالمجمع أو بالمناطق القريبة منه. في حين نجد نسبة 0%

من المستجوبين الذكور مقابل 5.71% من الإناث يرون بأن الوضع البيئي قليل الخطورة، وهي نسبة ضئيلة، لأنّ جمهور البحث، يعي جيّدا المخاطر الّتي يتعرّض لها المواطن القابسي من خلال الوضع البيئي الكارثي في جهة قابس، والذي ينذر بالخطر. وذلك نتيجة للأمراض النّاجمة عن التلوّث من جرّاء المواد الخطرة التي ينتجها المجمع الكيميائي. حيث "أنّ غالبيّة الملوّثات السامّة الموجودة في المياه، مصدرها النّشاطات الصناعيّة... (عامر، 2010، صفحة 164).

جدول عدد 02: درجة خطورة الوضع البيئي في علاقة بالفئة العمريّة.

درجة الخطورة	العمر				المجموع
	من 15 إلى 19	من 20 إلى 34	من 35 إلى 59	60 سنة فأكثر	
خطير جدّا	43	56	81	35	215
النّسبة%	%71.67	%70	%81	%87.5	%76.78
خطير	14	21	15	5	55
قليل الخطورة	3	0	4	0	8
لا يمثّل خطرا	0	3	0	0	3
المجموع	60	80	100	40	280

المصدر: العمل الميداني

يبيّن لنا الجدول عدد 02، بأنّ كل الفئات العمريّة، واعية بمدى خطورة الوضع البيئي. كما تعتبر درجة الوعي مرتفعة، حيث أنّ نسبة من يرون أن الوضع البيئي خطير جدّا تُمثّل 76.78% لدى كلّ الفئات مع اختلاف بسيط في النِّسب، نلاحظه بين مختلف الشّرائح العمريّة. فكلّما تقدّم المواطن في السنّ، إلاّ وازدادت درجة وعيه بالمخاطر. حيث كانت نسبة من يرون أنّ الوضع البيئي خطير جدّا لدى الشريحتين العمريّتين 15-19 سنة، و20-34 سنة، 70%. ثمّ ارتفعت لدى الشريحة العمريّة 35-59 سنة، لتبلغ

81%. وأخيرا الفئة العمريّة 60 سنة فأكثر حيث ترتفع النسبة مرّة أخرى، لتبلغ 86.5%. وهذا دليل على أنّ الشريحة المتقدّمة في السنّ يفوق وعيها البيئي من هم دونهم سنّا. لأنّهم عايشوا حقبتين من الزّمن وهما ما قبل الصّناعة وما بعدها. في حين نجد استثناء ممّن يرون أنّ الوضع البيئي لا يُشكّل أي خطر على صحّة المواطن القابسي، والّتي لاحظناها لدى الفئة العمريّة 20-34 سنة، وهي نسبة ضئيلة تساوي 1.07%، أي 03 مستجوبين فقط. وهم من الشباب الذين لهم انتظاراتهم من المجمع الكيميائي، والمتمثلة في ايجاد فرصة للشغل داخله.

جدول عدد 03: درجة خطورة الوضع البيئي حسب مقرّالإقامة.

درجة الخطورة	مقرّ الإقامة		المجموع
	شطّ السّلام	مطماطة الجديدة	
خطير جدّا	96	102	198
خطير	36	30	66
قليل الخطورة	5	5	10
دون رأي	3	3	6
المجموع	140	140	280

المصدر: العمل الميداني

وفي نفس السياق، يُؤكّد النّصيب الأكبر من جمهور العيّنة، إلى أنّ درجة التلوّث المنبعثة من دخان المصانع، بلغت معدّلات كبيرة. وهو ما يظهر جليّا من خلال سؤالنا حول درجة خطورة الوضع البيئي بالجهة. فكانت النّسبة الّتي تشير إلى أنّ الوضع البيئي خطير، إضافة إلى أنّ الوضع البيئي خطير جدّا بلغت 264 مستجوبا، أي بنسبة 94.28%. أمّا النّسبة المتبقيّة والمقدّرة ب: 5.71% من المستجوبين فيتوزّعون في الإجابة بين الخطر النّسبي، ودون رأي. وهذا ما يُبيّن أنّ هنالك ادراك ووعي بيئي بمدى خطورة التلوّث، والّذي نلمسه لدى كافّة مجتمع الدّراسة. مع تفاوت في عدد التّكرارات ممّن يرون بأنّ الوضع البيئي خطير جدّا بحسب متغيّر مقرّ الإقامة، والّتي نسوقها كالتّالي: مطماطة الجديدة 102 مستجوبا يرون أنّ الوضع خطير جدا، مع 30 مستجوبا يقرّون بخطورة الوضع البيئي. أمّا شاطئ السّلام والقريبة جدّا من مركز التلوّث، فإنّ 96 مستجوبا يرون بأنّ الوضع البيئي خطير جدّا، و36 مستجوبا أجابوا بأنّ الوضع البيئي خطير. هذه المخاطر البيئيّة، وما تمثّله للبيئة وللمواطن القابسي من أضرار أحدثت نوعا من ردود الفعل النّفسيّة والاجتماعيّة الرّافضة لطريقة عمل المجمع. والملفت للنظر أنّ المستجوبين من معتمدية مطماطة الجديدة، واعون بخطورة الوضع البيئي بجهة قابس، وقد فاق عددهم جمهور البحث في عينة شط السلام وهو ما يدفعنا لطرح السّؤال التّالي: هل أنّ القرب أو البعد هو المحدّد لوعي المواطن بمخاطر التلوّث؟

إنّ التلوّث الهوائي النّاتج عن المواد الكيميائية المنبعثة من مداخن المعامل والمصانع قد انتشر في المجال الجغرافي لولاية قابس، وغمر المكان حيث لم يعد هنالك فرق بين القريب والبعيد عن محيط المنطقة الصناعية ولم يعد أي كان من السكّان المحليين في مأمن من مخاط التلوّث، ولذلك كان لزاما السّعي إلى تغيير مقرّ المجمع الكيميائي، وسحب الوظيفة الحقيقيّة له وهي التّنمية والتّشغيل. بل أصبح المجمع هو المصدر الأوّل للتلوّث، كما تبيّنه معدّلات وأرقام الجدول. كذلك فإنّ التنمية الصناعيّة، "ساهمت بدورها في التّدهور البيئي، بسبب تواجد المؤسّسات الصناعيّة في المناطق الساحليّة، حيث تسبّبت في استهلاك كمّية كبيرة من المياه إضافة إلى قضائها على الأراضي الزراعية. ومن جهة أخرى، تسبّبت النّفايات الصناعيّة، في تلوّث البيئة نتيجة عدم تواجد مصانع لمعالجة هذه النّفايات، كما تسبّبت في ظهور أمراض كثيرة"(Bylon et Xavier, 1999, p. 89) .

4- المخاطر البيئيّة والخوف من المستقبل.

1.4.مدى وعي المحليين بالمخاطر

جدول عدد 04: درجة الخطورة للوضع البيئي، في علاقة بالنّوع.

هل الوضع البيئي ينذر بالخطر؟		النّوع		المجموع
		نكر	أنثى	
	نعم وبدرجة كبيرة	123	125	248
	نعم وبدرجة متوسّطة	14	12	26
	لا ينذر بالخطر	3	3	6
المجموع		140	140	280

المصدر: العمل الميداني

إنّ المستجوبين واعون بالمخاطر، وذلك لدى الجنسين ذكورا وإناثا. حيث أقرّ 248 من جملة 280 من أفراد العيّنة المبحوثة، بأنّ الوضع البيئي يُنذر بالخطر وبدرجة كبيرة، أي بنسبة تقدّر ب: 88.57%. في حين أنّ 06 مستجوبين فقط، لا يرون خطورة في هذا التّدهور البيئي، ونسبتهم بلغت 2.14%. وبذلك يُقرّ أغلبية المتساكنين الّذين شملهم البحث الميداني، بدرجة خطورة المنطقة الصناعيّة. "فمن الحقائق المعروفة، هو أنّ الصّناعة الحديثة لوّثت الكثير من الأنهار والبحيرات في الدّول الصّناعيّة، إلى درجة لم تعد قادرة على إسناد أيّ شكل من أشكال الحياة النباتيّة والحيوانيّة. وبذلك قضت على ثروات طبيعيّة كبيرة. كما خلقت مشاكل

كبيرة بالنّسبة إلى المياه الصّالحة لمختلف الاستعمالات. وبطبيعة الحال فإنّ المشاكل البيئيّة التّي تخلقها هذه الصّناعات للدّول النّامية، لا تقلّ خطورة عن المشاكل التّي خلقتها للدّول الصّناعيّة..." (فرهنك، 1991، صفحة 68) فيوم 05 أوت 2018 تسرّب غاز الأمونياك في البحر، وأضرّ بالثّروة السمكيّة. فلوحظ وجود كمّ هائل من الأسماك النّافقة على شواطئ قابس، وبالأخصّ بحر شاطئ السّلام. كما تضرّر العديد من المصطافين. وحسب شهادة أحد الحاضرين ساعة وقوع الحادثة صرّح بأنّ عددا كبيرا ممّن تواجدوا في البحر في ذلك اليوم، أصيبوا بحالات تسمّم واختناق، نُقل بعض منهم إلى المستشفى الجهوي بقابس. وتتواصل الكوارث البيئيّة في بحر شاطئ السّلام ونفوق الأسماك، مع تعنّت للفاعل السياسي وانحيازه مرّة أخرى إلى جانب الفاعل الصّناعي، وذلك بتزييفه للحقائق، وإعطاء تبريرات واهية وهي أنّ الأسباب وراء هذه الكارثة، راجعة إلى عوامل مناخيّة، وتأثيرات المدّ والزجر للبحر.

جدول عدد 05: درجة الوعي في علاقة بالفئة العمريّة.

الوضع البيئي ينذر بالخطر	الفئة العمريّة				المجموع
	من15-19	من 20-34	من 35-59	60 فأكثر	
نعم وبدرجة كبيرة	50	68	94	37	249
نعم وبدرجة متوسّطة	9	7	6	3	25
لا ينذر بالخطر	1	5	0	0	6
المجموع	60	80	100	40	280

المصدر: العمل الميداني

من خلال الجدول عدد 05، نتبيّن أنّ الشّريحة العمريّة 35-59 سنة، و60 سنة فما فوق، هي الأكثر اهتماما بالوضع البيئي. خاصّة وأنّ مبحوثي الفئتين، قد عاصروا الفترتين الهامّتين ما قبل المنطقة الصناعية وما بعدها، وملاحظة الفارق من حيث الوضع البيئي في السّابق وممّا هو عليه حاليا. وندرك ذلك، من خلال الفئة العمريّة 35-59 سنة. حيث أنّ 94 مستجوبا من جملة

100، يرون أنّ الوضع البيئي ينذر بالخطر وبدرجة كبيرة، أي ما نسبته 94%. في حين يُقرّ 5 مستجوبين من جملة 6 في الفئة العمريّة 20-34 سنة، بعدم وجود خطر يهدّد المتساكنين من جرّاء التلوّث النّاتج عن المنطقة الصناعيّة، ويعود ذلك لطموح هذه الشريحة، للعمل بالمجمع وتحديدا بشركة البيئة. حيث أنّ طموح شباب منطقة شاطئ السّلام، هو الحصول على عقد عمل في الشّركة المذكورة والّتي أُحدثت بعد ثورة 14 جانفي 2011.

جدول عدد 06: درجة خطورة الوضع البيئي في علاقة بمقرّالإقامة.

الوضع البيئي ينذر بالخطر	مقرّ الإقامة		المجموع
	شطّ السّلام	مطماطة الجديدة	
نعم وبدرجة كبيرة	130	103	233
نعم وبدرجة متوسّطة	8	36	44
لا ينذر بالخطر	2	1	3
الجملة	140	140	280

المصدر: العمل الميداني

يبيّن الجدول أعلاه، درجة خطورة الوضع البيئي في علاقة بمقرّ الإقامة. وقد قمنا بالبحث في مدى وجود ارتباط بين هذه المتغيّرات، باعتماد الاختبار الاحصائي ك2.فإذا كان (مستوى الدّلالة=5%): فإنّ قيمة "ك مربّع" الملاحظة (82.80)، أكبر من قيمتها النّظرية (12.59).

وهكذا فإننا نرفض (فرضيّة العدم H0) ونقبل بالفرضيّة البديلة H1. حيث أن درجة خطورة الوضع البيئي، تتأثّر وترتبط بمتغيّر مقرّ الإقامة. والجدول عدد 06 يوضّح لنا، بأنّ نسبة 92.86% من المستجوبين القاطنين بشاطئ السّلام أي 130 من جملة 140 مستجوبا، يرون أنّ الوضع البيئي يُنذر بالخطر وبدرجة كبيرة. وذلك يعود إلى أنّ السكّان المحليين، يعتمدون على الفلاحة والصّيد البحري. وهذا القطاع يعتبر أكثر القطاعات تضرّرا من التلوّث حيث تمّ القضاء على الثّروة السمكيّة، مع الضّرر الفادح في المنتوج الفلاحي واندثار العديد من الأشجار المثمرة في الجهة. بينما تنخفض هذه النّسبة، في معتمدية مطماطة الجديدة، نظرا لبعدها عن مركز التلوّث. حيث تنخفض نسبة المبحوثين الّذين يرون بأنّ الوضع البيئي خطير جدّا لتصل إلى 73.75%، أي 103 مستجوبا من جملة 140.

ومن خلال الجدول، نجد أنّ أغلب المستجوبين، يُقرّون بوجود مخاطر ناتجة عن التلوّث البيئي سواء كانت المخاطر بدرجة كبيرة أو متوسّطة. وكذلك الشأن بالنّسبة للقريبين أو البعيدين الذين يعرفون جيّدا المخاطر التي تنتج عن التلوّث الصّناعي والأمراض الخطرة والمستعصية النّاتجة عن تلوّث المحيط، وذلك من خلال إجابات المبحوثين التي وصلت إلى 277 من جملة 280 مبحوثا من الّذين يقرّون بخطورة الوضع البيئي الهشّ والمنذر بكوارث بيئية على كامل محيط الولاية والمنتشر على مساحة يبلغ قطرها ثلاثين كيلومترا. حيث: "أصبحت التّوازنات الايكولوجية في وضعيّة هشّة ومُتقلّبة نتيجة التلوّث الصّناعي في بلدان الشّمال، والفقر في بلدان الجنوب. ويعطينا أحد التّقارير العالميّة حول البيئة "لبرنامج الأمم المتّحدة للبيئة" أرقاما مفزعة حول الوضع العالمي للصحّة حيث تضرّرت "صحّة 1,2 مليار من ساكنة العالم، من جرّاء المياه الملوّثة، ممّا يُؤدّي إلى وفاة 15 مليون طفل دون الخمس سنوات كلّ سنة. فحوض البحر الأبيض المتوسّط أصبح يُعتبر من أكثر البحار تلوّثا (الزّيدي، 2014، صفحة 11). كما تشير التّقديرات الّتي وضعتها منظّمه الصحّة العالميّة للطّفولة (اليونيسف) ب: " أنّ الالتهاب الرّئوي يقتل 3,5 مليون طفل تحت سنّ الخامسة" (ليله (علي) وآخرون، (د.ت)، صفحة 137).

2.4.البدائل المحلّية للحدّ من التلوّث البيئي في قابس.

مقرّ الإقامة	مقترحات لإنقاذ الوضع البيئي						المجموع
	إبعاد المصانع	صناعات بديلة	دعم السياسة البيئية	دعم الجمعيات البيئية	الحد من التلوث	أشياء أخرى	
شطّ السّلام	78	22	13	7	8	12	140
مطماطة ج	31	40	25	22	6	16	140
المجموع	109	62	38	29	14	28	280

المصدر: العمل الميداني

لقد بلغت نسبة المطالبين بإبعاد المصانع وتغيير المقرّ الحالي للمجمع الكيميائي في شطّ السّلام 55.71%، أي 78 من مجموع 140 مستجوبا. وهذا ما وقع ملاحظته جليّا على أرض الواقع. حيث أنّ أغلبيّة أهالي شطّ السّلام ومن ورائهم المجتمع المدني يقومون باحتجاجات يوميّة وتحرّكات عالية المستوى، في سبيل إغلاق أو تحويل الوحدات الملوّثة بعيدة عن مقرّ سكناهم. كما أقرّ 62

مستجوبا بتعويض الصناعات الملوّثة بصناعات بديلة صديقة للبيئة، أي ما نسبته 22.14%. في حين لم تتعدّ نسبة الدّاعمين لإحداث جمعيّات بيئيّة تُدافع عن سكّان مناطق الطّوق من تفاقم ظاهرة التلوّث الصّناعي، سوى 10.36% أي 29 مستجوبا من مجموع 280 وذلك راجع لعدم ثقة المواطن في الجمعيّات من ناحية، وتخاذل المسؤولين عنها في المرافعة عن قضايا الجهة واهتمامهم بمصالحهم الشخصية من ناحية ثانية. إنّ المقترحات الّتي تمّ اتّخاذها من قبل الفاعل السياسي والمتمثّلة في تغيير وحدات الانتاج إلى منطقة السّفية من معتمدية منزل الحبيب قوبلت بالرّفض التّامّ من قبل أهالي المنطقة المذكورة، وأهالي معتمديّة الحامّة. حيث استطاع أهالي المنطقتين المذكورتين وبتأطير من المجتمع المدني، بتنفيذ إضراب عامّ، تعبيرا عن رفضهم لنقل الوحدات المساهمة في التلوّث وبأنّهم ليسوا في حاجة إليها. وذلك نتيجة للوعي البئي لدى الأهالي من ناحية، واتّعاضا بالتّجربة الّتي عاشتها وتعيشها المناطق المتاخمة لبؤر التلوّث، من ناحية أخرى.

5-استنتاجات

- إنّ الشّعور بالمخاطر، وبالتّهديد المباشر وغير المباشر، لصحّة الإنسان من جرّاء ارتفاع معدّلات التلوّث، جعل المجتمع المدنى، والمجتمع المحلّي بكلّ مكوّناته يتحرّك وفق هذه الاحداثيّات. وما يهمّنا هو رصد ردود الفعل من المجتمع القابسي عامّة ومن سكّان مناطق الطّوق خاصّة.

- لقد اتضح لنا من خلال البحث الميداني، وجود وعي بيئي وصحّي لمخاطر التلوّث في كلا مجالي الدّراسة: "شطّ السّلام ومطماطة الجديد"، والّتي تعبث بالمحيط وبالإطار الايكولوجي ككلّ، وتتحوّل إلى تمثّلات عامّة رافضة لنشاط المجمع والمنطقة الصناعيّة.

- من خلال تحليل المقابلات التي أجريناها، سواء مع المواطنين، أو بعض أطياف المجتمع المدني لاحظنا أنّ كلّ الآراء والمقترحات، تدعو إلى مزيد من التّضامن والتكتّل، للحدّ من مخاطر التلوّث والوقوف ضدّ كلّ المحاولات -سواء من الفاعل الصّناعي أو من الفاعل السّياسي- الّتي تزيد من حدّة التوتّر والاحتقان مع السكّان المحليّين.

- يبيّن البحث الميداني، أنّ نسبة 94.28% من المستجوبين من الجنسين، يرون بأنّ درجة خطورة الوضع البيئي بجهة قابس، يتراوح بين خطير، وخطير جدّا وذلك في كلّ من "شطّ السّلام ومطماطة الجديدة"، ويرجعون ذلك لدرجة التلوّث الكبيرة النّاتجة

عن مداخن المجمع، وما يترتّب عنه من مخاطر صحّية. وهذا الموقف يتقاسمه أغلب المستجوبين، وخاصّة المتقدّمين نوعا ما في السنّ، لأنّهم عايشوا حقبتين هامّتين من الزّمن، وهما ما قبل انتصاب المجمع وما بعده.

- هذه المخاطر البيئيّة التي يعايشها المواطن القابسي، أحدثت نوعا من ردود الفعل النّفسية والاجتماعيّة الرّافضة لطريقة عمل المجمع، وهو ما يدفع البعض في باب التّقييم، إلى تغيير وسحب الوظيفة الحقيقيّة للمجمع، وهي التّنمية والتّشغيل، بل أصبح هو المصدر الأوّل للتلوّث.

- الإطار المكاني لا يعتبر محدّدا لدرجة وعي المواطن بخطورة التلوّث، حيث أنّ جمهور البحث في كلّ من "شطّ السّلام ومطماطة الجديدة"، قد عبّروا عن درجة خطورة الوضع البئي بالجهة وبنسب متقاربة.

6-الخاتمة:

تعتمد السياسة التنموية في جهة قابس على أرقام، ربح أو خسارة، والإنسان هو آخر اهتماماتها. لذلك أُعتُبِر المجمع الكيميائي معرقلا للتنمية ومنتجا للمخاطر. إذ لا مشاريع ولا استثمار في ظل تلوث. ولا تنمية مستدامة في ظل فضاء لا يستطاب فيه العيش. إن الفاعل الصناعي، يشتغل وفق استراتيجية خاصة، وهي مراكمة الثروة ومراعات مصلحة الدولة في جلب العملة الصعبة. وبالتالي فإنّ المسألة يمكن مناقشتها ومتابعتها وفق إطار الصراع والتصادم. ولقد تبيّنا من خلال ما توفر لدينا من معطيات، من المقابلات التي أجريناها مع مكونات المجتمع المحلي والمدني وبعض المسؤولين الذين هم في موقع القرار، وأيضا بعد تجميع معطيات استمارة الاستبيان، وهو أن المجمع الكيميائي والمنطقة الصناعية ككل، تحوّلت في الذّاكرة الجماعيّة للمجتمع المعني

بالتلوّث البيئي، من مشروع للتقدّم الاقتصادي، والرقيّ الاجتماعي إلى عنصر تدمير ايكولوجي وصحي وتنموي. لقد أثر القطب الصناعي تأثيرا سلبيا على الجانب البيئي، فأصبحت العلاقة متوتّرة رمزياً ووظيفيًا، بين الفاعل المحلي والمقاول الصناعي. فتحوّل المجمع من بطاقة تعريف للجهة ومصدرا للقوة الاقتصادية إلى عنصر تدمير، مسيئ من حيث الرمزية للجهة وللقطاعات الاقتصادية الأخرى المجاورة: كالفلاحة والصيد البحري. وفي دراستنا، ركزنا على الوعي بالمخاطر البيئية لدى المواطن القابسي. حيث قيّمنا الأضرار البيئية على مستوياتها الثلاثة، برا وبحرا وجوا. فمن خلال نتائج العمل الميداني، لاحظنا تدهورا واضحا للوضع البيئي في ولاية قابس. وهذا ما صرّح به جلّ أفراد عيّنة البحث في المجالين المعتمدين في الدّراسة، حيث وقفنا على مدى وعي الفئة المستجوبة بخطورة الوضع البيئي في ولاية قابس، سواء في المناطق القريبة من بؤر التلوّث مثل منطقة "شطّ السّلام"، وكذلك الشّأن في ما يتعلّق بالمناطق البعيدة عن المنطقة الصّناعيّة ومستجوبي "مطماطة الجديدة" خير مثال، حيث عبّروا عن وعيهم بمخاطر التلوّث البيئي والأضرار النّاجمة عن ذلك.

قائمة المراجع:

المراجع باللّغة العربية:

-حمد (محمد مصطفى). (1985). *التكيّف والمشكلة المدرسيّة من منظور الخدمة الاجتماعيّة*. القاهرة: دار الفكر العربي.

-باسم (محمد وليّ). (2004). *محمّد جاسم محمّد، مدخل إلى علم النّفس الاجتماعي*. عمّان: مكتبة دار الثّقافة.

-جابر (نصر الدّين). (2006). *مفاهيم أساسيّة في علم النّفس الاجتماعي*. الجزائر: دار الهدى للطّباعة والنّشر.

-إبراهيم عبد الله عبد الرؤوف محمد. (2017). *الطاقات المتجددة والتنمية المستدامة (دراسات تحليلية تطبيقية)* (ط1). الاسكندرية، مصر: دار الجامعة الجديدة.

-بيك (أولريش). (2013). *مجتمع المخاطرالعالمي بحثا عن الأمان المفقود*. (ترجمة علاء عادل وآخرون، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

-جابر (عبد الحميد) و كاظم (أحمد خيري). (1996). *مناهج البحث في التربية وعلم النفس* (ط1). القاهرة: دار النهضة العربية.

-حسين (عبد الحميد). (2004). *العلاقات الاجتماعيّة في القوّات المسلّحة* (ط2). الاسكندريّة: المكتب الجامعي الحديث.

-راجح (أحمد عزّة). (1975). *أصول علم النّفس* (ط 1). مصر: مكتبة الأنجلو مصريّة.

-سلطانية (بلقاسم). (2012). *المناهج الأساسية في البحوث الاجتماعية* (ط1). القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

-عامر (محمد السيّد). (2010). *المشاركة الشعبيّة لحماية البيئة من منظور الخدمة الاجتماعية* (ط1). مصر: المكتب الجامعي الحديث.

-عبدمولاه (رضا). (2013). *المواطن والمسألة البيئية، دراسة نفسية اجتماعية حول التمثلات والسلوكيات البيئية*. تونس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس.

-عماد تكواشت. (2012). واقع و أفاق الطاقة المتجددة ودورها في التنمية التنمية المستدامة في الجزائر. *مذكرة ماجستير*. باتنة، الجزائر: جامعة باتنة.

-غالب(حنّا). (2003). *كنز اللّغة العربيّة* (ط1). بيروت: مكتبة لبنان.

-فرانك (جي ليتشز) وجون (بولي). (2004). *العولمة: الطّوفان أم الإنقاذ*. (ترجمة فاضل جتكر، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة.

-فرهنك (جلال). (1991). *التنمية الصناعيّة العربيّة وسياسات الدّول الصناعيّة في العام 2000*. القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربيّة.

-فهمي(مصطفى). (1958). *الصحّة النّفسيّة* (ط3). القاهرة: دار المعارف.

-ليله (علي) وآخرون. ((د.ت)). *علم الاجتماع الطبّي* (ط1). عمان: دار المسيرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة.

-محمد & علي جمعان الشكيل رأفت اسماعيل رمضان. (1988). *الطاقة المتجددة* (ط 2). بيروت، لبنان: دار الشروق.

-مراد (يوسف). (1986). *دراسات في التّكامل النّفسي*. القاهرة: دار المعارف.

-زيدي (عمر). (2014). *ايكولوجيا الأمل* . المملكة المغربيّة: منشورات دار التّوحيدي.

المراجع باللّغات الأجنبية:

-Lagadec (Patrick) .(1981) .*La civilisation du risque. Catastrophes technologiques et responsabilité sociale* .Paris :Le Seuil.

-Bourdieu (Pierre) .(1987) .*Choses dites* .Paris ،coll. "Le sens commun": les éditions de Minuit.

-Bylon (Christtan) et Xavier (Mignot) .(1999) .*La communication* 2ème édition .Paris : Nathan/He.

-Malaval (Frederique) .(1999) .*Développement durable* .Paris :économica.

-Mordini (Emilio) .(2009 ,02 25) .*de la société du risque à la société de la sécurité* . http://www.cssc.eu/public/lasoci et eclurisque . vu le 23/08/2019 .

-René (Amalberti) .(2001) .(*De la gestion des risques technologiques à la gestion des dangers collectifs* .Paris: Encyclopaedia Universalis.

-Zgal (Abdelkader) .(1989) .*Le concept de société civile et la transition vers le multipartisme, Annuaire du l'Afrique du nord* .Tunis: Edition du C.N.R.S

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

Dynamics of the emerging centers of Boudinar and Krouna: a geographical study in the province of "Driouch, North-East Morocco

Adil Akallouch [1]; Sadik Azzouzi [2]

[1] Sidi Mohammed Ben Abdullah University, Fez

[2] Mohammed I University of Oujda

Email 1 : adil.akallouch@usmba.ac.ma

Email 2 : azzouzi.sad@gmail.com

1: https://orcid.org/0009-0004-8813-1722

2: https://orcid.org/0000-0002-3110-4262

Abstract

This in-depth study investigates the dynamics of urban and developmental growth in the emerging centers of Boudinar and Krouna, located in the Driouch region of Northeast Morocco. The study aims to explore and understand the significant influences of demographic, economic, and social factors on the urban fabric of these centers. It employs a detailed analytical methodology that blends quantitative and qualitative research, including extensive field visits and comprehensive interviews with residents and experts. Additionally, the study leverages historical research to track the temporal changes in these centers, providing a clear picture of the ongoing urban and social transformations and their impacts on these communities.

Keywords *: Boudinar and Krouna, Driouch province, Human Geography, Quantitative and Qualitative Analysis, Historical Studies.*

دينامية المراكز الصاعدة بودياروكرونة: دراسة جغرافية بإقليم "الدريوش شمال شرق المغرب"

عادل اقلوش 1؛ صادق عزوزي 2

1 جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس – المغرب

2 جامعة محمد الأول بوجدة – المغرب

الايميل1: adil.akallouch@usmba.ac.ma

الايميل 2: azzouzi.sad@gmail.com

حساب 1: https://orcid.org/0009-0004-8813-1722

حساب 2: https://orcid.org/0000-0002-3110-4262

ملخص

تعالج هذه الدراسة دينامية التعمير والتطور العمراني في المركزين الصاعدين بودينار وكرونة، وهما منطقتان ريفيتان في إقليم الدريوش بشمال شرق المغرب. تهدف الدراسة إلى تحليل التأثيرات المتعددة للعوامل الديموغرافية، الاقتصادية، والاجتماعية التي أدت إلى تطور المشهد العمراني في هذه المناطق. تعتمد الدراسة على منهجية تحليلية تجمع بين البحث الكمي والنوعي، بما في ذلك الزيارات الميدانية والمقابلات، وكذلك الاعتماد على الدراسات التاريخية لفهم التطور العمراني عبر الزمن.

الكلمات المفتاحية: التطور العمراني، بودينار وكرونة، الجغرافيا البشرية، التحليل الكمي والنوعي، الدراسات المجالية.

مقدمة

في إطار البحث الجغرافي والتخطيط العمراني، تُعد دراسة ديناميات المراكز الصاعدة موضوعاً حيوياً يتيح فهم التطورات الاجتماعية والاقتصادية في سياقات محلية محددة. تنطلق هذه الدراسة من إقليم الدريوش، الواقع في شمال شرق المغرب، لاستكشاف العوامل المؤثرة في نمو وتطور بودينار وكرونة كمركزين صاعدين. يتم توجيه التركيز في هذه الدراسة نحو تحليل التأثيرات الديموغرافية، الاقتصادية، والاجتماعية التي ساهمت في رسم ملامح النمو العمراني في هذه المناطق. يُعد الإقليم مثالاً فريداً للبحث نظراً لتنوعه الجغرافي والثقافي وكونه نقطة التقاء بين التقاليد العريقة والتحولات الحديثة.

تعتمد الدراسة على منهجية متكاملة، مستفيدة من تحليل البيانات الإحصائية والميدانية لتقديم نظرة شاملة على التحولات الجارية. كما تسعى إلى ربط هذه التحولات بالسياقات الأوسع للتطور العمراني في المغرب، مما يوفر فهماً أعمق للعوامل المحركة للتغيير في هذه المناطق الريفية النامية. من خلال هذا البحث، نهدف إلى إسهام فهم أوسع للديناميات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية التي تشكل المشهد العمراني في شمال شرق المغرب

1 - المنهجية والأدوات

اعتمدنا على منهجية تقوم على أساس الجمع بين عدة مقاربات نظرا للطبيعة المركبة للموضوع وكذا الدراسة الجغرافية التي تفرض تارة المنهج الوصفي قصد وصف مكونات المجال والملاحظة الدقيقة لمعرفة خصوصياته، و تارة أخرى المنهج التاريخي لرصد تاريخ الاستقرار البشري و تتبع مراحل تطور الظاهرة المدروسة، دون أن ننسى أهمية الاحصائيات من أجل جمع المعطيات ومحاولة تكميم الظاهرة المدروس ، و قد حاولنا الانطلاق من ما هو عام وصولا إلى ما هو خاص معتمدا على المنهج الاستنباطي.

إن كل مرحلة من مراحل البحث تستوجب الاعتماد على مجموعة من الأدوات قصد تحقيق الأهداف المتوخاة من الدراسة، فقد قمنا ب:

- البحث في مختلف المراجع والبحوث والمقالات ذات الصلة بالموضوع من أجل معرفة النتائج التي توصل إليه الباحثين الأخرين؛

- زيارات ميدانية متكررة من أجل الوقوف على المجال عن قرب وملامسة الواقع ؛
- مقابلات وزيارات إلى المصالح الإدارية المشرفة وذات الصلة بالمجال من أجل جمع أكبر قدر ممكن من المعطيات المتوفرة؛
- تعبئة الاستمارات التي خصت أرباب الأسر بكل من مركز كرونة كما تم الاعتماد على مجموعة من التقنيات المتمثلة في البرامج المعلوماتية، كبرامج نظم المعلومات الجغرافية (SIG)خاصة من أجل إنجاز الخرائط وتمثيل المعطيات وتحليلها.

2-النتائج ومناقشتها

لقد عرف المجال المدروس والريف الشرقي عامة تحولات مجالية خلال فترات تاريخية مختلفة لعبت دورا هاما في تشكيل المشهد العمراني الحالي، إذ لم يعرف السكن الريفي تحولات نوعية قبل وإبان عهد الاستعمار سواء من حيث عمارته أو بنياته وتجهيزاته، رغم الاستقرار المبكر للإنسان. ولا شك في أن هذا النوع من السكن البسيط يعكس المستوى الاقتصادي والاجتماعي، لسكان الريف الشرقي خلال هذه الفترة، حيث كان تنظيم المجال الريفي ضعيفا بسبب عدم الاستقرار السياسي وبساطة تقنيات الاستغلال، لكن منذ سنوات الستين من القرن العشرين سيعرف السكن الريفي تطورات هامة لا تقل عن تلك التي عرفتها المجالات الحضرية.

و قد كان وراء هذه التحول المهم الذي هم المشهد العمراني مجوعة من العوامل والأسباب، لعل أبرزها الهجرة الدولية و ما أفرزته من عائدات مالية ساهمت بشكل كبير في التوسع العمراني الذي عرفته الجماعة، و ما صاحب ذلك من تحولات اجتماعية تمثلت في ارتفاع دخل الأسر و تحسن المستوى المعيشي للسكان، وتحولات اقتصادية تتجلى في ظهور أنشطة جديدة غير النشاط الفلاحي الذي كان سائدا من ذي قبل، في مقابل هذه التحولات التي قد تبدو إيجابية من جهة فإن لها وقع سلبي على المجال من جهة أخرى و ذلك بسبب الفوضى الذي يتميز به التوسع العمراني و من ثم غياب عنصر الجمالية للعمران و غياب التجهيزات الأساسية.

2-1- تقديم المجال

تقع المراكز العمرانية المدروسة بأقصى شمال المملكة ضمن جهة الشرق وبالتحديد ضمن إقليم الدريوش المحدث وفق التقسيم الإداري لسنة 2015، الذي يحد من الشرق بإقليم الناظور والغرب بإقليم الحسيمة و من الجنوب الشرقي بإقليم جرسيف و من الجنوب الغربي بإقليم تازة في حين ينفتح على الواجهة البحرية المتوسطية من الشمال، ضمن هذا الإقليم تقع كل من جماعة بودينار وجماعة تمسمان (أنظر الخريطة رقم 1)، إذ يشكل مركزي الجماعتين النواة الحضرية المستقبلية بالمنطقة بعد ترقيتها إلى مستوى جماعة ترابية حضرية، وهي مراكز قريبة من بعضها البعض ولا يفصلها إلا سوق خميس تمسمان الذي يشكل حلقة وصل بين المركزين، وبهذا يقع مركزي بودينار وكرونة بين خطي طول '3°36 و '3°39 غرب خط غرينتش و بين خطي عرض '35°6 و '35°10 شمال خط الاستواء.

الخريطة رقم (1) التحديد الإداري للمجال المدروس

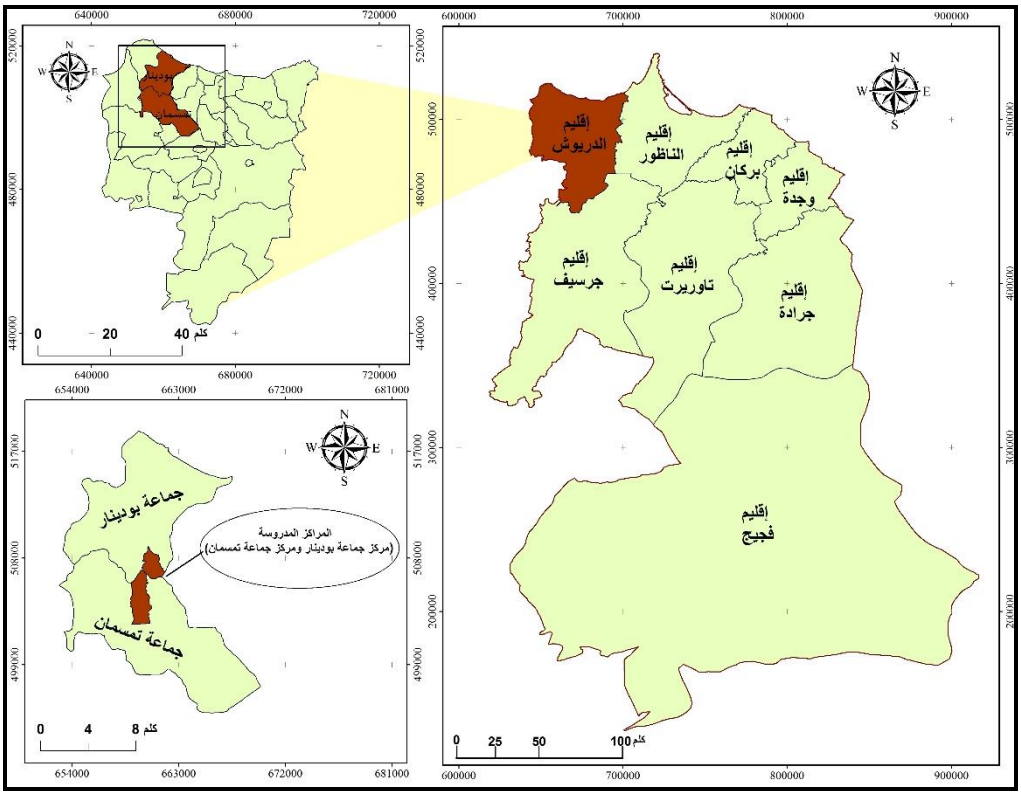

المصدر: التقسيم الإداري للمملكة المغربية لسنة 2015، بتصرف

2-2-المسار التاريخي لتطور التكتلات العمرانية بحوض بودينار

عرف حوض بودينار[4] استقرارا بشريا قديما ترجع بداياته الى ما قبل دخول الإسلام إلى المنطقة حسب ما تشير إليه وتؤكده الكتب التاريخية، وكذلك الحفريات العلمية إذ تمكن مؤخرا فريق من علماء الأثار من اكتشاف موقع أثري فنيقي بمنطقة سيدي ادريس على مقربة من دوار آيت تيار، يرجع إلى الفترة المتراوحة ما بين القرنين الخامس والسابع قبل الميلاد. لكنه وبالرغم من الاستقرار القديم بالمنطقة إلا أنه يظل تنظيم المجال يقتصر على الزراعة والرعي والصيد، فالساكنة آنذاك كانت تختار الجبال لبناء مساكنها ومرافق الحيوانات لاعتبارات أمنية، فحين تترك المجالات السهلية للاستغلال الزراعي، أي أن المسكن في هذه الفترة كان يستجيب لحاجيات الساكنة فيما يتعلق بالسكن أولا؛ ثم بالأنشطة المزاولة ثانيا والتي لها

[4] حوض بودينار: يعبر عن حدود طبيعية يضم مجموعة من الجماعات الترابية من بينها تمسمان وبودينار ومن ضمنه المركزين المدروسين.

علاقة بتربية الماشية والفلاحة بشكل عام. وقد ظل الأمر على حاله الى دخول المستعمر الأجنبي الذي عمل على خلخلة البنيات العمرانية والاجتماعية التقليدية بالمنطقة.

عرف حوض بودينار منذ دخول الاستعمار عدة تحولات أدت الى بداية ظهور مراكز عمرانية ما فتئت تتطور شيئا فشيئا لتساير الدينامية التي عرفها كل الريف الشرقي. وإذا كانت عوامل تطور هذه المراكز متعددة فإن ثقل الهجرة الدولية يبقى أكثر تأثيرا في تنشيط الدينامية العمرانية في مجال كان في عهد قريب يطغى عليه الطابع القروي. وقد مرت عملية هذا التوسع العمراني بمركزي بودينار وكرونة من عدة مراحل منذ تأسيس النواة الأولى مع دخول المعمر الإسباني.

وقد قمنا بتقسيم هذه المراحل إلى ثلاث فترات مختلفة من حيث ديناميتها العمرانية مرحلة ما قبل 1965، حيث كانت هذه المراكز عبارة عن نواة صغيرة تضم الإدارات الاستعمارية الاسبانية لمراقبة المجالات الريفية المحيطة بها (أنوال وادهار ابران...)، وفترة أخرى ما بين 1965 و 2001 والتي عرفت دينامية كبيرة بفعل بداية استثمار عائدات الهجرة الدولية وهجرة أرباب الاسر من الدواوير المجاورة للاستقرار بالمراكز، ومرحلة أخيرة ما بين 2001 و 2017 حيث تميزت بتسارع وتيرة النمو العمراني بمركزي كرونة وبودينار وارتباط الساكنة ببعض الأنشطة الاقتصادية الأخرى المرتبطة دائما بقطاع البناء، والخريطة الموالية تبين توزيع المجال المبني بمركزي بودينار وكرونة خلال كل فترة على حدة.

الخريطة رقم(2) مراحل التوسع العمراني بمركزي بودينار وكرونة

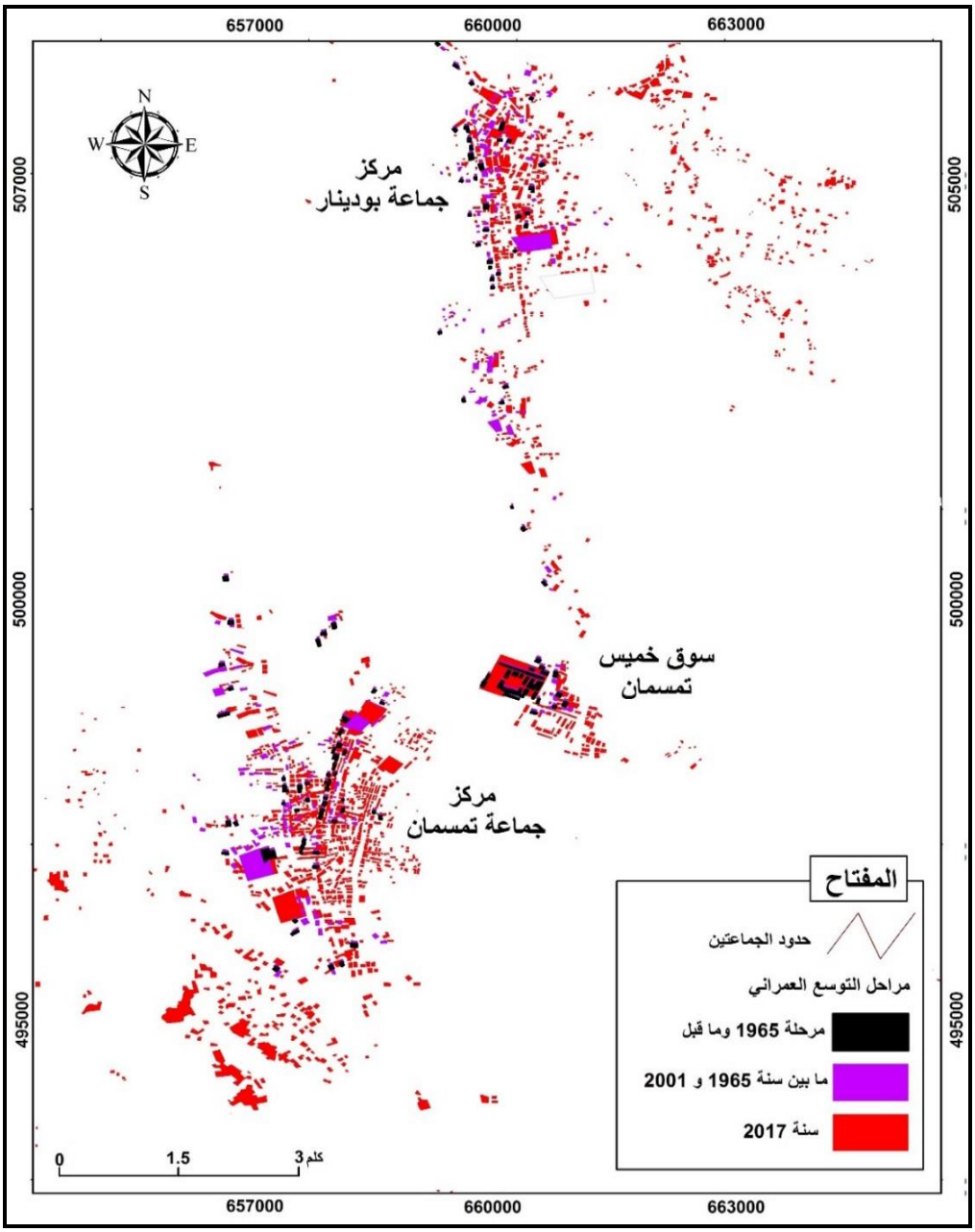

المصدر: تحليل ومعالجة صور الأقمار الصناعية والصور الجوية

2-2-1- المرحلة الأولى : من النواة الاستعمارية الى 1965

لم يعرف مجال دراستنا دينامية حضرية قديمة بل ظل على طابعه القروي الى حين دخول الاستعمار، ولذلك يرجع تاريخ إنشاء مركزي كرونة وبودينار الى عهد الحماية الإسبانية الذي أنشأ هذين المركزين بحوض بودينار، لأداء أدوار مختلفة فـ "الأول عسكري والثاني وإداري" (بوظيلب الحسين، 2010)، ويتوسطهما سوق خميس تمسمان والذي يقع على الطريق الجهوية رقم 610 الرابط بين مدينة امزورن ومدينة بن الطيب عبر جماعة تمسمان.

قبل دخول المعمر الاسباني الى الريف كان موضع هذه المراكز خالية من أي استقرار بشري، حيث كانت أراضيه تستغل في النشاط الفلاحي خصوصا في الزراعات البورية، بسبب انبساط أراضيه وجودة تربته بالمقارنة مع المناطق المجاورة له، غير أن

السلطات الاسبانية في سنوات 1910 عملت على تشييد ثكنة عسكرية بهذا الموضع، وربطته بباقي الثكنات بمحور طرق بغية التحكم في مراقبة تحركات الساكنة (بلال بوجي وعزي هرو 2018).

غير أنه وقبل الاستقلال لم تعرف هذه المراكز تطورا كبيرا حيث ظلت مقتصرة على بعض البنايات المنتشرة التي لا توحي بوجود تكتل عمراني ذي طابع حضري، كما ظلت هذه المراكز خلال هذه المرحلة ما بعد الاستقلال محتفظة على البنيات الموروثة عن الاستعمار وظل التوسع العمراني بها بطيئا، وذلك لأن الهجرة كانت في بدايتها ولم تكن العائدات المالية تسمح بعد في الاستثمار في العقار والبناء، وكانت في أغلب الأحيان موجهة الى الدعم المادي للأسر لتغطية العجز الناتج عن ضعف الدخل من الأنشطة المحلية. كما أن أغلب الاسر خلال هذه المرحلة التاريخية كانت تقطن بدواوير ومرتفعات حوض بودينار، ولم تنتقل إلى السكن بالمركزين إلا بعد دخول المعمر الأجنبي.

وإذا كان الغرض من إنشاء مركز بودينار هو توفير بعض الخدمات الإدارية المتمثلة أساسا في مركز القيادة والمحكمة ومركز لجمع الضرائب...، فإن مركز كرونة كان الغرض منه هو خلق قاعدة عسكرية لضبط أمن المنطقة، كما عمل المعمر أيضا على خلق سوق أسبوعي بين كلا المركزين وهو سوق خميس تمسمان (الصورة 1) والذي لعب دورا مهما في هيكلة المجال بالمنطقة، وقد عمل الموقع الجغرافي للسوق على إعطائه الأهمية الكبرى على المستوى المحلي، الإقليمي والجهوي؛ فيستقطب ساكنة قبيلة تمسمان وبني اوليشك وبني اسعيد واتروكوت وساكنة الأقاليم المجاورة. تعود نشأة هذا السوق حسب الكتب التاريخية (محمد حسن الوزان) إلى منتصف القرن السادس عشر، وكان موقعه الأول على الضفة اليمنى من واد الخميس قرب الولي سيدي أحمد الفيلالي، ليتحول مع بداية القرن العشرين إلى قمة الهضبة.

الصورة رقم (1) تبين الصور مشاهد مختلفة من سوق خميس تمسمان تعود لسنة 1955

المصدر: أرشيف الجماعة الترابية لتمسمان

لم يعرف السكن بكلا المركزين تحولات قبل وخلال العهد الاستعماري، حيث كانت ميزته الأساسية التشتت واختيار الأماكن المرتفعة، لكن هذا لا ينفي وجود بعض التجمعات السكنية هنا وهناك يقطن بها أفراد العائلة الواحدة فقط، وتميز السكن خلال هذه الفترة بشكل هندسي تقليدي وهو السكن الريفي القديم الذي كان سائدا بغرف متلاصقة تنفتح من الداخل على ما يسمى ب"الحوش"، وكان يستعمل السكان في البناء آنذاك المواد التقليدية من تراب وتبن وحجارة وأعمدة الخشب من بعض الأشجار المتوفرة بالمنطقة، كما أن السكن يتوفر على غرف قليلة تتراوح ما بين غرفتين وأربع غرف للأسرة الواحدة ذات الأحجام الصغيرة و في الغالب كان يضم المسكن الواحد أكثر من أسرة واحدة، كما تميز أيضا السكن أثناء هذه المرحلة بغياب مجموعة من المرافق الأساسية كالمطبخ و المرحاض .

خلال هذه المرحلة كلا المركزين قد كانا في بداية نموهما لأن دخل الأسر حينها كان محدودا، و ذلك نظرا لسيادة النشاط الاقتصادي القائم على الفلاحة المعيشية، خاصة الزراعة البورية وبعض الخضر فيما هو متاح من المجال المسقي هذا من جهة، كما أن الاحتلال الإسباني(1912-1956) لم يكن له أثر بليغ في الريف الشرقي خاصة من الناحية الاقتصادية لأن الوضعية الاقتصادية بإسبانيا لم تكن تسمح بهذا التحول، حيث كانت تعيش في أواخر القرن التاسع عشر أزمة سياسية واقتصادية من جهة أخرى، لذلك عمل المعمر على إنشاء مجموعة من التجهيزات كشق الطرق وإصلاح السواقي ومجموعة من المنشآت الأخرى خدمة لأغراضه الاقتصادية. وبالتالي عدم وجود مداخيل جديدة بالمنطقة تمكن السكان من إشباع حاجاتهم الأساسية والرقي إلى تعمير أكثر حداثة، فتواضع إمكانات الساكنة الاقتصادية والتقنية انعكس على طبيعة المسكن من حيث تجهيزاته ومورفولوجية وكذا مرافقه، هذه الوضعية تعكس المستوى الاقتصادي والاجتماعي للساكنة إبان هذه الفترة، هذا ما جعلنا نتساءل عن التحولات التي مست المجال المدروس خاصة تلك التي عرفها السكن في مرحلة ما بعد 1965 وانقضاء العهد الاستعماري؟

2-2-2- المرحلة الثانية 1965 -2001 : توسع عمراني سريع اقترن بتحسن المستوى المعيشي

عرفت منطقة الدراسة منذ أواسط الستينيات من القرن الماضي تناميا للهجرة نحو الدول الأوروبية وانتقلت الهجرة من طابعها الفردي الى الهجرة الأسرية. فحسب إحصاء 1922 الذي قامت به السلطات الاستعمارية نجد أن 76% من مهاجري الضفة اليسرى لواد ملوية هم من بني سعيد وتمسمان، حيث بلغ عدد الذكور المهاجرين من قبيلة تمسمان 1567(الحسين بوظيلب، 2010)، وانطلقت معها دينامية التعمير التي ارتبطت بعائدات هذه الهجرة الدولية، فرغم تدهور البنيات التحتية وما أدت إليه من اتجاه بعض المهاجرين الى البناء في المدن القريبة (الناظور، الحسيمة...) فإن ذلك لم يمنع أكثر المهاجرين من الاستثمار في عقار منطقتهم، خاصة بعد أن استفادت هذه المراكز من بعض السياسات الرامية الى تحسين البنيات والتجهيزات على المستوى المحلي (الماء الشروب، كهربة العالم القروي، تحسين بعض الطرق التي تخترق المجال...)، مما أعطى لحركة التعمير دينامية قوية ليس فقط نتيجة استثمار المهاجرين الدوليين وإنما أيضا نتيجة استقطاب سكان الدواوير المجاورة التي تسعى الى تحسين ظروف معيشتها (أنظر الخريطة رقم 3)، إذ يغلب على ساكنة مركز بودينار القادمين من دواوير ابوجطوين وأخشاب أمغار وايت شوكت وافاسيين وابوسليماتن، بينما أغلب ساكنة مركز كرونة قادمة من دواوير بني بويعقوب وإبلوندين وأيث عيسى وأوشانن(نتائج التشخيص الميداني).

إن الهجرة في البداية لم تساهم بإحداث تحولات سوسيو-مجاليه كبيرة بالمجال المدروس (أنظر الخريطتين 4 و5) لكنها ساهمت في التقليص من حدة الأزمة التي كانت تعيشها المنطقة حيث كان كل مهاجر يحول إلى الريف ما يقدر ب 0,50 فرنك يوميا ما كان يعادل 14 كلغ من الشعير خلال هذه الفترة (بوضيلب الحسين، 2010). إذ تبين الخريطتين أن المراكز المدروسة كانت شبه فارغة من السكان، الأمر الذي أكدته أيضا نتائج الاستمارة الميدانية بحيث صرح 2% فقط من المستجوبين بمركز

بودينار أنهم يملكون سكنا تم بناؤه قبل 30 سنة و1.5% بمركز كرونة، في حين صرح أغلبهم (98%) أنهم يملكون سكنا جديدا تم بناؤه أقل من 30 سنة (نتائج التشخيص الميداني).

الخريطة رقم (3) الأصول الجغرافية لسكان بودينار وكرونة

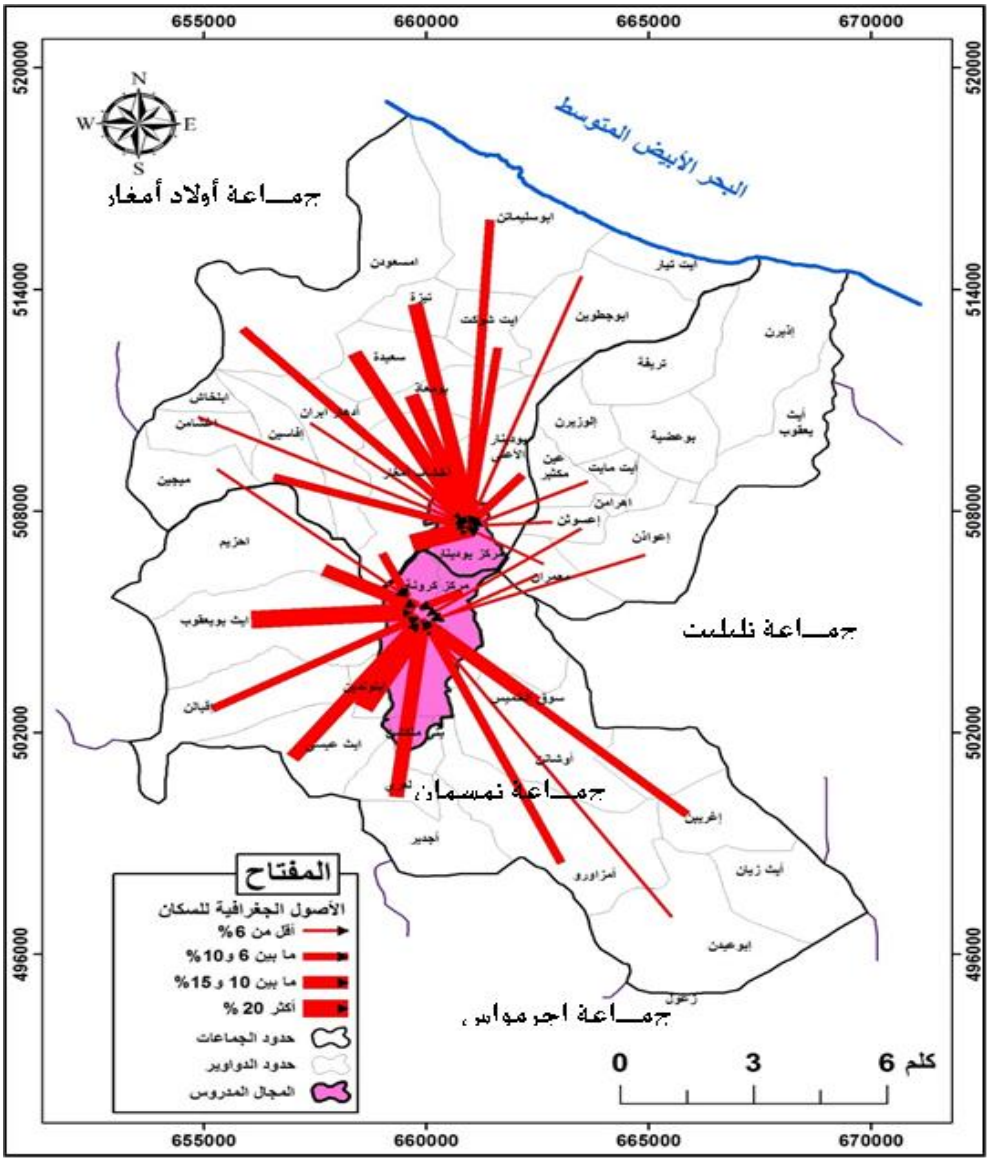

المصدر: دراسة استقصائية ميدانية

الجدول رقم (1) توزيع السكن القديم والجديد بالمجال المدروس سنة 2017

السكن القديم		السكن الجديد	
بودينار	كرونة	بودينار	كرونة
%2	%1.5	%98	%98.5

المصدر: دراسة استقصائية ميدانية

الخريطة رقم (4) توزيع المجال المبني بمركزي بودينار وكرونة ما قبل 1965

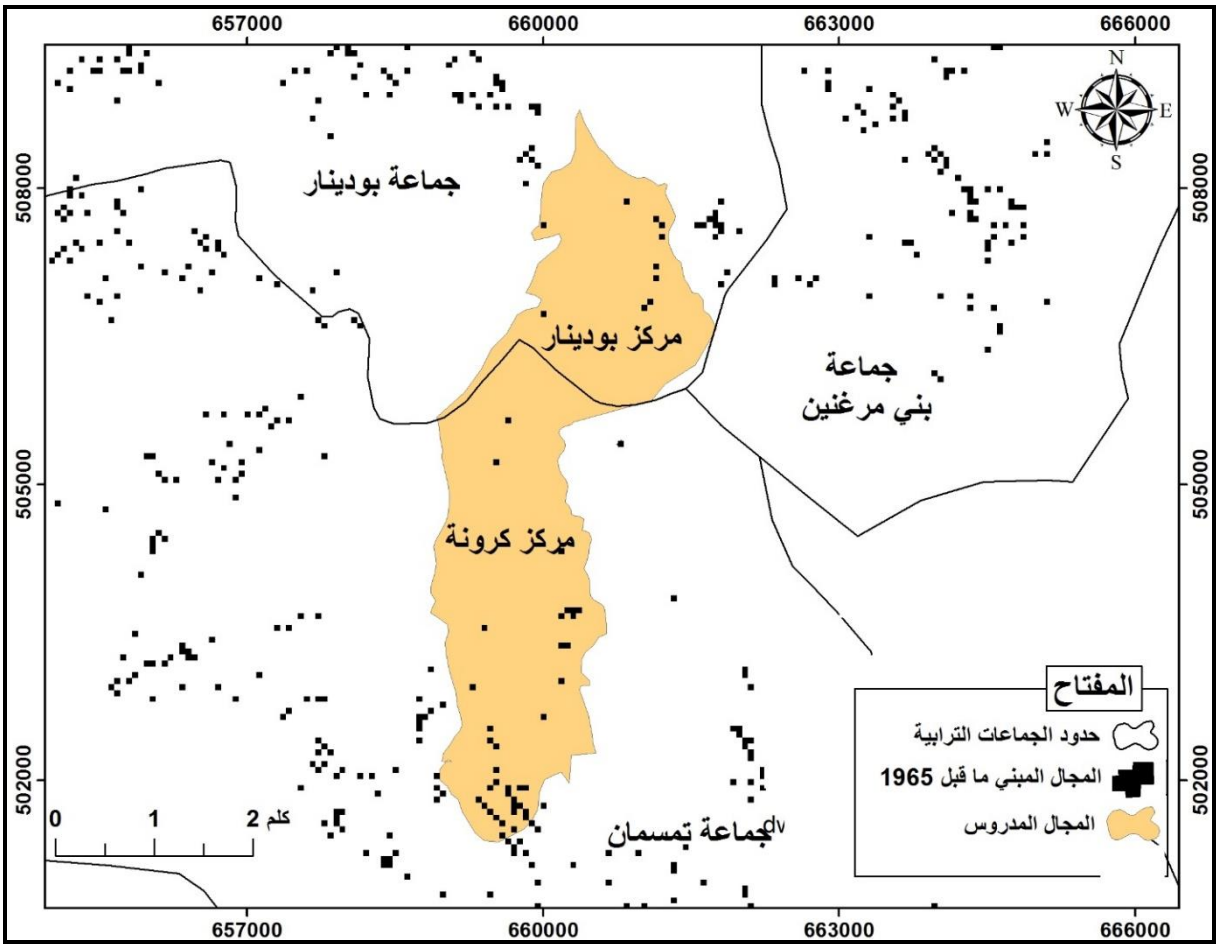

المصدر: الخرائط الطبوغرافية وصور جوية لسنة 1958

بعدما بدأت الهجرة الدولية تزدهر خلال هذه المرحلة نحو مختلف البلدان الأوربية استهوى قطاع البناء المهاجرين بشكل كبير فبدأت معالم أريفة هذا المجال تتراجع شيئا فشيئا، وبدأ المهاجرين يستثمرون في قطاع البناء، حيث لم يعد عندهم الهم الشاغل هو توفير المآكل والمشرب فقط بل أصبح يتعداه، وذلك بسبب وجود فائض مالي لدى هذه الأسر، ويتجلى هذا الهم في التفكير في بناء مسكن جديد وبمورفولوجية وشروط حياة جديدة تتناسب والأوضاع الاقتصادية للأسر التي عرفت تطورات مهمة، وتختلف عن تلك التي كانت سائدة من قبل (بلال بوجي، 2011).

2-2-3- المرحلة الثالثة 2001 -2017: دينامية عمرانية سريعة وانتقال من الدواوير نحو المراكز

عرفت هذه المراكز بعد سنة 2000 دينامية عمرانية جديدة لم تعهدها من قبل وازدادت وتيرة النمو العمراني وذلك نتيجة التحولات السوسيو-اقتصادية التي عرفتها المنطقة، مثل ارتفاع قيمة تحويلات المهاجرين إذ بلغت قيمة التحويلات المالية

بإقليم الناظور[5] سنة 1989على حسب بنك المغرب 696 201 2 درهم ليرتفع المبلغ نهاية 1992 إلى 750 180 3 درهم (علال الزرولي 2005).

الخريطة رقم (5) توزيع المجال المبني بمركزي بودينار وكرونة قبل 1965 وبعدها

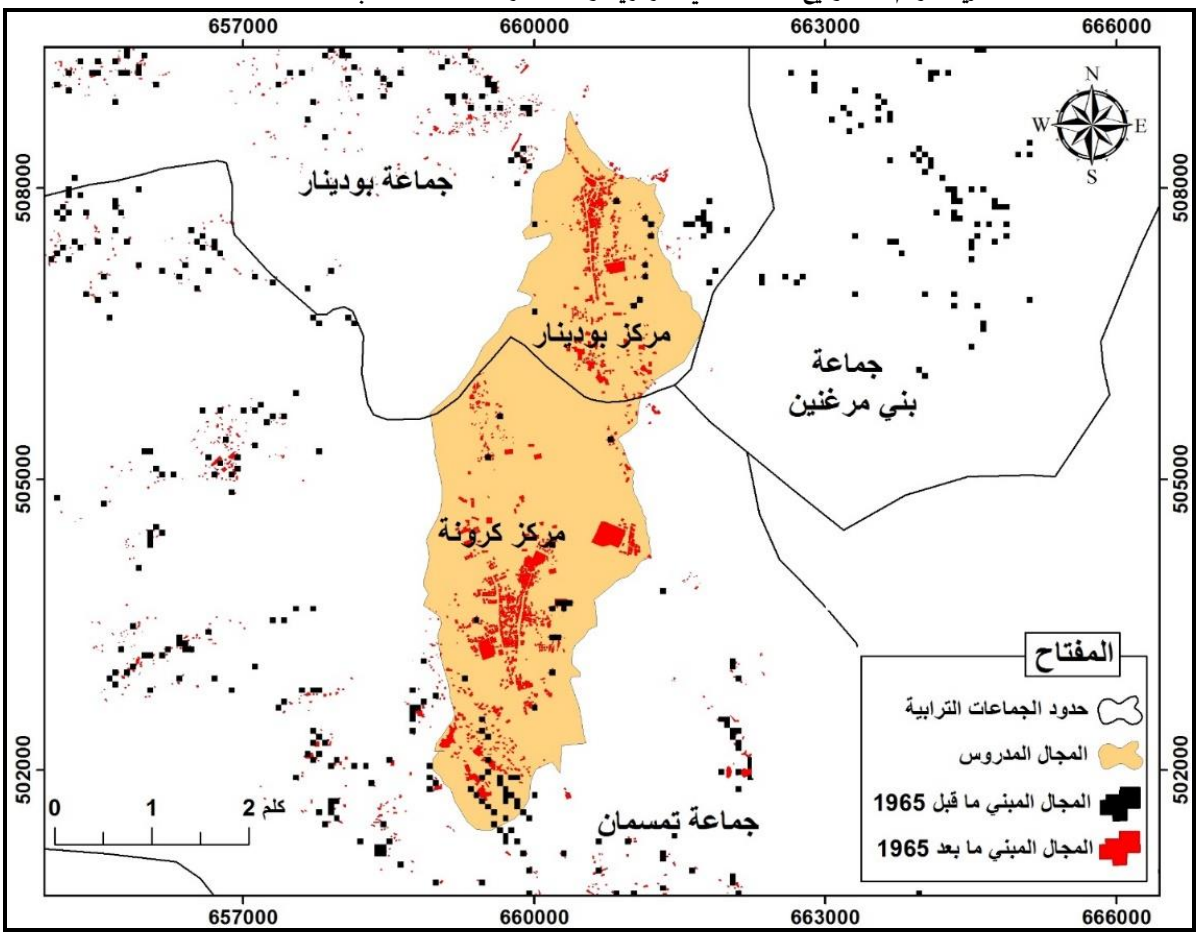

المصدر: الخرائط الطبوغرافية وصور جوية لسنة 1958

يتضح من خلال هذه التحويلات المهمة مدى ارتباط المهاجرين بموطنهم الأصل وقوة ومتانة الأواصر العائلية، كل هذه التحويلات المالية لم يكن لها وقع إيجابي على الاستثمار في القطاعات المنتجة بمركزي كرونة وبودينار، لذلك فالمهاجرون يفضلون استثمار أموالهم في قطاع البناء لعدة عوامل لعل أبرزها يتجلى في كون الدولة لم توفر أرضية مناسبة للاستثمار في قطاعات أخرى غير قطاع البناء، هذا إضافة إلى أن هذه الأسر كانت إلى حد قريب تقطن في مساكن تقليدية مبنية بالحجر و الطوب، فمن البديهي أن تقوم بتجديد مسكنها أو بناء مسكن أخر جديد بعد ارتفاع دخلها و تحسن مستواها المعيشي، عامل أخر يتمثل في رغبة المهاجرين بإظهار تحسن مستواهم الاجتماعي والاقتصادي من خلال أشكال هندسية ومرافق جديدة ذات طابع حضري لم تكن قائمة من ذي قبل تعكس مستوى الرفاه الذي وصل إليه المهاجر.

بفعل تضافر عدة عوامل، أصبحت هذه المرحلة فترة للتوسع العمراني بامتياز بالمجال المدروس، حيث عملت عائدات الهجرة الدولية على تغذية قطاع التعمير، فبعدما كان السكان يفضلون المواقع الدفاعية والعالية أصبح الآن يختارون المواقع

[5] لقد تم ذكر إقليم الناظور على اعتبار أن المجال المدروس كان ينتمي إلى هذا الإقليم قبل سنة 2009

المنبسطة والسهلة الولوجية خاصة على جنبات الطريق كما هو الشأن بالنسبة لمركزي بودينار وكرونة. ويمكن أن نفسر هذه الوضعية بكون المرحلة الأخيرة التي اختار فيها المهاجرون البناء في المراكز والأماكن السهلة أولا بالعنصر الطبيعي المتمثل في

صعوبة الاستيطان بالجبال والسفوح الشديدة الانحدار، إضافة إلى أن حوض بودينار يقطعه واد مهم هو واد أمقران يستحيل معه التنقل بين الدواوير خاصة خلال فصل الشتاء أثناء الامتطاحات، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار غياب التجهيزات والبنيات التحتية الأساسية كالطرق والمسالك وكذا شبكة الكهرباء والماء الصالح للشرب خلال هذه الفترة بمعظم الدواوير المجاورة، مما جعل الساكنة تختار الاستقرار في المراكز أثناء هذه الفترة لأن هذه المراكز تتصل بالطريق الجهوية رقم 610 والطريق الإقليمية رقم 6201 تمكن الساكنة من الاتصال بمدينة بن الطيب وإمزورن والدريوش، كما أنها استفادت من الربط بشبكة الكهرباء في ثمانينيات القرن الماضي بالإضافة إلى توفر بعض الخدمات الأخرى.

يتبين من خلال ما سبق أن مركزي كرونة وبودينار قد عرفا عدة تحولات سوسيومجالية مهمة، خاصة بعد ستينيات القرن الماضي، تجلت أبرز مظاهرها بالأساس في قطاع السكن من خلال تغير في وظيفته ومورفولوجيته وشكله الهندسي ومرافقه و كذا مواد البناء المستعملة، هذا القطاع الذي لم يعرف أية تحولات قبل هذه الفترة حيث تميز بوظائفه التقليدية وبالانتشار في السفوح الجبلية وبأشكال هندسية ومواد بناء محلية، ومرجع هذا هو أن خلال هذه الفترة لم تكن المنطقة قد عرفت تحسنا في مداخلها المالية بعد، وأن الساكنة كانت تعتمد في نشاطها الاقتصادي على الفلاحة والصيد البحري بنظام ووسائل إنتاج تقليديين، كما أن المستعمر الإسباني عمل على استنزاف ثروات المنطقة خدمة لمصالحه الاقتصادية.

لكن بعد استقلال المغرب وجد شباب المنطقة أنفسهم أمام وضعية متأزمة ووسط طبيعي ذو موارد محدودة و يشكو من ارتفاع في الكثافة السكانية لا يقدر على تلبية حاجيات هذه الفئة، فكانت وجهتهم الضفة الشمالية بحثا عن ظروف عيش أفضل، فتحققت فعلا رغبة المهاجرين بتحسن مستواهم المعيشي، هذه الهجرة التي كان لها الأثر الكبير على التحولات التي شهدتها هذه المراكز و التي اقترنت بارتفاع دخل الأسر و تحسن المستوى الاقتصادي و الاجتماعي، خاصة بعد سنة 2000 حيث ظهرت أنشطة اقتصادية أخرى غير النشاط الفلاحي بالمنطقة لم تكن متواجدة من ذي قبل وهي أنشطة ترتبط في غالبيتها بقطاع البناء، لتستثمر في هذا القطاع أيضا الساكنة المحلية بالإضافة الى الجالية و بالتالي تحولات عمرانية واكبت تطور هذه المستويات.

لكن في مقابل هذه الدينامية العمرانية التي عرفها مجال دراستنا نجد شبه غياب لسياسة التعمير، التي من شأنها ضبط هذا التوسع فوثائق التعمير بمجال دراستنا منتهية الصلاحية ولا تشمل إلا مجال محدود جدا منها، حيث نجد مركز بودينار قد استفاد من تصميم للنمو سنة 1975 ومركز كرونة سنة 1981 وبالتالي فإن هذه التصاميم لم تعد تواكب الدينامية العمرانية الآنية التي يعرفها مجال دراستنا.

2-3- مظاهر التمدن وخصائص السكن بمركزي كرونة وبودينار

لقد كان المشهد العمراني بمركزي كرونة وبودينار قبل ظهور الهجرة متميزا بانتشار السكن الريفي المتسم بخصائص ووظائف تتماشى والمستوى الإقتصادي والاجتماعي السائد آنذاك، غير أن إرهاصات التحول ومعالم العصرنة، التي تجلت في تغير نوع وشكل المسكن ومرافقه وتجهيزاته. بدأت في الظهور مباشرة بعد موجة الهجرة الى اوروبا وذلك لدخول نمط تفكير جديد وثقافة جديدة تساير متطلبات الحياة العصرية.

إذن فالتعمير لم يقتصر داخل المجال المدروس على التجمع في تكتلات عمرانية أصبحت تشكل أنوية تسعى الى الارتقاء الى مراكز حضرية فقط، وإنما صاحب ذلك تحولات للمسكن من حجم البناية الى نوع المواد المستعملة في البناء ثم التجهيزات

المتوفرة داخل هذه المساكن، هذا التحول الذي كان فيه للمهاجرين دورا كبيرا جدا خاصة وأن قطاع البناء شكل القطاع الأول لاستثمار عائدات الهجرة. وقد تطور هذا المسكن الى درجة أصبح فيها يضاهي أو يتفوق في مستوى التجهيزات والهندسة مثيله في المدن. لا شك أن مثل هذا التطور سيؤثر على وظائف هذا المسكن، كما أن نمو هذه المراكز تميز بنمطين من التوسع حيث عرفت بعض الأجزاء توسعا مقننا وأجزاء أخرى تميزت بالعشوائية والفوضوية وهو ما سنراه من خلال هذا العنصر.

2-3-1- التطور الوظيفي للسكن بمركزي بودينار وكرونة وتلاشي الأدوار القديمة

لم يكن المسكن بالريف الشرقي ومنطقة حوض بودينار قبل موجة الهجرة نحو أوروبا إلا مسكنا بدائيا مصنوعا من المواد المحلية مثل الحجارة المتماسكة بالطين والتبن، ولا تزال شواهد ذلك النوع من المساكن متجلية بمجال دراستنا، وذلك نظر لضعف الإمكانات الاقتصادية لدى السكان آنذاك. غير ان تحسن الامكانات المادية وخاصة منذ بداية القرن الحالي ادت الى استثمار الساكنة في قطاع البناء في أنوية أنشأها المعمر قبل الاستقلال. فارتباط الساكنة بالأرض دفعهم الى العودة الى منطقتهم ولم تستهوي فكرة الاستقرار في المدن القريبة إلا قلة من المهاجرين على الأقل بالأمس القريب. الى جانب فكرة التباهي بالصعود في السلم الاجتماعي في المجتمع المحلي هذه الفكرة التي أدت الى منافسة في تحسين البناء الى درجة بداية ظهور فلات في هذا النوع من المراكز الصغرى، غير أن حمى هذه المنافسة لم تقتصر على المهاجرين فقط بل مست أيضا الساكنة المحلية التي لم تهاجر إلى الخارج وذلك عن طريق تجديد مسكنها أو إضافة غرف من البناء الصلب إلى جانب المسكن القديم.

2-3-1-1- ارتفاع نسبة السكن الصلب وسيادة الملكية الخاصة

في إطار التحولات التي يشهدها السكن بالمجال المدروس و التي إن دلت على شيء فإنما تدل على الاستمرار في السير نحو العصرنة و البحث عن ما هو جديد، نجد في إنتشار السكن الصلب و تراجع السكن الهش، أحد مظاهر هذه التحولات التي مست السكن، وبالتالي فأولى مؤشرات التغير السكني بحوض بودينار وهوامشه هو انتقال السكن من سكن هش الى سكن صلب يعتمد كليا على مواد البناء الجديدة (اسمنت، حديد...) ليشكل بذلك قطيعة مع المسكن الهش المكون من الطين الممزوج بالتبن والخشب والحجارة، وبذلك أصبحت المنازل الجديدة نمطا معماريا حديثا يتسم بخاصيته الحضرية، إذ صرح حوالي 98% من المستجوبين بكلا المركزين أنهم قد قاموا ببناء مسكن جديد أو تجديده خاصة في العشرين سنة الأخيرة (حسب نتائج الاستمارة الميدانية)، والخريطة الموالية توضح ارتفاع نسبة السكن الصلب بكلا المركزين.

الخريطة رقم (6) توزيع السكن حسب طبيعته بمركزي بودينار وكرونة سنة 2017

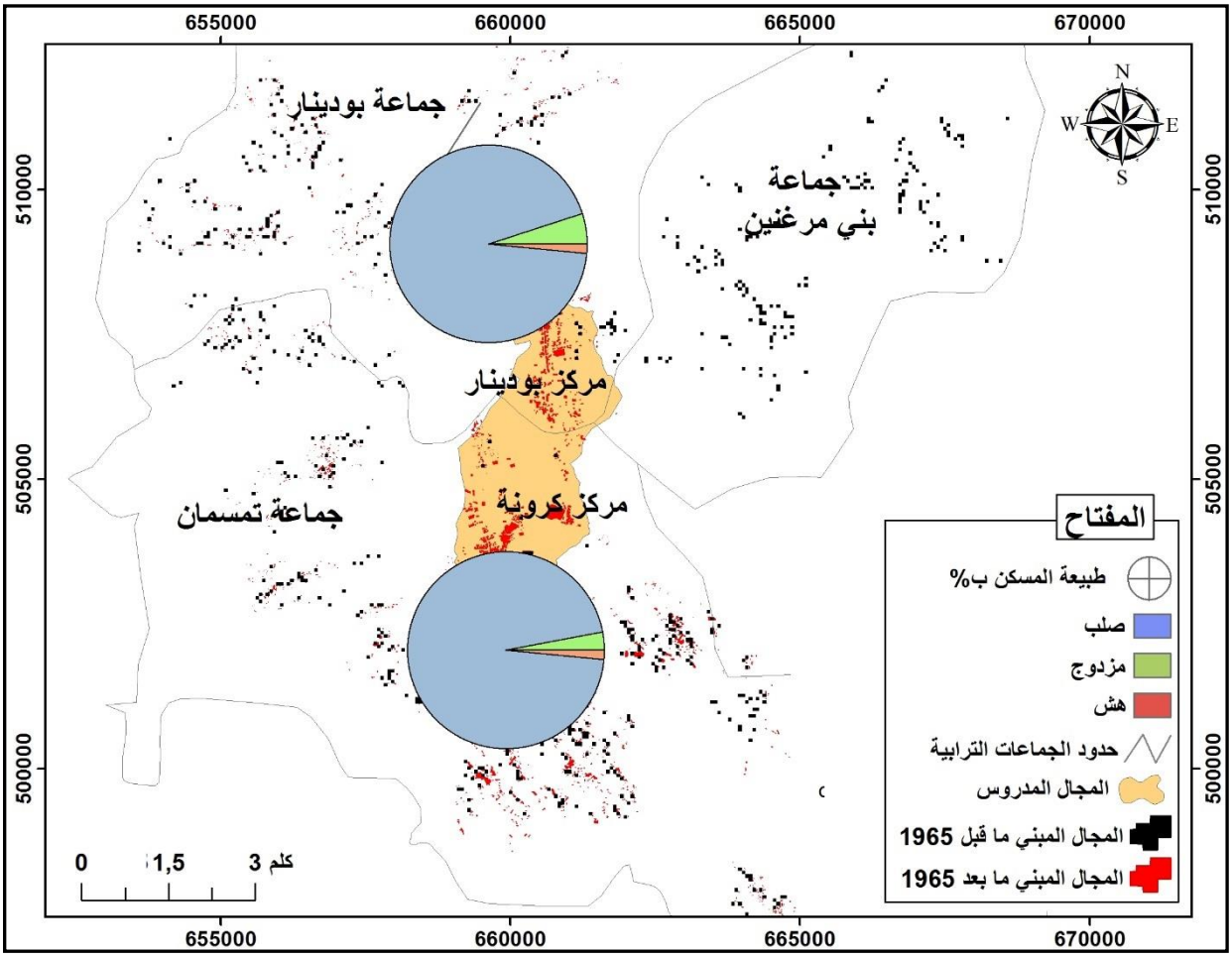

المصدر: صور الأقمار الصناعية+ نتائج الاستمارة الميدانية يوليوز 2017، عينة 10%

إن ما يجب الإشارة إليه هو أن التحولات التي همت طبيعة البناء مرتبطة بالأساس بالهجرة الخارجية واستثمارات المهاجرين في قطاع البناء ورغبتهم في إظهار مستواهم الاقتصادي والاجتماعي بانفتاحهم على المحيط الخارجي. وبعد أن كان المهاجرون يتجهون نحو البناء في دواويرهم الأصلية بسبب تواجد العقار الخاص. عرفت المنطقة توجها جديدا وهو الاتجاه نحو شراء الأراضي بالمركز من أجل البناء الأمر الذي سيؤدي فيما بعد إلى ارتفاع أسعار الأراضي الى مستويات قياسية مقارنة حتى ببعض المدن المغربية. ومع هذا التوجه الجديد بدأ المركز يتوسع بصورة مختلفة نتيجة البناء بدون رخص وخاصة بالنسبة للذين يتوفرون على أراضي خاصة في المركز.

هذا التجديد الحاصل أدى إلى تراجع نسبة السكن الهش الذي أصبح يمثل 8% فقط في حين يمثل السكن الصلب 69% والسكن المزدوج 23% (حسب نتائج الاستمارة الميدانية)، كما أن جل هذه المساكن يملكها المهاجرين وبالتالي فإما أنها تظل فارغة بحيث لا يقضي فيها المهاجر إلا فترة العطلة الصيفية أو يستفيد منها عائلاتهم وأقاربهم، وبالتالي فإن أنواع استغلال المسكن يغلب عليه الملك الخاص في حين تغيب الأنواع الأخرى كالاستئجار مثلا الذي يقتصر على بعض الموظفين القادمين من خارج المجال المدروس إذ صرح حوالي 89% من المستجوبين في كلا المركزين أنهم ملاك لمسكنهم و9% مستفيدون فقط و2% مستأجرون.

2-3-1-2- من السكن الأفقي إلى السكن العمودي

لم يقتصر التحول الذي مس السكن داخل مركزي كرونة وبودينار على نوعية البناء وطبيعته فقط بل تعدى ذلك ليشمل الشكل والمورفولوجية، حيث نسجل تراجع في مساحة المسكن الذي كان يتميز من ذي قبل بكبر مساحته واتساعه بشكل أفقي، إلا أنه حاليا قد قلت هذه المساحة وأصبح السكن يضاهي نظيره في المجال الحضري. لقد أصبح نمط البناء الجديد يختلف مع بنية السكن القديم فإذا كان هذا الأخير يتخذ شكلا مربعا وأفقيا بحيث ينفتح على مساحة داخلية كانت تقام بها أنشطة متعددة فقد أصبحت المنازل الجديدة تتميز بشكل هندسي يختلف جذريا عن المنازل التقليدية من حيث المورفولوجية الداخلية والشكل الخارجي. فالمسكن الجديد اتخذ خاصية حضرية تمثلت في اتساع مساحته وعلو طوابقه، فعملية البناء المتعالي والذي تتعدى عدد طوابقه الإثنين في أغلب الحالات وهذا دليل على المنافسة من أجل إبراز الإمكانيات المادية، بل إن هذه المنافسة هي السبب الرئيس في انتقال السكن من الأفقي الى العمودي الشبيه بالسكن الحضري.

يعتبر التوسع العمودي أحد الأشكال البارزة للتحولات المجالية التي أصبحت تطبع السكن بمركزي بودينار وكرونة، لكن أهمية هذا النوع من التوسع لا تكمن في جوانبه النوعية أو الكمية بقدر ما تكمن في تعبيره عن تكريس نمط معين لاستغلال المجال بكل ما له من أبعاد اجتماعية واقتصادية (المصطفى الشويكي، 1996)، فإن كان السكن العمودي في المجالات الحضرية تعبير عن غلاء العقار و عدم توفر المجال للتوسع الأفقي، فإنه يجسد في الأرياف رغبة رب الأسرة في إظهار نجاحه و تحسن مستواه المعيشي و كذا تحسن مستواه المادي، خاصة المهاجرين أو حتى غير المهاجرين الذين يتلقون إعانات من طرف عائلاتهم المهاجرة، هذا بالإضافة إلى شبه غياب لوثائق التعمير التي من شأنها أن تحدد عدد الطوابق المسموح بها في أماكن دون أخرى، ولذلك فقد صرح حوالي 40% بمركز كرونة وبودينار أنهم يملكون مسكن ذو سفلي وطابق واحد و23% يملكون سفلي وطابقين و29.5% منهم يملكون سكنا ذو ثلاث طوابق و7.5% يتجاوز ثلاثة طوابق، والخريطة الموالية (رقم 7) تبين توزيع عدد الطوابق بكل مركز على حدة.

الخريطة رقم (7) توزيع أصناف السكن حسب عدد الطوابق بالمجال المدروس

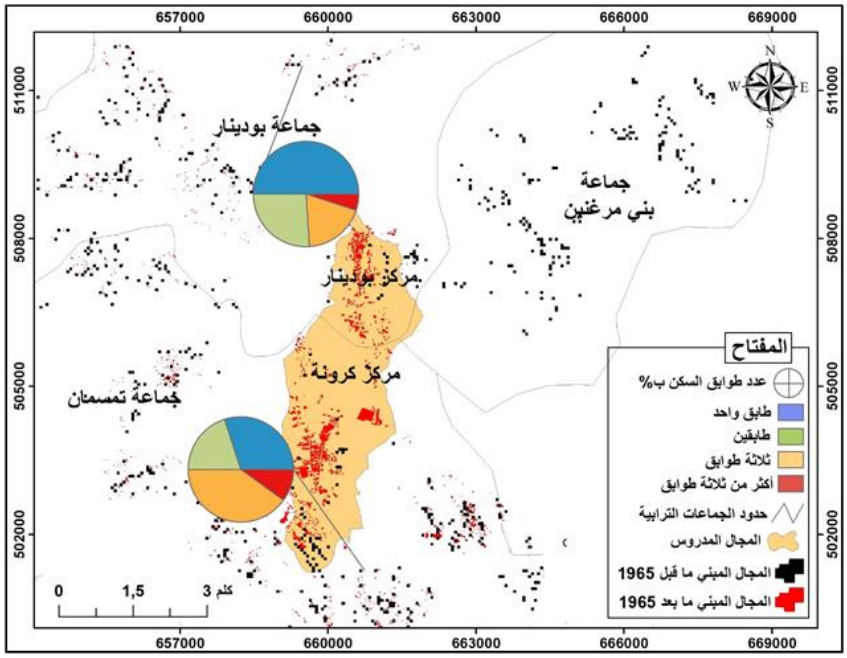

المصدر: تشخيص واستقصاء ميداني

بالإضافة إلى ازدهار السكن العمودي بهذه المراكز نجد شكل أخر من أشكال التحول الذي مس السكن من حيث شكله وخصائصه و هو عدد الواجهات التي يحتوي عليها، فبعدما كان يتميز السكن الريفي القديم بواجهته الداخلية المنفتح على ما يسمى "الحوش" أو "المراح" ، أصبح حاليا السكن يتوفر على أكثر من واجهة واحدة فقد بينت نتائج الاستمارة أن 41% من أرباب الأسر المستجوبين تحتوي مساكنهم على أربع واجهات و 28% تتوفر على ثلاثة واجهات و 20% يضم واجهتين في حين يمثل السكن ذو الواجهة الواحدة 11% فقط، ويمكن أن نشرح هذه النسب المرتفعة للمساكن التي تضم أكثر من واجهة واحدة بسيادة الملكية الخاصة للأراضي وشاسعتها من جهة، وغياب وثائق التعمير من جهة أخرى التي من شأنها أن تضبط خصوصيات كل نطاق على حدة.

إذا كان التحول قد مس وبشكل كبير مورفولوجية المساكن ومواد البناء فإنه لم يستثني وظائفها، فإذا كانت المساكن القديمة لا تزال تحافظ على شيء من الوظائف القديمة في غرف خارجية منفصلة، فإن المساكن المتواجدة بالمراكز قد شكلت قطيعة تامة مع تلك الوظائف المتمثلة بالدرجة الأولى في السكن ووظائف النشاط الاقتصادي السائد، وأصبحت مختلف المرافق التي يتوفر عليها السكن العصري بوظائف محددة. فالسكن الريفي لم يكن مجرد مكان للسكن ولكنه كان يشكل خلية وأداة للاستغلال وتجمع للإنسان والحيوان وأدوات العمل وكل المرافق الأخرى وبذلك كان يختلف كلية عن السكن الحضري، أما اليوم وتماشيا مع ظروف العيش الجديدة، فقد تم التخلي عن هذه الوظائف خصوصا بعد تراجع تربية الماشية ومكننة مراحل الإنتاج (علال الزروالي 2005).

يتمثل التطور الوظيفي للسكن في تخصيص الغرف أي في الوظيفة التي تؤديها كل غرفة على حدة، ففي الوقت الذي كانت فيه الغرفة الواحدة تقوم بجميع الوظائف أصبح الآن لكل غرفة وظيفتها الخاصة، حيث ظهرت غرفة النوم وغرفة استقبال الضيوف وغرفة تناول الوجبات الغذائية والمطبخ والحمام والمرحاض كل هذه المرافق نجدها قد عرفت تحولات مهمة أو أنها مرافق لم تكن موجودة أصلا فتم إحداثها من جديد مع تفنن في أشكال زخرفتها وصباغتها ومختلف التجهيزات التي تتوفر عنها (الجدول رقم 2).

الجدول رقم (2) توزيع نسب توفر المرافق الضرورية للسكن بجماعة بودينار وجماعة تمسمان

المرافق	جماعة بودينار	جماعة تمسمان
المطبخ	% 98.8	% 99
المرحاض	% 98.2	% 98.3
الحمام	% 66.8	% 56.2
الماء الصالح للشرب	% 42.1	19%
شبكة الكهرباء	% 96.7	% 94.6

المصدر: نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى2014

هكذا يتبين من خلال الجدول أعلاه وعلى حسب إحصاء 2014 أن ما يقارب 99% من المساكن تتوفر على مطبخ وأزيد من 98% تتوفر على مرحاض وأزيد من 55% تحتوي على حمام وأزيد من 94% تتوفر على الكهرباء في حين نجد نسب منخفضة للماء الصالح للشرب 42 % بالنسبة لجماعة بودينار و19% بجماعة تمسمان، لكن هذه الاحصائيات صحيحة على صعيد الجماعة والتي تضم بالإضافة الى المراكز عدة دواوير أخرى ما تزال معزولة، غير أنها على مستوى المجال المدروس أي مراكز الجماعتين فهي مرتفعة.

2-3-1-3- سيادة السكن المبني من جديد وارتفاع نسبة الدور المغربية

إن أول هاجس يقلق أرباب الأسر بمركزي كرونة وبودينار سواء المهاجرين منهم أو القاطنين هو القيام ببناء مسكن جديد وبمواصفات عصرية و التخلي عن المسكن القديم ذو الوظيفة الفلاحية بالأساس، و يعزى هذا إلى تطور نمط العيش بالمنطقة و تحسن المستوى المعيشي و ذلك ما خلصت إليه نتائج الاستمارة الميدانية حيث 53% من المساكن الموجودة بمركزي كرونة وبودينار مبنية من جديد و45% من المساكن قد تم تجديدها في حين تمثل نسبة المساكن التي لم يتم تجديدها 2% فقط، ويفسر هذا بكون الأسر قد تخلت عن المسكن القديم إما لكثرة أفراد الأسرة أو الإرث فالسكن القديم كان يأوي عدد كبير من الأفراد لكن هذه الظاهرة تقلصت حاليا بعد التحول الوظيفي الذي شهده السكن مما يفسر زيادة الطلب على السكن الجديد.

إن السكن المبني من جديد يتميز بحداثة بنائه حيث أن أغلب المساكن مبنية ما بين 10 و20 سنة (حسب نتائج الاستمارة الميدانية) توزيع نسبة السكن المبني من جديد على حسب تاريخ بنائه، حيث يتضح أن السكن المبني من جديد الذي يتراوح عمره ما بين 15 و20 سنة هو الذي يشكل أكبر نسبة. وبما أن السكن حديث النشأة فبطبيعة الحال سيكون أكثر عصرنة، إن حداثة السكن داخل مجال دراستنا دليل على أن الساكنة والمهاجرون ما زالوا يفضلون الاستقرار بالجماعة وأن موجة التوسع لا زالت مستمرة.

نفس الشيء يمكن قوله على السكن القديم الذي تم تجديده والذي يمثل45% حيث نجد أن 46% منه يتراوح عمر تجديده ما بين 5 و10 سنوات، و39% تم تجديده قبل أقل من 5 سنوات في حين يمثل السكن الذي تم تجديده ما بين 11 و15 سنة 15% فقط، إن السكن القديم هو الآخر يتميز بحداثة تجديده .

لقد صاحب انتشار السكن المبني من جديد مظاهر أخرى تدل على عصرنة السكن داخل مجال دراستنا حيث نجد تراجع في نسب بعض أنواع السكن التي كان يتميز بها مجال دراستنا إلى حد قريب، كالسكن الريفي الذي أصبح يمثل35,9% من مجموع الأنواع الأخرى في حين نجد ارتفاع نسبة الدور المغربية لتشكل 57,15% (حسب معطيات الإحصاء العام) هذه النسبة تساوي تقريبا المعدل الوطني الذي بلغ 56,8%، لكن هذه النسب على مستوى الجماعتين لا تعكس ما هو قائم على مستوى المراكز لأن الجماعات تضم حتى الدواوير وهناك اختلاف كبير بين خصائص السكن بين دواوير هذه الجماعات ومراكزها.

الصورتان رقم (2)و(3) توضحان بداية ظهور سكن الفيلات بالمجال المدروس (مركز كرونة)

المصدر: تشخيص ومعاينة ميدانية

إن المنطقة الشرقية تعرف ضعفا فيما يتعلق بسكن الفيلات (الصورتين 2 و3) والعمارات و لا تتوفر على مختلف الأصناف السكنية المتوفرة في أهم المدن المغربية ولا نجد جميع الأصناف السكنية بمفهومها السوسيو مجالي (المصطفى اليزيدي 2004)، ويعزى تراجع السكن الريفي بمركزي بودينار وكرونة إلى رغبة المهاجرين و الساكنة المحلية في بناء مساكنهم بمستوى عصري وحديث يتماشى و متطلبات العصر والتخلص من السكن الريفي القديم، وفيما يخص الأنواع الأخرى كالسكن في العمارات الذي يشكل نسبة ضعيفة فهذا النوع من السكن لا تحببه ساكنة المنطقة و الريف بصفة عامة لأن سكان الريف يتميزون بصفة خاصة بالحذر من بعضهم البعض (علال الزروالي 2005)، لذلك يحبون الانفراد بمساكنهم، ثم سكن الفيلات الذي يكاد ينعدم في الجماعة حيث أنه بالرغم من العائدات المالية الخارجية المهمة إلا أن أرباب الأسر لا يقومون ببناء هذا النوع من السكن لأن ثقافتهم لم تستوعب مضمون الاستقرار في الفيلات كما أن المهاجرون بالخارج لا يرغبون في بناء هذا النوع لأنهم يستغلونه فقط في فترة قصيرة (المصطفى اليزيدي، 2005).

يظهر إذن أن السكن بالمجال المدروس قد عرف تحولات ملموسة حيث أصبح يميل نحو العصرنة وذلك لسيادة أنواع معينة من السكن وتراجع أنواع أخرى كانت سائدة من ذي قبل (الشكل رقم 1)، ولعل هذا يعبر عن إحدى المظاهر لتراجع أريفة المجال الذي ساهمت فيه مجموعة من العوامل وعلى رأسها عائدات الهجرة الدولية (بلال بوجي 2011).

الشكل رقم (1) توزيع السكن بجماعتي بودينار وتمسمان حسب نوعيته سنة 2014

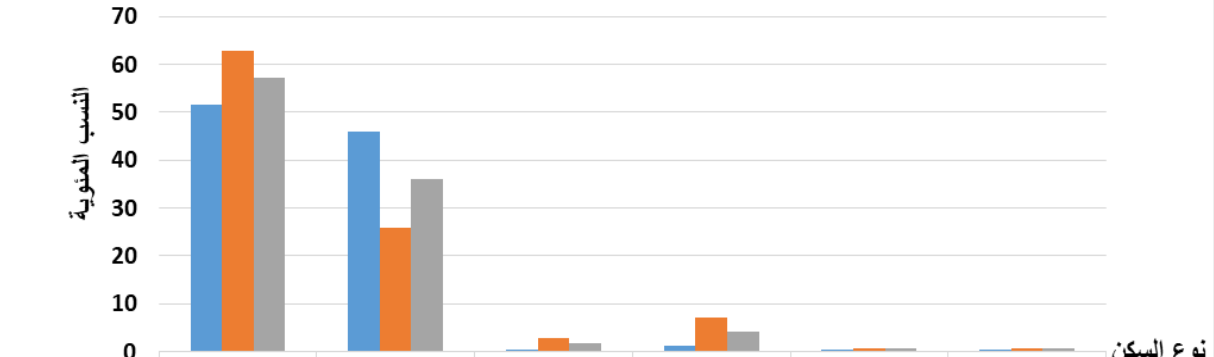

	الدار المغربية	السكن الريفي	السكن في العمارة	السكن الصفيحي	فيلا	اخر
جماعة بودينار	51,5	45,9	0,5	1,1	0,4	0,5
جماعة تمسمان	62,8	25,9	2,8	7,1	0,7	0,7
المجموع	57,15	35,9	1,65	4,1	0,55	0,6

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

وبهذا يكون السكن بمركزي كرونة وبودينار قد عرف تحولات نوعية همت بنية السكن ووظيفته وكذا تجهيزاته ومورفولوجيته الداخلية والخارجية، الشيء الذي لم يكن سائدا من قبل عندما كان السكن يؤدي دوره كمسكن لإيواء الإنسان والحيوان وأدوات العمل الفلاحي حيث كان يتلاءم والمستوى الاقتصادي والاجتماعي السائد آنذاك، إلا أن هذه الظاهرة أصبحت تضعف وبعائدات الهجرة الخارجية وارتباط المهاجرين بموطنهم الأصل من جهة وتوفر بعض الظروف المساعدة من جهة أخرى.

2-4- أشكال التعمير بمركزي كرونة وبودينار

تعتبر التحولات التي عرفها السكن من أبرز التحولات المجالية التي شهدتها المنطقة تتجلى مظاهرها في تغير مجموعة من خصائصه التي كانت سائدة من ذي قبل والتي لم تعد قائمة حاليا، مما ساهم بشكل كبير في تغيير المشهد العمراني الريفي الذي كان يطبع المنطقة إلى مشهد عمراني شبيه بما هو حضري ثم تحول أخر بارز يتجلى في تغير وظيفة المسكن التي كانت ترتبط بالنشاط الفلاحي إلى وظيفة تتماشى والمستويات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة.

لكن بالموازاة مع التغيرات التي يشهدها السكن بالمجال المدروس نجد أن هناك شبه غياب لسياسة عمرانية حقيقية تهدف إلى التأهيل العمراني بهذه المراكز، من خلال إعداد التصاميم الهندسية وتصاميم الهيكلة و تقديم المساعدة الهندسية المجالية و التتبع التقني لعمليات البناء الذاتي للسكن وذلك في إطار اتفاقيات للشراكة بين الوكالات الحضرية و السلطات المحلية (عبد العزيز اشرقي، 2009)، من أجل تطوير أنماط التعمير باعتبار تطورها يتوقف على وضعية وثائق التعمير، حيث ينتشر السكن المقنن مع توسيع مجال التغطية بهذه الوثائق في حين ينتشر السكن غير المقنن مع غيابها (بلال بوجي 2011)، وبهذا فإن مجال دراستنا يعاني من نقص حاد في توفر وثائق التعمير وبالتالي إفراز وضعية عمرانية تتميز بالعشوائية والبناء الفوضوي، تبعا لهذا نتساءل عن نوع التوسع العمراني الذي عرفه مجال دراستنا.

2-4-1- توسع مرخص وتغطية تصميم التنمية لمجال محدود بمركزي كرونة وبودينار

2-4-1-1- مركز بودينار

إن نجاح التعمير أو فشله مرتبط بالسياسة العامة للبلاد وباختيارها السياسي وتوجهها الاقتصادي والاجتماعي والتصميم انعكاس لهذه العناصر، ويمكن الإشارة إلى أنه يركز على آفاق التطور ويوجه التوسع العمراني وتنظيمه على حسب عناصر معينة (المصطفى اليزيدي، 2004)، كتخصيص المناطق لأنواع معينة من السكن وكذا الأنشطة والمناطق الممنوعة من البناء... لذلك فإن مجال دراستنا قد عرف نموا عمرانيا مهما ومتزايدا نتج عن تضافر مجموعة من العوامل يغيب معها التخطيط العمراني اللازم لمسايرة هذا النمو وتقنينه وتأهيل النسيج العمراني بالمركزين. ونتيجة لهذا فإن المجال المدروس قد عرف نمطين من التوسع العمراني أحدهما مرخص يغطي مجال محدود جدا والأخر غير مرخص يغطي معظم المجالات الأخرى.

بالرغم من كون مركز بودينار يحتضن كل الخدمات الإدارية و التجهيزات الأساسية داخل قبيلة تمسمان و أنه قد إستفاد من تصميم للتنمية منذ سنة 1975 إلا أنه لم يرق إلى مركز حضري بعد، وقد تم تقدير ساكنته على حسب إحصاء 2014 ب 2212 نسمة فبعدما كان من المقرر أن تنجز له وثيقة تصميم التهيئة سنة 2010 تضم كل من مركز بودينار و سوق الخميس و مركز جماعة تمسمان (كرونة) لكن لسبب من الأسباب توج المشروع بالفشل، فالجماعة لا زالت تعمل بتصميم النمو القديم غير المحين والذي انتهت صلاحيته سنة 1985 مما أفرز خللا في اشتغال المنظومة العمرانية بمركز الجماعة، لذلك نجد بالمركز أجزاء تتميز بتوسع عمراني مرخص على جنبات الطريق الرئيسية و بعض الأزقة المرتبطة بها، حيث يظهر تصفيف الشوارع واحترام بعض قواعد التعمير، إلا أن المناطق الخلفية يسود بها التوسع العشوائي الذي لم يحترم المقتضيات التي جاء بها تصميم التنمية خاصة فيما يتعلق بالطرق و الممرات و بعض الأماكن التي يمنع فيها البناء أو التي تهددها أخطار طبيعية أو مخصصة لأغراض أخرى، هذا بالإضافة إلى غياب التجهيزات وبعض المؤسسات التي جاء بها التصميم.

2-4-1-2 - مركز كرونة

يعتبر مركز كرونة المركز الوحيد الذي رُقي إلى مركز حضري داخل مجال حوض بودينار، تم تزويده بتصميم التنمية سنة 1981 ولم يتم تحيينه الا سنة 2021،حيث بقي الاشتغال بالنسخة الأولى حتى ذلك الوقت. لذا نجده يتميز في بعض أجزائه بوجود تصفيف للمباني و توفر بعض الشوارع الصغيرة والأزقة كما يحتضن بعض الخدمات الإدارية و الاجتماعية و كذا بعض المحلات التجارية المهيكلة لكن عددها قليل باعتبار معظم الأنشطة الاقتصادية الموجودة غير مهيكلة، يتميز مركز كرونة في بعض أطرافه بمورفولوجية لا بأس بها من حيث عملية تصفيف المباني (الصورة 5) و إن كان منح رخص البناء لا يحترم في بعض الأحيان الشروط الكاملة التي ينص عليها تصميم التنمية حيث يتم البناء مثلا في مناطق غير مخصصة للسكن إلا أنه أقل ما تحرص عليه الجهات المعنية بمنح الرخص هي عملية التصفيف، لكن هذا لا يعني بأن المركز ذو مستوى رفيع من حيث التصفيف بل يتميز في بعض أجزائه بعشوائية كبيرة.

الصورتان رقم (4)و(5) التوسع العمراني المنظم حسب تصميم النمو بكل من بودينار وكرونة

المصدر: تشخيص ومعاينة ميدانية

وبهذا تكون تصاميم التنمية المنتهية الصلاحية قد غطت مجال محدود بمركزي كرونة وبودينار، وبالتالي توسع عمراني تميز بالازدواجية بين المركز والهامش، وأن التنظيم واحترام قواعد التعمير ميز المحاور الطرقية الرئيسة المركزية فقط أما جوانبها الخلفية فقد تميزت بالعشوائية والتوسع غير المرخص وذلك نظرا لعدم تحيين وثائق التعمير أو تجديدها لكي تشمل مجالا أوسع، الأمر الذي أدى إلى استفحال التعمير الذاتي، ولم تلتفت المجالس الجماعية إلى هذا الأمر إلا سنة 2018 حيث تقام حاليا الدراسات من أجل إنجاز تصاميم جديدة للتنمية.

2-4-2- التعمير الذاتي وتصاميم منتهية الصلاحية

2-4-2- 1- تعمير عشوائي بهوامش مركز بودينار

بعد الانتقال من المركز إلى الهامش نلاحظ بجلاء تجليات العشوائية وسوء تنظيم المجال العمراني بمركز بودينار، وتختلف العوامل التي تقف وراء هذه الوضعية المزرية باختلاف المتدخلين كما أن لها انعكاسات سلبية جمة على مختلف القطاعات الأخرى، فالتماطل في تطبيق الأحكام الواردة في تصميم التنمية ما بين سنة 1975 و 1985 والعمل بها بعد هذه الفترة رغم انتهاء صلاحيتها أفرز خللا في هيكلة قطاع التعمير بمركز بودينار، و يعزى هذا إلى التكاليف المادية التي يكلفها إنجاز وثائق التعمير و كذا التجهيزات و البنيات التحتية المرافقة لها هذا بالإضافة إلى ضعف احتياطي عقار الدولة، حيث ينتشر بجماعة بودينار أراضي الملك الخاص أكثر من أنواع الملكيات الأخرى كل هذا يكلف الدولة موارد مالية مهمة خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الموارد المادية المتواضعة للجماعة القروية.

هذا بالإضافة إلى تضارب المصالح ما بين المجلس الجماعي والمنتخبين و كذا السلطات المحلية، فحاجة الساكنة إلى البناء في ظل غياب وثائق التعمير جعلت المسئولين يتعاملون مع الأمر بنوع من المرونة، لذلك فإن عدد الرخص الممنوحة بجماعة بودينار ما بين 2008 و 2012 لا تتجاوز 20 رخصة دليل واضح على حجم الإشكالية التي يواجهها تنظيم تراب الجماعة، لقد اعتبرنا أن مركز بودينار قد عرف توسعا مقننا نظرا لأنه كان يتوفر على تصميم التنمية، لكن دون الخوض فيما إذا كان البناء يتوافق و مقتضيات هذا التصميم، هذا إضافة إلى أن الرخص لم تسلم لكل الساكنة التي قامت بتشييد مساكنها داخل مركز بودينار، فمن خلال الاستمارة الميدانية يتبين أن أغلبية الأسر تسكن بمساكن غير مرخصة حيث اعترف 43%

من أرباب الأسر المستجوبين و الذين يملكون مسكنا داخل المركز أنهم شيدوا منازلهم بدون رخصة في حين 31% شيدوا منازلهم بعد الحصول على الرخصة، هذا يعني أن السكن غير المرخص يحتل الصدارة داخل مركز بودينار.

إذن فمركز بودينار يواجه تحدي عمراني حقيقي في ظل غياب وثائق التعمير في الوقت الراهن، والتوسع العمراني في المركز يتميز بتصفيف في نسيجه العمراني على الطرق الرئيسية وبعض الأزقة الأخرى المرتبطة به فقط، لكن الأجزاء الأخرى تطبعها العشوائية مما ينعكس سلبا على المشهد العمراني بصفة عامة ومختلف التجهيزات والبنيات الأخرى بصفة خاصة. حيث يغيب التخطيط العمراني اللازم لمسايرة هذا التوسع وتقنينه الأمر الذي يحول دون تأهيل النسيج العمراني بمركز بودينار وتحقيق تنمية عمرانية حقيقية.

2-4-2-2- هوامش مركزكرونة وتعميرذاتي سريع

إن كان التعمير بمركز كرونة يتميز بنوع من التنظيم في مختلف محاوره الرئيسية إلا أنه وبخلاف هذا نجده يتميز في العديد من أجزائه بالعشوائية في التوسع و ذلك بسبب عدم تطبيق العديد من مقتضيات تصميم التنمية و ثانيا بسبب عدم تجديد التصميم عند انتهاء صلاحيته (سنة 1991)، وتكمن أسباب هذا التماطل أولا في أسباب مادية سواء كان ذلك من أجل إنجاز التصميم الذي يتطلب تكاليف مالية مرتفعة أو في التكاليف التي تتطلبها إنجاز التجهيزات التي ينص عليها التصميم، هذا بالإضافة إلى مشكل افتقار الدولة لاحتياط عقاري الذي يسمح لها بإيجاد أراضي لتشييد التجهيزات الأساسية، أما السبب الثاني لعدم تطبيق مقتضيات تصميم التنمية القديم يتجلى في تدخل المصالح بين المجلس الجماعي والمنتخبين، حيث يتم منح رخص بناء حتى و إن كانت غير موافقة لشروط تصميم التنمية. هذا كله أفرز مجالا يتميز بالعشوائية من حيث التوسع حيث نجد توسعا حضريا سريعا وبجودة كبيرة من حيث شكل السكن لكن في مقابل ذلك هناك افتقار في جودة تنظيم هذا السكن حيث يفتقر لأدنى التجهيزات الضرورية خصوصا وأن ساكنة هذا المركز تعرف نموا سريعا (انتقل عدد سكان هذا المركز من 1232 نسمة سنة 2004 إلى 2188ن سنة 2004 بنسبة معدل نمو 5,91% ليصل عدد السكان سنة 2014 إلى 2585نسمة) وذلك مقابل تراجع معظم ساكنة الدواوير الأخرى المحيطة به.

3-الخلاصة

مر التوسع العمراني بمركزي بودينار وكرونة بثلاث مراحل أساسية، مرحلة ما قبل 1965 التي تميزت بكون السكن كان يحتل المواقع الجبلية والمواضع الدفاعية من أجل الحماية و مواجهة الأخطار، كما أن السكن في هذه الفترة كان يؤدي وظيفة إيواء الأسر و كذا الحيوانات التي يتم تربيتها ثم تجميع أدوات العمل الفلاحي أي أنه كان ذو وظيفة فلاحية صرفة، ويضم مرافق تقليدية و غير كثيرة تلبي حاجات كثيرة نظرا لتواضع إمكانيات الساكنة الاقتصادية، كما أن هذه المرحلة ارتبطت بوجود المعمر الإسباني الذي عمل على تحقيق مصالحه الاقتصادية دون تنمية المنطقة، هذه الفترة أفرزت لنا مرحلة تتميز بتوسع عمراني بطيء وسكن ريفي هش يعكس تواضع إمكانات الساكنة الاقتصادية. ثم مرحلة أخرى وهي مرحلة ما بين 1965 و2001 عرف فيها المشهد العمراني تحولا ملموسا هم عنصر السكن من حيث مورفولوجيته و شكله الداخلي و الخارجي وكذا مختلف تجهيزاته و مرافقه، وبدأت تتشكل النواة الأولى بهذه المراكز إذ أصبح السكن يضاهي نظيره في المجالات الحضرية ثم مرحلة أخرى ما بعد 2001 عرف التعمير خلالها تزايدا سريعا خاصة سنة 2011 إثر ما يعرف "بالربيع العربي" قد ارتبط هذا

التحول بالأساس بالهجرة الدولية و ما خلفتها من عائدات مالية مهمة ساهمت بشكل كبير في عملية التوسع، هذه العائدات التي امتصها قطاع البناء أكثر من أي قطاع آخر جعلت هذه المرحلة تعرف توسع عمراني سريع.

لكن هذا التوسع العمراني السريع لم تواكبه سياسة عمرانية حقيقية تقوم بتوجيه عملية التوسع وتقنينها وتوفر المرافق والتجهيزات الضرورية، هكذا فقد شهد المجال المدروس توسع عمراني عشوائي دون مراعاة مجموعة من الشروط الضرورية التي من شانها أن تحقق تنمية عمرانية حقيقية، فغياب وثائق التعمير بالجماعتين ساهم بشكل كبير في استمرارية عملية التوسع العشوائي.

وقد عرف السكن بمركزي بودينار وكرونة مجموعة من التحولات التي لم تكن سائدة من قبل ارتبطت بتحسن المستوى المعيشي للسكان وبغزو مجموعة من السلوكات الحضرية للمجال المدروس بثقافة دخيلة عن التراب المحلي، وذلك بانفتاح المنطقة عن المحيط الخارجي هذه التحولات التي أصبحت تتماشى و المستويات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة التي أصبحت عليها ساكنة المركزين و المهاجرين على حد سواء، تمثلت هذه التحولات في عمارة السكن و بنياته و تجهيزاته كتقلص نسب السكن الريفي الذي حلت محله الدور المغربية و كذا انتشار السكن الصلب و ذلك بتوفر مواد بناء حديثة، و سيادة الملكية الخاصة للسكن بعدما كان السكن الريفي يضم عدة أسر ، هذا بالإضافة إلى مجموعة من التحولات الأخرى التي همت المورفولوجية الداخلية من خلال تطور مجموعة من المرافق و التجهيزات التي أصبح يتوفر عليها السكن العصري.

قائمة المراجع

- بلال بوجي 2011، التوسع العمراني وإشكالية إعداد المجال داخل حوض بودينار، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة – المغرب ؛
- بوظيلب الحسين، 2010، الهجرة الدولية بالريف الشرقي و إنعكاساتها، مجلة أسيناك عدد مزدوج 4-5 ص 63-78 المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط – المغرب؛
- عبد العزيز أشرقي، 2009، الحكامة الجيدة الدولية-الوطنية-الجماعية و متطلبات الإدارة المواطنة، الطبعة الأولى، منشورات دار السلام الرباط - المغرب
- علال الزروالي، 2005، تحولات السكن الريفي بالريف الشرقي، منشورات مجموعة البحث الجغرافي حول جبال الريف بالمغرب سلسلة دراسات مجالية رقم 2، جامعة عبد المالك السعدي تطوان – المغرب؛
- محمد اليديمي 2009، التوسع الحضري لمدينة الناظور بين واقع الحال ووثائق التعمير باعتماد نظم المعلومات الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة – المغرب
- المصطفى اليزيدي 2004، التنمية وإعداد المجال الحضري: الجهة الشرقية بين حداثة التمدن وصعوبات التنمية بحث لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة – المغرب
- المصطفى شويكي، 1996، الدار البيضاء مقاربة سوسيو مجالية، سلسلة الأطروحات والرسائل:1 جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء؛
- H.ABASSI.1987, « essai sur la dynamique des milieux dans le bassin de boudinar (rif oriental, Maroc), thèse en vue du doctorat de l'université louis pasteure, centre d'études et de recherches eco-geographiques strasbourg1 – France

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد في ظل جائحة فيروس كورونا المستجد (COVID-19)

عبد السلام سالم مسعود البوسيفي

قسم السمع والنطق – كلية التقنية الطبية صرمان – جامعة صبراتة

z1843795@gmail.com

الملخص:-

يعتبر التعليم الإلكتروني من الأساليب التعليمية التي تحظى باهتمام العديد من المؤسسات التعليمية، لذلك عكف الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الجانب بدراسته ودراسة التحديات التي قد تواجهه وخصوصا في ظل جائحة كورونا، حيث قد يشكل هذا التغيير في نمط التعليم عقبة أمام التلاميذ والمعلمين، لذلك ومن هذا المنطلق قام الباحث بإجراء هذه الدراسة لتسليط الضوء أكثر على التعليم عن بعد، والتعرف أكثر على اتجاهات معلمي الطلبة الصم وضعاف السمع نحو هذا النمط من التعليم، حيث جرت هذه الدراسة على عينة من معلمي ذوي الإعاقة السمعية بلغت (75) معلم، وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدم الباحث عددا من الأساليب الإحصائية لبلوغ أهداف هذه الدراسة منها المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، والوزن النسبي، ومعامل الارتباط بيرسون، ومعامل الثبات ألفاكرونباخ، ومعامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية، واختبار(ت) واسفرت النتائج عن وجود اتجاهات إيجابية لدى أفراد عينة الدراسة تجاه التعليم عن بعد وبدرجة كبيرة، كما أسفرت نتائج الدراسة عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور/ إناث) كما يوصي الباحث بتأهيل المعلمين والقائمين على العملية التعليمة بشكل جيد على استخدام التقنيات التعليمية الحديثة، لمواكبة التطور الحاصل في العملية التعليمية، ومواجهة كافة التحديات والعراقيل التي قد تواجههم، كذلك اجراء العديد من الندوات والبرامج للتعريف بالتعليم عن بعد ومدى اهميته وخصوصاً في ظل الظروف الراهنة، كذلك تذليل كافة الصعوبات التي قد تواجه الطلبة ذوي الاعاقة السمعية، والمعلمين على حد سواء للوصول الى الأهداف المرسومة من العملية التعليمية، والاهتمام بكل ما يتعلق بالعملية التعليمية كالاتصالات والانترنت، كذلك العمل على توفير وسائل التكنولوجيا الحديثة من حواسيب وغيرها وبأسعار زهيدة .

الكلمات المفتاحية :- الاتجاهات – التعليم عن بعد – جائحة كورونا – الاعاقة السمعية .

Abstract :

E-learning is considered one of the educational methods that is of interest to many educational institutions, so many researchers and those interested in this aspect have been studying it and studying the challenges that may face it, especially in light of the Corona pandemic, as this change in the style of education may constitute an obstacle for students and teachers, so from this Starting point: The researcher conducted this study to shed more light on distance education, and to learn more about the attitudes of teachers of deaf and hard of hearing students towards this type of education. This study was conducted on a sample of teachers of people with

hearing disabilities, amounting to (75) male and female teachers, using the curriculum. Descriptive and analytical. The researcher also used a number of statistical methods to achieve the objectives of this study, including the arithmetic mean, the standard deviation, the relative weight, the Pearson correlation coefficient, the Alpha-Cronbach reliability coefficient, the reliability coefficient using the split-half method, and the t-test. The results resulted in positive trends among individuals. The study sample towards distance education to a large extent. The results of the study also resulted in the absence of statistically significant differences in the level of responses of the study sample members, which is due to the gender variable (males/females). The researcher also recommends that teachers and those in charge of the educational process be well qualified to use educational technologies. Modern, to keep pace with the development taking place in the educational process, and to confront all the challenges and obstacles that they may face, as well as conducting many seminars and programs to introduce distance education and the extent of its importance, especially in light of the current circumstances, as well as overcoming all the difficulties that students with hearing disabilities, and teachers alike, may face. Whether to reach the set goals of the educational process, and pay attention to everything related to the educational process, such as communications and the Internet, as well as working to provide modern technological means, such as computers and others, at low prices.

المقدمة :

مع انتشار فيروس كورونا (COVID – 19) الذي امتدت آثاره السلبية على مختلف جوانب الحياة، نجد أن التعليم لم يكن بمنأى عن تلك الآثار السلبية، بل ربما كان من اكثر القطاعات تضررا من هذه الجائحة، وهذا ما أكدته اودري ازولاي المديرة العامة لليونيسكو (2020) في تعليق لها على وضع التعليم في ظل جائحة كورونا، حيث قالت لم يسبق لنا ابدأ أن شهدنا هذا الحد من الاضطراب في مجال التعليم (الدهشان، 2020) فالتعليم كان من أكثر واوائل القطاعات حول العالم تضررا بهذا الوباء، حيث تم إغلاق العديد من المؤسسات التعليمية في نحو (177)دولة حول العالم والذي أثر بشكل مباشر على حوالي (1.3) مليار تلميذ أي حوالي(72.4%) من عدد التلاميذ الملتحقين بالمؤسسات التعليمية حول العالم، وذلك حسب إحصائية لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم(اليونيسكو 2020)، وفي ظل الظروف الراهنة وتداعياتها على حياة الفرد وعلى مختلف الأصعدة والمستويات، وما تبعها من آثار، اضطرت كثير من الدول حول العالم وخصوصا الدول العربية إلى التعليم الإلكتروني او التعليم عن بعد، لتفادي كل الأضرار الناجمة من هذا الوباء (حسن ،2020) حيث أحدثت التطورات الهائلة في مجالات تقنية المعلومات والاتصالات تحولات جذرية في جميع العمليات التعليمية، خاصة طرق التدريس، والتدريب، وظهور آليات واستراتيجيات حديثة في طرق اكتساب المعارف والمهارات، وأصبح بالإمكان توظيف تقنية المعلومات والاتصالات في حل الكثير من المعوقات والتحديات التي تواجه المؤسسات التربوية والتعليمية(ابن خدة، ٢٠١٥) ولذلك لزم على كل مجتمع السعي الحثيث لمواكبة التغيرات التقنية التي تسهم في الارتقاء بالعملية التعليمية، واستشراف مستقبل التعليم من خلال أساليبه التي واكبت التطور التقني ومن أهمها التعليم عن بعد(**Distance Learning**) الذي أتاح للمعلمين والمتعلمين الاندماج في البرامج العلمية والأكاديمية وفق قدراتهم وخصائصهم الشخصية (العرياني وآخرون، ٢٠٢٠) والذي يتميز أيضا بعدة خصائص جعلت منه أسلوباً فاعلاً إذا ما تم توظيفه بالشكل الأمثل، حيث يتطلب تفاعل ثلاثة عناصر رئيسة وهي: المعلم والتلميذ والمحتوى التعليمي، وذلك من خلال وسائل وأدوات تضمن تدفق المعلومات بين المعلم والتلميذ بيسر وسهولة عن بعد، ودون تواجد الطرفين في مكان واحد، حيث البعد في التعليم عن بعد نسبي، قد يحدث في المدينة الواحدة، أو بين طرفين كل منهما في دولة (الشرهان، ٢٠١٤) وفي وسط هذا الزخم الهائل من المستجدات الحديثة، تمثل تجربة التعليم عن بعد تحدي للطلبة والمعلمين الذين أصبحوا مضطرين للتعامل مع الصعوبات

والعقبات التي تعترضهم في التعليم عن بعد، ليصبح دور المعلم أكثر أهمية وأكثر صعوبة، حيث أنه هو المسؤول عن إدارة العملية التعليمية من حيث اختيار المادة العلمية، واختيار أنسب الأساليب لعرضها، إضافة إلى الإشراف على عملية جمع المعلومات التي يقوم بها الطلبة وتصنيفها وتحليلها ومتابعة الطلبة أثناء عملية التعليم (الشناق وآخرون، 2010) وإن كان هذا الأمر قد يمثل بعض الصعوبة لدى المعلمين، والطلاب ،والأطفال الأسوياء فكيف إذا بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة التي قد يشكل هذا التحول في نمط التعليم عقبة كبيرة في استمرار واستقرار العملية التعليمية لديهم.

ومما لا شك فيه اهمية جميع الحواس للإنسان ،ولكن تظل لحاسة السمع أهمية كبيرة، ففقدان هذه الحاسة تجعل من الفرد يعيش في عزلة عن عالمه ومجتمعه وبيئته المحيطة به (Gremp,2011.N.173,) لذا يتعرض التلاميذ المعاقين سمعيا لمشكلات كبيرة في التعليم الإلكتروني (لكزولى ، 2020 : 61-60) حيث نستطيع القول بأن الصعوبة الاكبر التي تواجه المعلمين هي في ان يتفهموا طبيعة المصابين بتلك الإعاقة، التي امثل عائقا وتحديا أمام تعلم هؤلاء الأطفال واستخدامهم لتكنولوجيا كبقية الأطفال الأسوياء (السلطاني وآخرون 2016) ، لهذا أجرى الباحث هذه الدراسة لتسليط الضوء بشكل أكبر على التعليم عن بعد والتعرف أكثر على اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد.

مشكلة الدراسة:-

يعيش العالم في العصر الحالي ثورة علمية وتكنولوجية كبيرة ولها تأثير كبير على جميع مناحي الحياة ،حيث تعرضت التربية خلال نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي الى تغيرات كبيرة واسعة مدفوعة بالتقدم العلمي السريع(ابوموسى، 2018) حيث باتت تلعب التكنولوجيا الحديثة دورا هاما في حياة الناس على مختلف الأصعدة والمستويات وخصوصا الأكاديمية منها والمهنية (Guillen& Fernandez,2020) وبما أن التربية نظام متكامل صمم لصنع الإنسان السوي كان لابد من تطوير التعليم ليكون قادرا على مواكبة تلك التحديات والتحولات، وبما ان الدول تقاس بمخرجاتها التعليمية نلاحظ بأن التعليم يواجه تحديات غير مسبوقة في مواكبة التطور وهذا ما يتطلب تغييراً جذرياً في عمليتي التعلم والتعليم وكل ما يتعلق بالعناصر المكونة لهم من معلم ومتعلم ومنهج تعليمي (أبو موسى، 2018) ونتيجة الظروف التي يعاني منها العالم بأكمله في الوقت الحالي والمتمثلة في انتشار فيروس كورونا ،والذي كان له الأثر البالغ على العملية التعليمية (Yulia ، 2020) حاولت الكثير من الدول حول العالم عدم إيقاف العملية التربوية والاستمرار في العملية التعليمية، لذلك اتجهت الكثير من هذه الدول للبحث عن استراتيجيات مختلفة للتعليم، من أجل الاستمرار في العملية التربوية، واتمام المقررات الدراسية، حيث تمثلت هذه الاستراتيجيات باستخدام جميع الوسائل المتوفرة والتكنولوجيا الحديثة لإيصال المعلومة بشكل جيد للطلاب، كمقاطع الفيديو، والدروس التعليمية، والمدونات، والتسجيلات الصوتية، والتي يمكن أن تتداول في الهواتف الذكية، وكذلك أنشاء مواقع ومنصات الكترونية خاصة للتعليم، والاستفادة من مزايا شبكات التواصل الاجتماعي، واستخدام قنوات الاذاعة والتلفزيون، كما إن بعض الدول قد وجهت وزارات التعليم فيها للتواصل مع الاهالي من أجل تزويدهم بإرشادات وتوجيهات عن كيفية التعليم بالمنزل (السعد،2019) حيث يعد التعليم عن بعد وسيلة فعالة وهادفة ومهمة للحصول على المعرفة والاكتشافات وقت حدوثها، وقد أصبحت المجتمعات التي لا توظف وسائل وإمكانات وطرائق التعليم عن بعد مجتمعات غير متطورة ويصعب عليها التعايش في هذا العصر المتلاطم بالأمواج المعلوماتية، ومن هذا المنطلق اهتم العالم بالتعليم عن بعد لما له من أهمية واضحة ومميزات عديدة، حتى أصبح محل اهتمام الحكومات والمؤسسات العالمية والإقليمية والدول المتقدمة والتي حرصت على إدخال نظام التعليم عن بعد في مؤسساتها التعليمية. (البيطار، ٢٠١٦) ولكن يعد تنفيذ التقنيات المبتكرة في المدرسة عملية معقدة تتطلب إنشاء تغيير منهجي تعليمي وتكنولوجي وإداري في ثقافة المدرسة، وهي عملية تفشل عادة في تلبية التوقعات العالية وإحداث التغيير المنهجي، وفي ضوء العديد

من الدراسات الحديثة التي أشارت إلى أن تصورات المعلمين واتجاهاتهم تلعب دورًا محوريا في نجاح أو فشل مشاريع تنفيذ التكنولوجيا، فلقد تغير دور المعلم الذي كان يعتمد على الأساليب التقليدية للتعليم، وهذا التغير جاء انعكاساً للتطور التكنولوجي، حيث أصبح المعلم والمتعلم كلاهما محورا عملية التعلم، فدور المعلم أو المربي يكمن في إرشاد المتعلم، وتحديد المكان الذي يستطيع فيه المتعلم الوصول إلى المعلومات وتقييمها بدلاً من أن يكون المعلم هو مصدر المعرفة (كليمان، ٢٠١٧،١٣) ليظل دور المعلم وان اختلفت طرق ووسائل التعليم محوريا في العملية التعليمية بل وأكثر أهمية من ذي قبل، فهو المسؤول عن إدارة العملية التربوية وذلك للوصول إلى أهدافها المرصودة، حيث تغير دور المعلم من مجرد ملقن للمعلومات إلى مسؤول عن إدارة العملية التعليمية وموجه لها، حيث يعمل التلاميذ بالبحث عن المعلومات بأنفسهم، والمعلم يقوم بدور الموجه لهؤلاء التلاميذ عن طريق استخدام التقنيات التعليمية الحديثة والتواصل معهم عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، إضافة إلى الإشراف على عملية جمع المعلومات التي يقوم بها الطلبة وتصنيفها وتحليلها وإعداد المادة العلمية وبرمجتها، واختيار الأساليب لعرضها، ومتابعة المتعلم أثناء عملية التعلم (الشناق وآخرون، 2010) ولقد شهدت الألفية الثالثة تحولات جوهرية في النظرة الفلسفة، والإجراءات التي تتخذها دول العالم ليس من أجل الاسوياء فحسب، بل حتى اتجاه الفئات المهمشة ومن بينهم الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة، ويُعد تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة باستخدام تقنيات المعلومات الإلكترونية مطلباً ملحاً لما تعانيه هذه الفئة من صعوبات سواء على مستوى البنية التحتية الإلكترونية أو نوعية الخدمات التي تتوافق مع متطلباتهم (الحفناوي، ٢٠١٤) وفي ظل التحديات التي تواجهها غالبية المؤسسات التعليمية وبعد ظهور جائحة كورونا التي احدثت تحولات كبيرة في مختلف المجالات بخاصة قطاع التعليم أصبح من الضروري أن يتوجه تعليم الطلبة الصم وضعاف السمع نحو التعليم عن بعد (الزكري، 2019) من اجل ضمان حصولهم على حق التعليم الملائم والمجاني الذي ضمنته لهم كافة القوانين والتشريعات (أبونيان، 2014) ونظرا للدور البارز الذي يلعبه المعلم في العملية التعليمية وفي تعليم وتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، عكف الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الجانب، على إجراء العديد من الدراسات التي تبحث في اتجاهات المعلمين والمدربين والمختصين نحو التعليم عن بعد، ومن تلك الدراسات دراسة شحاتة (٢٠٢١) والتي تهدف إلى التعرف على اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا، ودراسة العنزي وآخرون (٢٠٢١) التي تهدف إلى التعرف على واقع التعلم عن بعد في فنلندا ومجابهة أزمة كوفيد(١٩) والإفادة منها في دولة الكويت، ودراسة رياض الكريطي واخرون (٢٠١٤) التي تهدف إلى التعرف على واقع استخدام التقنيات التربوية في صفوف التربية الخاصة في محافظة بابل من وجهة نظر المعلمين والمعلمات، ودراسة العواملة وآخرون (٢٠١٧) التي تهدف إلى التعرف على واقع استخدام معلمي التربية الخاصة لوسائل تقنيات التعلم الإلكتروني، ودراسة Flanagan Bouck &Richardson التي تهدف الى التعرف على تصورات معلمي التربية الخاصة في المرحلة المتوسطة لمدى استخدامهم للتقنيات الحديثة في تعليم القراءة والكتابة لذوى الإعاقة، ودراسة Salah& Mohamed (2014) التي تهدف إلى التعرف على اتجاهات المختصين في مجال التربية الخاصة نحو التعليم الإلكتروني، و دراسة زين الدين (٢٠٢٠) التي تهدف إلى التعرف على اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو توظيف التكنولوجيا لتدريس ذوي الاحتياجات الخاصة في ظل جائحة كورونا، ومن هذا المنطلق قام الباحث بإجراء هذه الدراسة لتسليط الضوء بشكل أكبر على التعليم عن بعد والتعرف أكثر على اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحوه، وقد اطمئن الباحث لما استقر في نفسه من معلومات وملاحظات أيدت كلها أهمية هذه الدراسة التي أثبتت أن هناك حاجة ماسة للتعرف على آراء معلمي الصم وضعاف السمع في التعليم عن بعد واتجاهاتهم نحوه وذلك للدور البارز الذي يلعبه المعلم في العملية التعليمية وخصوصا لدى الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من فئة الصم وضعاف السمع .

أهداف الدراسة :-

حيث تهدف هذه الدراسة الى:

1. التعرف على اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد.
2. الكشف عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور/إناث) .
3. تسليط الضوء على دور المعلم في العملية التعليمية وخصوصا في ظل الظروف الراهنة وتداعياتها على الطالب وخصوصا على الجانب الأكاديمي.

أهمية الدراسة :

حيث تتمثل أهمية الدراسة في النقاط التالية:

-أصالة الدراسة حيث تعتبر هذه الدراسة من الدراسات القلائل ان لم تكن الأولى في بيئتنا المحلية التي تدرس وتهدف للتعرف على اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد في ظل الأزمات والجوائح الصحية(جائحة كورونا نموذجا) .

-تحسيس الرأي العام داخل المجتمع الليبي بأهمية التعليم عن بعد للطلاب بشكل عام وللطلاب ذوي الاعاقة السمعية بشكل خاص وذلك لما يلعبه التعليم عن بعد من دور هام في تخطي العديد من الصعوبات والأزمات التي قد تواجه الطالب والعملية التعليمية.

-إرساء قاعدة معرفية تنطلق على أساسها العديد من الدراسات التي تهدف الى دراسة التعليم عن بعد والمعوقات التي تواجه الطلاب الصم وضعاف السمع عند استخدامهم للوسائل التكنولوجية وطرق التواصل عن بعد وسبل حلحلتها.

-الوصول الى نتائج يمكن على أساسها تقديم عدد من التوصيات والمقترحات التي قد تساعد المسؤولين على هذه الفئة والقائمين على العملية التعليمية في التصدي لكل ما من شأنه الإضرار بالطالب وبالعملية التعليمية.

-رصد الواقع الميداني لاتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد .

تساؤلات الدراسة : -

وتتمثل تساؤلات الدراسة في التساؤلات الآتية:

-ما اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد في ظل جائحة فيروس كورونا المستجد؟

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور/ إناث)

حدود الدراسة :-

الحد المكاني : طبقت هذه الدراسة على عدد من معلمي ذوي الإعاقة السمعية في عدد من مراكز الصم ومراكز تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة.

الحد البشري : ويشتمل على (75) من معلمي ذوي الإعاقة السمعية.

الحد الزماني : أجريت هذه الدراسة خلال العام الدراسي 2023م .

الحد الموضوعي : اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد في ظل جائحة فيروس كورونا المستجد(COVID – 19).

مصطلحات الدراسة :-

الاتجاهات: هي مجموعة من استجابات القبول أو الرفض التي تتعلق بموضوع معين أو موقف ما يقبل المناقشة. (منسي، ١٩٩٠ ، ص: ٢٠٦)

التعريف الإجرائي للاتجاهات: هي آراء معلمي الصم وضعاف السمع تجاه التعليم عن بعد.

التعليم عن بعد: هو طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب آلي وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت ،وصورة ،ورسومات وآليات بحث ومكتبات الكترونية، وكذلك بوابات الانترنت عن بعد وهو أسلوب تعليم يستخدم التقنية بجميع أنواعها في ايصال المعلومة بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة (الموسى، 2002، ص: 6)

التعريف الإجرائي للتعليم عن بعد : هو أحد أنماط التعليم والذي يعتبر حديثاً نوعاً ما ولا يعتمد على وجود المعلم والمتعلم في نفس الوقت والمكان وهذا ما يميز هذا النمط من التعليم، وتعتمد هذه الطريقة من التعليم على استخدام أساليب وآليات الاتصال الحديثة من حاسوب وانترنت وغيرها من أساليب التواصل الحديثة.

جائحة كورونا : هي فيروسات من سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان ومن المعروف ان عددا من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة الى الأمراض الأشد صعوبة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة(سارس) ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخراً مرض كوفيد – 19 الذي يؤثر بشكل كبير على رئة الانسان (رمضان، 2020)

التعريف الاجرائي لجائحة كورونا : هي جائحة عالمية مستمرة الى الآن بدأت من عام 2019 سببها فيروس كورونا، حيث أعلن عن ظهور هذا المرض ظهر المرض في البداية في الصين في مدينة ووهان وفي 30 يناير أعلنت على أثر ذلك منظمة الصحة العالمية تفشي هذا الفيروس وفي 11 مارس أعلنت منظمة الصحة العالمية الى تحول هذا الفيروس الى جائحة عالمية .

الإعاقة السمعية : هي أي نوع أو درجة من الفقدان السمعي والتي تصنف ضمن بسيط ، متوسط ، شديد جداً(الزريقات ، 2003، ص:56) .

التعريف الإجرائي للإعاقة السمعية : هي حرمان الفرد من حاسة السمع، وقد يكون هذا الحرمان منذ الولادة أو مكتسباً أو نتيجة لحادث ما، مما يسبب فقدان القدرة على الكلام بشكل جزئي أو فقدان القدرة على الكلام كلياً.

الاطار النظري:

الاتجاهات:

تمثل الاتجاهات احدى العناصر المهمة التي يسعى المختصون لها خاصة في ميدان التربية الخاصة للتعرف إليها وذلك بسبب ما تمثله من أهمية ينعكس أثرها على الاستقرار النفسي، والاجتماعي، والانفعالي للمعوقين من جهة وعلى تخطيط برامجهم التربوية والخدمات المقدمة لهم من جهة أخرى (السرطاوي، ١٩٨٨) ويعتبر علماء النفس أن مصطلح الاتجاهات من أبرز المفاهيم التي لا غنى عنها في مجال علم النفس المعاصر، وليس ثمة مصطلح واحد يفوقه في عدد المرات التي استخدم فيها في الدراسات، فقد كانت طبيعة الاتجاهات، ووظيفتها موضع الاهتمام الرئيسي لعلماء النفس الاجتماعيين على مر السنين لأنها معقدة ومثيرة للاهتمام

ولها دلالة اجتماعية مهمة (همشري، ٢٠٠٣). ومن خلال نمو الفرد يتكون لديه اتجاهات نحو الأفراد، والجماعات، والمؤسسات، والمواقف الاجتماعية، والحقيقة أن كل ما يقع في المجال البيئي للفرد يمكن أن يكون موضوع اتجاه من اتجاهاته، مثال ذلك:

الدين، الزواج المبكر، الزواج من امرأة تعمل، تنظيم النسل إلى غير ذلك من الأمور، ولهذا تعتبر الاتجاهات من أهم محركات السلوك الإنساني، ومؤشر مهم من مؤشرات نمو الشخصية (حبيب، ٢٠٠٦).

تعريف الاتجاهات:

تعرف الاتجاهات بأنها: استعداد نفسي أو تهيؤ عقلي عصبي قابل للاستجابة الموجبة أو السالبة نحو أشخاص أو موضوعات أو مواقف أو رموز في البيئة التي تستثير هذه الاستجابة(سمارة وآخرون، 2008).

أهمية دراسة الاتجاهات:

أشار همشري (2003) إلى أهمية دراسة الاتجاهات إذ تعد من أهم نواتج عملية التنشئة الاجتماعية، إذ تتكون لدى كل فرد، وبالتالي تلعب الاتجاهات دورا هاما في تحديد سلوكنا، فهي تؤثر في أحكامنا وإدراكنا للآخرين، وهي تؤثر على سرعة وكفاءة تعلمنا، وهي تساعد في تحديد الجماعات التي نرتبط بها، والمهن التي نختارها، بل وحتى الفلسفة التي نعيش بها، كما إنها تعمل على إشباع كثير من الدوافع والحاجات النفسية والاجتماعية لدى الفرد.(همشري،2003)

أنواع الاتجاهات:

تتأثر اتجاهات الفرد بالبيئة التي يعيش فيها، فقد أكدت إيفانس **Evans (1972)** على الظروف البيئية، وجوانب الاتجاه الذي يحمله الفرد، وذكرت أن الاتجاه يظهر تبعا للظروف المحيطة بالفرد، ويكون سلوك الفرد ناتجا عن ذلك الاتجاه، حيث اتفق رايت (**Wright**١٩٧٣) مع إيفانس في هذا الصدد، وأشار الى أن الاتجاه هو حصيلة خبرة الفرد، وشخصيته، وعمره الزمني، كما وجد كيلمن **Kelman** (١٩٧٤) أن هناك علاقة وثيقة بين الاتجاهات التي يحملها الفرد وبين سلوكه.(همشري، 2003).

وظيفة الاتجاهات:

تؤدي الاتجاهات مجموعة من الوظائف النفسية المختلفة التي تسهل للمعلم القدرة على التعامل مع المواقف التعليمية المدرسية المختلفة، ذلك لأنها تحول أنماط السلوك التي يقوم بها المعلم تجاه وظيفته إلى عادات، وتتباين هذه العادات من معلم إلى آخر، أو حتى في المعلم نفسه من عادة إلى أخرى، وتصنف هذه العادات إلى معقدة أو بسيطة، نافعة أو ضاره، شعورية أو لاشعورية، طبيعية أو شاذة، اجتماعية أو غير اجتماعية، أخلاقية أو لا أخلاقية، مرضية أو غير مرضية(المخزومي، ١٩٩٥) إذ تعمل الاتجاهات على توسيع التفكير والمعرفة لدى المعلم من خلال البحث عن المعلومات والمعارف التي تساعده على مواجهة المشكلات والمواقف التعليمية المختلفة، فالسعي وراء معاني الأشياء، والحاجة للفهم، والنزعة إلى تحسين الإدراك، والمعتقدات، والشعور بالاضطراد جميعها أوصاف لهذه الوظيفة (همشري، ٢٠٠٣).

الإعاقة السمعية :

نسبة انتشار الإعاقة السمعية:

حيث أشارت الدراسات في الدول الغربية إلى أن حوالى (٥%) من طلاب المدارس لديهم ضعف سمعي إلا أن هذا الضعف لا يصل مستوى الإعاقة، أما بالنسبة للضعف السمعي الذي يمكن اعتباره إعاقة سمعية فتقدر نسبة انتشاره بحوالي (٠,٥٪) وتقدر نسبة انتشار الصمم بحوالي (٠,٧٥٪)، أما فيما يتعلق بالإعاقة السمعية في الدول النامية لا يستطيع أحد أن يقدم معلومات دقيقة عن أعداد الأطفال المعاقين سمعيا في الدول النامية، فقد أشارت بعض التقارير إلى أن نسبة حدوث الإعاقة السمعية بمستوياتها المختلفة قد تزيد عن (٥٪) بل وقد تصل إلى (١٠٪) في بعض الدول النامية (الخطيب، 1998) أما في الدول العربية

فإنه لا توجد إحصاءات دقيقة وشاملة عن انتشار الإعاقة السمعية وتجاهل هذه الإحصاءات في معظم هذه الدول يدل على أن مشكلة الإعاقة السمعية لم تطرح نفسها كقضية اجتماعية تستحق التعامل معها على أساس من التخطيط الجيد لها لمواجهتها مواجهة بشكل علمي، وإنما تواجه الان بأسلوب جزئي.(عبد الواحد ، 2001).

أنواع الإعاقات السمعية:

1-الإعاقة الضعيفة : لا يستطيع الأطفال الذين يعانون من صعوبة سمع طفيفة من سماع الأصوات الخافتة أو البعيدة مع عدم وجود صعوبات في التعلم و من الضروري الانتباه إلى تطوير مفرداته، وتوفير مقاعد وإضاءة جيدة في الفصول تساهم في تحسين العلم وقد يستفيد الأطفال من تعلم الشفاه وقد يحتاجون إلى تصحيح الكلام.

2- **الإعاقة المتوسطة** : يفهم الأطفال الذين يعانون من صعوبة سمع متوسطة أحاديث الآخرين عندما يكونون وجها لوجه على مسافة قريبة تقدر بثلاثة إلى خمسة أقدام، أما إذا الكلام خافتا أو ليس في مستوى نظرهم فقد يفقدون خمسون في المائة من فهم الحوار مع العلم أن مفرداتهم محدودة ومصاحبة باضطراب في كلامهم.

3- **الإعاقة الملحوظة** : لابد من التحدث مع الاطفال من هذه الفئة بصوت مرتفع لكي يستوعبوه هؤلاء الأطفال الذين يعانون صعوبة واضحة في الكلام، و اللغة الاستقبالية، والتعبيرية.

4- **الإعاقة الشديدة** : يسمع الاطفال من هذه الفئة الأصوات العالية التي تبعد قدما واحدا عنهم، وقد يتعرفون على اصوات البيئة من حولهم، ويمتازون ببعض الأصوات العالية في اللغة والكلام.

5- **الإعاقة التامة** : قد يسمع الاطفال من هذه الفئة بعض الأصوات العالية، ولكنهم في الحقيقة يدركون اهتزاز الصوت أكثر من معرفته، ويعتمدون على قدراتهم البصرية عوضا على القدرات السمعية للتواصل مع الآخرين.(فتحي ، 1990)

تصنيف الإعاقة السمعية :

يمكن تصنيف الإعاقة السمعية بحسب:

أولاً : من حيث العمر عند الإصابة، ويمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1. إعاقة سمعية ولادية congenital بمعنى أن الفرد قد يولد وهو ضعيف السمع منذ لحظة ولادته الأولى.
2. إعاقة سمعية ما قبل تعلم اللغة prelingual أي أن الإعاقة التي تحدث عند الفرد قبل تعلم اللغة واكتسابها، أي ما قبل سن الثالثة من العمر، ويتميز أفراد هذه الفئة بعدم القدرة على الكلام لأنهم لم يتمكنوا من سماع اللغة.
3. إعاقة سمعية بعد تعلم اللغة: وهي تشمل الأفراد الذين أصيبوا بها بعد تطور الكلام واللغة لديهم.
4. إعاقة سمعية مكتسبة: وتشمل الأفراد الذين فقدوا حاسة السمع بعد الولادة، وفقدوا قدرتهم اللغوية التي كانت قد تطورت لديهم، إذا لم تقدم لهم خدمات تأهيلية خاصة. (العزة ، 2001)

ثانيا: من حيث موقع الإصابة:.

الإعاقة السمعية التوصيلية Conductive) Hearing Loss) : تنتج الإعاقة السمعية التوصيلية عند أي اضطراب في الأذن الخارجية أو الوسطى، وذلك لأنه يمنع الموجات أو الطاقة الصوتية إلى الأذن الداخلية، لذلك فالحد الأقصى للضعف السمعي الناتج عن الإعاقة السمعية التوصيلية هو (60) ديسيل، لأن الأصوات السمعية التي تزيد شدتها عن (60) ديسبل تؤثر على القوقعة مباشرة، وتتخطى الأذن الوسطى. (الخطيب، 1998) ولكي تمنع حدوث مثل هذا الصمم يمكن علاجه طبياً وجراحياً،

والإهمال في العلاج المبكر يؤدى إلى التهابات في الإذن الوسطى، تؤدى إلى الصمم العصبي نتيجة انتشارها في الأذن الداخلية أو المخ .(عبيد، 2000، ص: 26)

الإعاقة السمعية الحسية العصبية (sensorineural Hearing loss) :

وتشير إلى الإعاقة السمعية الناتجة عن خلل في الأذن الداخلية أو العصب السمعي (أبو النصر، 2005) ومن الصفات المميزة للضعف السمعي الحسي العصبي الناجم عن اضطرابات القوقعة :

الصفة الأولى : اضطرابات نغمات الصوت (Diplacucis) حيث تكون النغمة ذات الذبذبات المتشابهة ترددات مختلفة بشكل ملحوظ في كل أذن.

الصفة الثانية: هي ازدياد شدة الصوت بشكل غير طبيعي وغير منسجم مع الزيادة الحقيقة في شدته.

ومن الصفات الأخرى لهذا النوع من الضعف السمعي هو أن الشخص يجب أن يتكلم بصوت مرتفع نسبياً ليسمع نفسه مما يجعله يتكلم مع الآخرين بصوت عال. (الخطيب، 1998) .

الإعاقة السمعية المركزية:

وتكمن المشكلة في التفسير الخاطئ لما يسمعه الإنسان، بالرغم من أن حاسة السمع قد تكون طبيعية، والمشكلة تكون في توصيل السيالات العصبية من جدع الدماغ إلى القشرة السمعية الموجودة في الفص الصدغي في الدماغ، وذلك نتيجة وجود أورام أو تلف دماغي، والمعينات السمعية في هذا النوع تكون ذات فائدة محدودة. (العزة، 2001)

ثالثا : من حيث شدة فقدان السمع:

وهذا النوع يتحدد حسب درجة الإعاقة لدى الشخص المعاق، وفي ضوء درجة ضعف حاسة السمع لدى الشخص يمكن تصنيف هذه الإعاقة إلى فئات خمس وهي:

-الإعاقة السمعية البسيطة جدا:

ويتراوح الفقدان السمعي ما بين (27) - (40) ديسيل، وأهم ما يميز هذه الإعاقة لدى صاحبها صعوبة سماع الكلام الخافت أو عن بعد، أو تمييز بعض الأصوات، ولا يواجه الفرد صعوبات تذكر في المدرسة، وقد يستفيد من المعينات السمعية والبرامج العلاجية .(العزة، 2001)

-الإعاقة السمعية البسيطة:

ويتراوح شدة الفقدان السمعي بين (41) - (55) ديسبل، ونجد ان الأشخاص الذين لديهم هذا المستوى من الفقدان السمعي لا يسمعون جيداً إلا إذا كان الصوت عاليا. (كمال، 2007، ص: 127)

-إعاقة سمعية متوسطة:

ويتراوح فيها الفقدان السمعي لدى الشخص المعاق بين(56 - 70) ديسيل، ولا يستطيع الشخص فهم المحادثة إلا إذا كانت بصوت عال، ويواجه صعوبات كبيرة في المناقشات الصفية الجميلة، وقد يعاني من اضطرابات كلامية ولغوية، وقد تكون الذخيرة اللفظية محدودة. (الخطيب، 1998)

-الإعاقة السمعية الشديدة:

ويتراوح فقدان السمع في هذه الحالة بين (71 - 90) ديسبل، وصاحب هذه الإعاقة لا يستطيع سماع حتى الأصوات العالية، ويعاني من اضطرابات في الكلام واللغة، ويحول دون تطور اللغة لدى الطفل إذا كان عنده منذ السنة الأولى، ويحتاج الطفل إلى مدرسة خاصة بالمعاقين سمعياً، وليتدرب على السمع وقراءة الشفاء ويكون بحاجة إلى سماعة طبية، إن صاحب هذه الإعاقة يعتمد على حاسة البصر. (العزة، 2001)

-الإعاقة السمعية الشديدة جدا:

وفيها يتراوح الفقدان السمعي لدى الشخص المعاق أكثر من 90 ديسبل. (أبو النصر، 2005) وهذا النوع يشكل إعاقة شديدة، حيث أن الشخص قد لا يستطيع أن يسمع سوى بعض الأصوات العالية، فهو يعتمد على حاسة البعد أكثر من السمع، ويكون لديه ضعف واضح في الكلام واللغة، وهو يحتاج إلى دوام كامل في مدرسة للأشخاص الصم تكون مزودة بالوسائل الخاصة، وتستخدم أساليب خاصة لتطوير الكلام واللغة وتوظيف طرق التواصل اليدوي والتدريب السمعي. (الخطيب، 1998)

العوامل المؤثرة في أنشطة المعاقين سمعياً:

ومن تلك العوامل ما يلي :-

مهارات التواصل : حيث إن سلوك التواصل للشخص المعاق سمعياً يعتمد بدرجة كبيرة على حاجات التواصل وقدرتهم على التفاعل مع البيئة المحيطة.

الظروف النفسية الاجتماعية : حيث إن المظاهر الاجتماعية والنفسية للتكيف الشخصي تؤثر على التواصل والتفاعل مع الآخرين، ووجود مظاهر لا تكيفية تحرم الشخص المعاق سمعيا من أنواع العلاقات الاجتماعية والأهداف المهنية التي تعطي معنى للحياة. (الزريقات، 2009)

مشكلات التدريب والتأهيل: وهي تتمثل في صعوبة وجود فرص التوجيه المهني المناسب، والتدريب على مهنة تناسب ظروف الإعاقة وتلقي القبول من ذوي الإعاقة السمعية، خاصة أن ذوي الإعاقة يصعب عليهم الحركة وحيدين، ويتطلب الأمر تدريب كاف في مؤسسة تتوفر فيها الشروط المناسبة من كفاءة مهنية، وقرب المكان لسهولة الوصول إليها. (أبو النصر ، 2005)

خصائص المعاقين سمعيا :

يختلف الطلاب ذوى الإعاقة السمعية عن بعضهم البعض في بعض الخصائص؛ نظرًا لاختلاف شدة الإعاقة السمعية، وهناك مجموعة من الخصائص المشتركة لهؤلاء الطلاب المعاقين سمعياً وهى :

-**الخصائص اللغوية:** يعتبر تطور اللغة أمراً هاماً بالنسبة للأطفال المعاقين سمعياً، ويحتاج الأطفال إلى تطوير لغتهم ما أمكن بهدف الوصول إلى النمو المناسب (صديق، 2001، ص: 256) وأي تأخير في النمو اللغوي للطفل سوف يظهر ذلك في المراحل المتأخرة من العمر، ويتأثر الأطفال المعاقون سمعياً بمدى التدريب المبكر، ونوعه، ومتى استخدمت المضخمات الصوتية، والعوامل الذكائية، والانفعالية، والبصرية، وفقدان الدعم الأسري، والثقافي، والعمر عند التشخيص، وخدمات التدخل.(Silvestre،2007)

وأشارت (أسماء ، ٢٠٠٩) أن من خصائص المعاقين سمعيا ما يلى:

-**الشخصية والنضج والتكيف الاجتماعي لدى المعوقين سمعيا:** اهتم الباحثون بدراسة خصائص المعوقين سمعيا واستعداداتهم العقلية، واللغوية، والشخصية، والتحصيلية الأكاديمية، وحظى جانب الشخصية بنصيب وافر من دراساتهم، وقد أسفرت النتائج على أن أطفال الصم الذين يتعلمون بالطريقة الشفوية كانوا أكثر توافقا اجتماعيًا من أقرانهم الذين يستخدمون طريقة الإشارة، وأن الأطفال الصم الذين ينتمون إلى أسر ليس بها أطفال صم آخرون كانوا أقل توافقا من نظرائهم الذين توجد في أسرهم حالات صمم أخرى.

-**الخصائص العقلية:** كشفت نتائج البحوث المبكرة التي استخدمت اختبارات ذكاء شفوية أو لفظية عدة خصائص للمعاق منها وجود فروق في مستوى الذكاء بين الصم والعاديين، وقد رأى بعض الباحثين مثل هذه الاختبارات غير ملائمة لقياس ذكاء الصم وأن معدل ذكائهم وإن كان ينخفض عن معدل ذكاء العاديين فإن أدائهم يتحسن ويصل إلى المستوى العادي على الجزء العملي والذى لا يستلزم مستوى عاليًا من المهارات اللغوية.

-**التحصيل الأكاديمي:** يتأثر أداء الأطفال المعوقين سمعيًا بشكل سلبي في مجالات التحصيل الأكاديمي، كالقراءة والعلوم والحساب نتيجة تأخر نموهم اللغوي وتواضع مقدراتهم اللغوية إضافة إلى تدنى مستوى دافعيتهم، وعدم ملائمة طرق التدريس المتبعة، ويبدو ذلك واضحًا في الانخفاض الملحوظ في معدل التحصيل القرائي خاصة.

طريقة الوقاية من الاعاقة السمعية:

وتتمثل طرق الوقاية في :-

- الوقاية من الصمم الوراثي بعدم تشجيع زواج الاقارب، كذلك سن تشريعات تمنع الزواج من المرضى الذين يؤدي زواجهم إلى ولادة الأطفال المعوقين.

- العناية بصحة الام الحامل ووقايتها من الأمراض والعوارض وامتناعها عن تناول العقاقير الضارة، و المخدرات، والمسكرات، وتوفير التغذية الضرورية لها، واتخاذ الاجراءات الحديثة لمعالجة تنافر فصائل الدم بين الوالدين، والعناية في الولادة العسرة، واتباع الطرق الصحيحة لتجنب كل ما يعرض الوليد للشدة والاختناق عند المحاولة لانقاد ألام.

- الوقاية من أمراض الطفولة بالتحصين ضد الأمراض باللقاح اللازم.

- معالجة امراض الادن والامراض التي لها أثر سيء على الادن والسمع بوقت مبكر.

- وقاية السمع من التعرض الى الانفجارات والضجيج الذي يكون متواصل اثناء العمل اليومي.

- عدم الافراط في التدخين والكحوليات والامتناع عن تناولها.

- التشخيص المبكر لأعراض الادن و اكتشاف الحالات التي تؤدي الى فقدان السمع وحالات الصمم بالمسح لسمع الطلاب والاطفال بصورة عامة .

- توعية الاباء وتوجيه المعلمين لاكتشاف حالات ضعف السمع أو الصمم بين الاطفال.

- توفير العلاج اللازم في الأدوار المبكرة للإصابة بأمراض الادن. (عبيد، 2000، ص: 26)

التعليم عن بعد:

تعريفه : هو طريقة يتلقى بها الطلاب علومهم بالإفادة من تجهيزات بعيدة عنهم حيث تكون في مدينة أو ربما دولة أخرى ويستفيد الطلاب من هذه التجهيزات ويتلقون دروسهم باستخدام الاتصالات المختلفة (إدريس ،2019) .

خصائص التعليم عن بعد:

-التباعد بين المعلم والمتعلم في عملية التدريس من حيث الزمان والمكان مما يؤدي الى تحرير الدارسين من القيود مقارنة بنظم التعليم التقليدية.

-استخدام الوسائط المتعددة للاتصال.

-حرية المتعلم في اختيار الوقت المناسب للتسجيل واختيار البرامج التعليمية والخروج بما يتناسب مع الظروف المحيطة به.

-الاعتماد في التعليم عن بعد على اعداد المواد التعليمية بشكل مسبق وفقاً للمعايير التي تتفق مع طبيعة هذا النمط من التعليم.(رمضان، 2020)

أنواع التعليم عن بعد :

أولاً – التعليم عن بعد المتزامن: هو التعليم على الهواء مباشرة ويجمع المعلم والطالب في ذات الوقت ويحتاج الى وجود المعلمين أمام الأجهزة ويتميز بالعديد من الإيجابيات والسلبيات نعرضها فيما يلي:

1-إيجابيات التعليم المتزامن:

تقليل التكلفة على الطلاب / توفير الوقت والجهد / حصول الطلاب على تغذية راجعة فورية من خلال التلقي المتزامن (حسين، 2020، ص:21)

2-سلبيات التعليم المتزامن:

-لابد من توفر أجهزة حديثة مع وجود شبكة اتصال سريعة وجيدة / التقيد بمواعيد محددة /

يوفر النظام مرونة أقل للطلاب حيث يلتزم الطالب بجدول معين للحصص التعليمية(حسين، 2020، ص:21)

ثانياً : التعليم عن بعد غير المتزامن: هو التعليم غير المباشر والذي لا يتطلب وجود الطلاب في ذات الوقت مع المعلمين مثل الحصول على الخبرات من الأقراص المدمجة أو من المواقع التي يتم تقديمها من أجل استخدامها في التعليم ويتميز بعدد من الايجابيات والسلبيات نعرضها فيما يلي:

1) **ايجابيات التعليم غير المتزامن:**

حصول الطلاب على الدراسة في أي وقت يجدونه ملائماً لهم / إعطاء الفرصة للمعلمين والطلاب من أجل أخذ حيطتهم في التعامل غير المباشر فيمكن تعديل الأخطاء وتلافيها في الأوقات المختلفة / حصول الطلاب على تغذية راجعة فورية.

2) **سلبيات التعليم غير المتزامن :**

زيادة العزلة وعدم التفاعل الاجتماعي بين الطلاب والمعلمين.

عدم القدرة في الحصول على التغذية الراجعة الفورية من المعلمين(حسين، 2020، ص:21)

مبررات التعليم عن بعد:

- استجابة هذا النمط من التعليم لعدد من المبادئ مثل الدافعية للتعلم والمرونة في بيئة التعليم ومراعاة اساليب التعليم وطرقه في ظل التطور المعرفي وثورة المعلومات التي يشهدها العالم .
- تجاوز نمط التعليم عن بعد للكثير من العوائق التي تحد من امكانيات الالتحاق بالتعليم النظامي ومنها ضرورة الانتظام في الدراسة ومكانها ومتطلبات القبول والعمر وأنظمة التقييم.
- قصور العديد من المؤسسات التعليمية التقليدية لاستيعاب الطلاب لمواصلة تعليمهم. (خلاف، 2015)

أهداف التعليم عن بعد:

1. خلق بيئة تعليمية من خلال تقنيات إلكترونية جديدة ومتنوعة في مصادر المعلومات والخبرات.
2. تزويد المتعلمين بالمهارات والكفاءات اللازمة لاستخدام ثقافة الاتصال والمعلومات
3. نمذجة وتقديم التعليم في شكل معياري .
4. توسيع دائرة المتعلمين من خلال الشبكات العالمية والمحلية وليس مجرد التدريس كمصدر وحيد للمعرفة.
5. دعم عملية التفاعل بين المتعلمين والاساتذة والمدرسين من خلال تبادل الخبرات التعليمية والآراء والمناقشات والحوارات التي تهدف الى استخدام قنوات الاتصال المختلفة.
6. إنشاء شبكات تعليمية لتنظيم وإدارة عمل المنظمات التعليمية.
7. إعداد جيل من الخريجين القادرين على التعامل مع الثقافة ومهارات العصر وتطوراتها الهائلة .(اليمين، 2019)

فوائد استخدام التعليم عن بعد:

1) إمكانية الاتصال بين الطلبة فيما بينهم وبين الطلبة والمدرسة والمساهمة في بيان وجهات النظر المختلفة والاحساس بالمساواة وسهولة الوصول الى المعلم .
2) اختصار الوقت والجهد وتوفير المحتوى العلمي للجميع وتحديثه بشكل مستمر وتخفيض الضغوط والأعباء الإدارية الملقاة على عاتق المعلم مما يزيد من قدرات المعلم والمتعلم في تعاملهم مع التكنولوجيا الحديثة.
3) إمكانية ربط المدارس والجامعات داخلياً وخارجياً بشبكة تتيح الوصول للمناهج التعليمية بيسر وسهولة توفير التكاليف والتحديث الفوري للمقررات والتغذية الراجعة الفورية وإمكانية التقويم المباشر. (اليمين، 2019)

معيقات التعليم عن بعد :

-هناك معيقات تتعلق بالطلبة كأن لا يكون هذا الاسلوب في التعليم هو الأسلوب الغير مرغوب لديهم لكن ظروفهم لم تمكنهم من الالتحاق بالتعليم التقليدي .

- سرعة التغيير التكنولوجي في التقنيات والبرامج والأجهزة وصعوبة التأقلم والتدريب عليها (ISLAM . et . al . 2015) ومن المعيقات أيضاً ما يتعلق بتوفر الموارد المالية اللازمة كذلك ضمان استمرارية هذه الموارد وضمان تأهيل وتدريب أعضاء هيئة التدريس والطلبة وكل من له دور في استخدام اسلوب التعليم عن بعد وتطوير المناهج والاساليب والانماط والاستراتيجيات التدريسية بصورة تفاعلية باستمرار يترتب عليه تكاليف باهظة إضافة للتكلفة المترتبة على تقنيات المعلومات والاتصالات وعلى تصميم وانتاج البرامج التعليمية الحاسوبية والفيديوية (Madani , 2007) .

طرق واساليب تقديم المادة الدراسية في التعليم عن بعد:

1- **المؤتمرات المرئية** : يستطيع من خلاله الدارسون مشاهدة وسماع المدرس وتوجيه الأسئلة والتقليل معه مثال (Video conferences) .

2- **الصف الافتراضي** : من خلال غرفة الكترونية مرتبطة بصفوف يتواجد بها الطلاب ويرتبطون مع بعضهم ومع المحاضر من خلال صوت وصورة مثال" المنصة التعليمية. "

3- **شبكة الاتصالات والمعلومات الانترنت:** (والتي تستخدم كآلة تواصل سريعة ومضمونة للوسائط التعليمية)(عبد القادر،2021)

جائحة كورونا:

تعريف جائحة كورونا : هي فيروسات من سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والانسان ومن المعروف ان عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة الى الامراض الاشد صعوبة مثل متلازمة الشرق الاوسط التنفسية(ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة(سارس) ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخراً مرض كوفيد 19-الذي يؤثر بشكل كبير على رئة الإنسان. (رمضان، 2020)

الدراسات السابقة:

دراسة(Flanagan Bouck &Richardson, 2013):

حيث تهدف هذه الدراسة الى التعرف على تصورات معلمي التربية الخاصة في المرحلة المتوسطة لمدى استخدامهم للتقنيات الحديثة في تعليم القراءة والكتابة لذوى الإعاقة، واستخدمت الدراسة المنهج المسحي لذلك، بعينة بلغت(١٦٦) معلم من معلمي التربية الخاصة، كما استخدمت الدراسة الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، واسفرت نتائج هذه الدراسة عن ان استخدام التقنيات الحديثة كان له دو فعال في تحسين مهارات القراءة والكتابة، ولكن كانت هناك بعض التحديات تمثلت في التكلفة المالية، وعدم الحصول على الدورات التدريبية للتعامل مع التقنيات الحديثة.

دراسة الكريطي وآخرون(٢٠١٤):

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع استخدام التقنيات التربوية في صفوف التربية الخاصة في محافظة بابل من وجهة نظر المعلمين والمعلمات، كما استخدمت الدراسة الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (٣٩) معلماً ومعلمة من معلمي التربية الخاصة في مركز محافظة بابل، واسفرت نتائج هذه الدراسة إلى بعض التحديات التي تواجه المعلمين في استخدام التقنيات التعليمية الحديثة منها : عدم توافر بعض التقنيات التربوية داخل المدارس، و ضعف القدرة على إنتاج التقنيات التربوية، مع عدم قدرة بعض معلمي التربية الخاصة على توظيف التقنيات التربوية في عملية التعليم، وعدم صيانة التقنيات التربوية الموجودة داخل المدرسة.

دراسة (Ndibalema,2014) :

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات المعلمين تجاه استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة تربوية في المدارس الثانوية في تنزانيا، كما استخدمت الدراسة الاستبانة والمقابلة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت (٨٠) معلما، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن وجود اتجاهات إيجابية تجاه استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة تربوية، ولكنهم لم يدمجوها في تعليمهم بشكل فعال، كما وجد أن ضعف المعرفة باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة تربوية بين المعلمين يمثل مشكلة، ويبدو أن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة تربوية في تنزانيا يمثل حالة حرجة بين المعلمين.

دراسة (Salah& Mohamed ,2014):

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات المختصين في مجال التربية الخاصة نحو التعليم الإلكتروني لدى (٩٨) من العاملين في مجال الأطفال ذوي الإعاقة، و(٦٠) معلما، و (١٨) معلما يعملون في مجالات متنوعة و(١١) معلم ظل، و(٩) عاملين

اجتماعيين، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وأسفرت نتائج هذه الدراسة إلى أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات أفراد عينة الدراسة تجاه مقررات التعليم الإلكتروني، كما أن هناك ارتباط ذا دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين حواجز تطبيق التعلم الإلكتروني واتجاهاتهم نحو التعليم الإلكتروني لذوي الاحتياجات الخاصة.

دراسة العواملة وآخرون (٢٠١٧) :

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع استخدام معلمي التربية الخاصة لوسائل تقنيات التعليم الإلكتروني، والتعرف على الفروق في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة تبعا للمتغيرات الآتية: (الجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة، ونوع الإعاقة، بعينة بلغت (١٢٣) معلم ومعلمة، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن وجود فروق في الاتجاهات لصالح الإناث، ولصالح معلمي صعوبات التعلم ووجود فروق لصالح سنوات الخبرة الأقل من خمس سنوات.

دراسة (Ahmed Hassan ,2018) :

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على موقف معلمي التربية الخاصة نحو استخدام التكنولوجيا في الفصول الدراسية الشاملة في عمان، بعينة بلغت (٤٢٨) معلم، واستخدمت الدراسة لذلك المنهج الوصفي، كما استخدمت الدراسة الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن ايجابية مواقف معلمي التربية الخاصة تجاه استخدام أجهزة الكمبيوتر، وكانت من أبرز المواقف الإيجابية: يجب مراعاة قواعد التربية الخاصة عند استخدام الكمبيوتر، تطوير أداء الموظفين وأجهزة الكمبيوتر، التوسع في استخدام أجهزة الكمبيوتر في المجتمع على كافة المستويات، نوع الإعاقة ليس له تأثير كبير على اتجاهات المعلمين نحو استخدام التكنولوجيا.

دراسة الطويل (٢٠٢٠) :

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات معلمات وطالبات المرحلة الثانوية بمدارس محافظة المجمعة نحو التعليم الرقمي، بعينة بلغت (٢٨) معلمة في محافظة المجمعة ممن يدرسوا للمرحلة الثانوية و(١١٨) طالبة، كما استخدمت الدراسة مقياس الأداء المتوازن للمعلمات، ومقياس الأداء المتوازن للطالبات، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن اتجاهات المعلمات نحو التعليم الرقمي إيجابية بدرجة متوسطة، وأن اتجاهات طلبة الصف الأول الثانوي نحو التعليم الرقمي إيجابية أيضا.

دراسة زين الدين (٢٠٢٠) :

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو توظيف التكنولوجيا لتدريس ذوي الاحتياجات الخاصة في ظل جائحة كورونا، بعينة بلغت (١٢٠) معلماً، واستخدمت الدراسة لذلك مقياس لقياس اتجاه معلمي التربية الخاصة نحو توظيف التكنولوجيا لتدريس ذوي الاحتياجات الخاصة، وأسفرت نتائج هذه الدراسة إلى وجود اتجاهات إيجابية بدرجة مرتفعة نحو توظيف التكنولوجيا لتدريس ذوي الاحتياجات الخاصة.

دراسة الجراح (٢٠٢٠) :

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع التعليم الإلكتروني في برنامج التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا المستجد (كوفيد ١٩) من وجهة نظر الطلبة في الأردن بين النظرية والتطبيق، حيث استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدمت الدراسة الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، بعينة بلغت(١٢٠٠) طالبا وطالبة، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أهمية استخدام التعليم الإلكتروني في برامج التعليم عن بعد ، كما اسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن هناك صعوبات تحول دون استخدام التعليم الإلكتروني في برامج التعليم عن بعد، كذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد العينة من الطلبة حول واقع التعليم الإلكتروني في برامج التعليم عن بعد يعزى لمتغيرات الجنس.

دراسة شحاتة (٢٠٢١):

حيث تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا، بعينة بلغت (٦٠) معلم ومعلمة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي لبلوغ أهدافها، كما استخدمت مقياس اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو التعليم عن بعد كأداة لجمع البيانات والمعلومات، وقد أسفرت نتائج الدراسة إلى وجود اتجاهات سلبية لمعلمي التربية الخاصة نحو التعليم عن بعد، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو التعليم عن بعد تبعا للتخصص كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو التعليم عن بعد تبعا للمرحلة الدراسية .

التعليق على الدراسات السابقة ومقارنتها بالدراسة الحالية:

اتفقت كل الدراسات السابقة على دراسة واقع التعليم عن بعد واتجاهات المعلمين والطلبة نحو التعليم عن بعد واستخدم التكنولوجيا والتقنيات التعليمية الحديثة في تعليم الطلاب الأسوياء منهم، وذوي الاحتياجات الخاصة وخصوصا ذوي الإعاقة السمعية، وهذا ما هدفت إليه أيضا هذه الدراسة، حيث هدفت إلى التعرف على اتجاهات معلمي الصم وضعاف السمع نحو التعليم عن بعد، كما استخدمت جميع الدراسات السابقة المنهج الوصفي لبلوغ أهدافها سواء اكان المنهج الوصفي التحليلي او المسحي، والذي يتوافق مع المنهج المتبع في هذه الدراسة، حيث استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، أما عن الأدوات المستخدمة في هذه الدراسات فاستخدمت كل الدراسات المقاييس والاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات بما فيهم هذه الدراسة التي استخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات، أما عن أعداد عينات هذه الدراسات فتباينت أعدادها بين الارتفاع والانخفاض فكانت أعلاها بعدد (1200) طالب وطالبة في دراسة الجراح (2020) وأقلها (39) في دراسة الكريطي وآخرون(2014) أما هذه الدراسة فبلغت عينتها (75) معلم ومعلمة من معلمي ذوي الإعاقة السمعية، أما النتائج المتحصل عليها من الدراسات السابقة فتعتبر إجمالا الى حد ما جميعها إيجابية، حيث أشارت معظم الدراسات إلى إيجابية المواقف والاتجاهات لأفراد عينات هذه الدراسات تجاه التعليم الإلكتروني واستخدام التكنولوجيا والتقنيات التعليمية الحديثة في تعليم الطلاب ومدى اهميتها في العملية التربوية، بما في ذلك نتائج هذه الدراسة والتي أشارت في نتائجها عن وجود اتجاهات إيجابية لدى أفراد عينة الدراسة نحو التعليم عن بعد وبدرجة كبيرة، وهذا ما يتوافق تماما مع جل النتائج المتحصل عليها من الدراسات السابقة، باستثناء دراسة شحاتة (٢٠٢١) والتي أشارت في نتائجها عن وجود اتجاهات سلبية نحو التعليم عن بعد من قبل عدد من أخصائي التربية الخاصة، أما دراسة رياض الكريطي، وآخرون (٢٠١٤) فأشارت في نتائجها إلى بعض التحديات التي تواجه المعلمين في استخدام التقنيات التعليمية الحديثة منها : عدم توافر بعض التقنيات التربوية داخل المدارس، و ضعف القدرة على إنتاج التقنيات التربوية مع عدم قدرة بعض معلمي التربية الخاصة على توظيف التقنيات التربوية في عملية التعليم، عدم صيانة التقنيات التربوية الموجودة داخل المدرسة.

إجراءات الدراسة:-

وللتحقق من صحة فرضيات الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب للدراسات التي تهدف إلى دراسة الظاهرة كما هي في الواقع.

مجتمع الدراسة: ويتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي ذوي الإعاقة السمعية في جميع المؤسسات التعليمية ومراكز التربية الخاصة بالمنطقة الغربية بليبيا.

عينة الدراسة: حيث تم اختيارها عن طريق التواصل الباحث مع عدد من معلمي الصم وضعاف السمع في عدد من مراكز التربية الخاصة، وقد تم اختيار العينة بطريقة عشوائية من مجتمع الدراسة، وتتمثل في:

1-العينة الاستطلاعية: وتشمل على عدد (20) من معلمي الصم وضعاف السمع في عدد من مراكز التربية الخاصة بالمنطقة الغربية.

العينة الاستطلاعية	العدد الموزع	العدد المستدعى	العدد المتبقي
ذكور	8	8	
إناث	12	12	
المجموع	20	20	

الجدول رقم (1) يوضح عينة الدراسة الاستطلاعية

2-العينة الفعلية: وتشمل علي عدد (75) من معلمي ذوي الإعاقة السمعية في عدد من مراكز التربية الخاصة بالمنطقة الغربية.

العينة الفعلية	العدد	النسبة المئوية
ذكور	35	%46.66
إناث	40	%53.33
العدد الإجمالي	75	%100

الجدول رقم (2) يوضح عينة الدراسة الفعلية

أداة الدراسة:

وتتمثل أداة الدراسة في الاستبانة (إعداد الباحث) حيث اشتملت على عدد(20) فقرة.

صدق وثبات أداة الدراسة :

1- **الصدق الظاهري**: حيث تم عرض الاستبانة على عدد من المحكمين من ذوى الاختصاص والخبرة لإبداء الرأي في فقراته بعدد (5) محكمين، ثم أخذ آرائهم بعين الاعتبار.

2- **صدق الاتساق الداخلي**: حيث تم تطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية قوامها (20) من معلمي الصم وضعاف السمع، وتم استخدام معامل ارتباط بيرسون في حساب مدى ارتباط كل عبارة بأداة الدراسة، فكانت النتائج كالتالي:

رقم العبارة	معامل الارتباط بيرسون	الدلالة الإحصائية	رقم العبارة	معامل الارتباط بيرسون	الدلالة الإحصائية

1	0.827	0.01	11	0.738	0.01
2	0.736	0.01	12	0.745	0.01
3	0.785	0.01	13	0.678	0.01
4	0.798	0.01	14	0.817	0.01
5	0.837	0.01	15	0.687	0.01
6	0.673	0.01	16	0.743	0.01
7	0.749	0.01	17	0.835	0.01
8	0.832	0.01	18	0.698	0.01
9	0.869	0.01	19	0.845	0.01
10	0.688	0.01	20	0.732	0.01
معامل الارتباط الكلي			0.765		

الجدول رقم (3) يوضح مدى ارتباط كل عبارة بالاستبانة باستخدام معامل الارتباط بيرسون

من خلال نتائج الجدول السابق تبين لنا أن معاملات ارتباط العبارات بالاستبانة التي تتبعها كانت جميعها ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.01) مما يؤكد على أن جميع عبارات الاستبانة تتمتع بدرجة مرتفعة من الصدق الداخلي.

ثبات اداة الدراسة : ولحساب ثبات الاستبانة تم استعمال كلا من:-

1- **معامل الثبات ألفاكرونباخ:-** تم استخدام معامل الثبات (الفاكرونباخ) لحساب ثبات الاستبانة وذلك باستخدام البرنامج الاحصائي SPSS للبيانات التي تم الحصول عليها من العينة الاستطلاعية كما هو موضح بالجدول التالي :-

عدد فقرات الاستبانة	معامل الثبات الفاكرونباخ
20 فقرة	0.0.847

جدول رقم (4) يوضح حساب ثبات الاستبانة باستخدام معامل الثبات الفاكرونباخ

من خلال نتائج الجدول السابق نستطيع القول بأن الاستبانة تتمتع بدرجة مرتفعة من الثبات.

2-باستخدام طريقة التجزئة النصفية :-

حيث تمت تجزئة عبارات المقياس إلى نصفين العبارات الفردية في مقابل العبارات الزوجية، وتم استخدام معامل ارتباط بيرسون في حساب مدى الارتباط بين النصفين وجرى تعديل الطول بمعامل سيبرمان وبراون وبمعامل حساب جتمان، فكانت النتائج كالتالي:

فقرات الاستبانة	معامل الارتباط بيرسون	معامل الثبات جثمان	معامل الثبات سبيرمان وبراون
20 فقرة	0.765	0.838	0.857

جدول رقم (5) يوضح حساب ثبات الاستبانة باستخدام طريقة التجزئة النصفية

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الثبات للاستبانة تتمتع بدرجة مرتفعة من الثبات.

جمع البيانات : حيث تم جمع البيانات عن طريق الاستبانة حيث تم إرسالها ورقيا لعدد من معلمي الصم وضعاف السمع في عدد من مراكز التربية الخاصة، وتم إرجاع عدد (75)استبانة من عدد (75) استبانة موزعة .

تحليل بيانات : ولتحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن أسئلتها والتحقق من فرضياتها، قام الباحث باستخدام برنامج تحليل البيانات الإحصائية (SPSS) لمعالجة البيانات الإحصائية، وقد استخدم الباحث لذلك الأساليب الإحصائية الآتية المتوسط الحسابي الانحراف المعياري، والوزن النسبي، والتوزيع التكراري، واختبار(ت).

نتائج الدراسة :-

نتائج السؤال الأول:

والذي يتمثل في:

-ما هي اتجاهات معلمي ذوي الإعاقة السمعية نحو التعليم عن بعد في ظل جائحة فيروس كورونا المستجد؟

وللإجابة عن هذا التساؤل ثم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والأوزان النسبية لكل فقرة من فقرات الاستبانة فكانت النتائج كالآتي :

العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	اتجاه العينة	درجة التوافق	الرتبة
يجعل التعليم عن بعد التعليم اكثر إثارة وتشويق.	1.72	0.44	%86	موافق	كبيرة جداً	5
يوفر التعليم عن بعد الوقت للمعلم.	1.68	0.46	%84	موافق	كبيرة	7

بوفر التعليم عن بعد الوقت للطالب.	1.56	0.5	%78	موافق	كبيرة	13
يعتبر التعليم عن بعد افضل الحلول لتخطى الصعوبات الناجمة عن جائحة كورونا.	1.74	0.43	%87	موافق	كبيرة جدا	4
يساعد استخدام التكنولوجيا الحديثة المعلم في إعطاء الدروس بشكل جيد.	1.3	0.45	%65	غير موافق	متوسطة	18
التعليم عن بعد يقلل من التكلفة المادية للتعلم للطالب.	1.4	0.49	%70	غير موافق	متوسطة	17
التعليم عن بعد يخلق الإبداع والتميز داخل الطالب.	1.54	0.5	%77	موافق	كبيرة	14
يزود التعليم عن بعد الطلاب بالمعلومات بشكل أكبر من التعليم التقليدي.	1.2	0.4	%60	غير موافق	متوسطة	19
التعليم عن بعد يقلل من التكلفة المادية على المعلم.	1.78	0.41	%89	موافق	كبيرة جدا	2
التعليم عن بعد يزيد من التحصيل الأكاديمي للطلاب الصم وضعاف السمع.	1.76	0.42	%88	موافق	كبيرة جدا	3
التعليم عن بعد يقلل من الضغوط النفسية على الطلاب ذوي الإعاقة السمعية.	1.52	0.5	%76	موافق	كبيرة	15
التعليم عن بعد يقلل من الضغوط الاجتماعية على الطلاب الصم وضعاف السمع.	1.8	0.4	%90	موافق	كبيرة جدا	1
التعليم عن بعد يحسن من تواصل الطالب بمعلمه.	1.51	0.50	%75.5	موافق	كبيرة	16
التعليم عن بعد يحسن من العملية التعليمية.	1.6	0.48	%80	موافق	كبيرة	11
التعليم عن بعد يعمل على حل مشكلة بعد المؤسسات التعليمية بالنسبة للطلاب.	1.7	0.45	%85	موافق	كبيرة جداً	6
يعطى التعليم عن بعد الوقت الكافي للفهم والاستيعاب.	1.62	0.48	%81	موافق	كبيرة	10
التعليم عن بعد يقلل من الاعباء الدراسية على الطالب.	1.64	0.47	%82	موافق	كبيرة	9
التعليم عن بعد يعطي المعلم والطالب فرصة إدارة والاستفادة من وقته بشكل جيد.	1.58	0.48	%79	موافق	كبيرة	12
يعتبر التعليم عن بعد مناسب جدا للصم وضعاف السمع.	1.1	0.4	%59	غير موافق	متوسطة	20

يعطي التعليم عن بعد فرصة اكبر لتقييم الطالب.	1.66	0.46	%83	موافق	كبيرة	8
المتوسط الحسابي العام	1.57	0.45	78.72%	موافق	كبيرة	

الجدول رقم (6) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والاوزان النسبية لاستجابات افراد عينة الدراسة

من خلال الجدول السابق نلاحظ توافق كبير لأفراد عينة الدراسة على فقرات الاستبيان، والذي يبحث في اتجاهات معلمي الصم وضعاف السمع نحو التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا، بمتوسط حسابي عام (1.57) وبانحراف معياري عام (0.45) وبوزن نسبي بلغ(78.72%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة الأكثر ارتفاعا على فقرات الاستبانة كالآتي:-

العبارة الثانية عشر : (التعليم عن بعد يقلل من الضغوط الاجتماعية على الأطفال الصم وضعاف السمع) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (1.8) وبانحراف معياري (0.4) وبوزن نسبي (90%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة جدا، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الأولى) من حيث درجة التوافق.

العبارة التاسعة : (التعليم عن بعد يقلل من التكلفة المادية على المعلم)حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (1.78) وبانحراف معياري (0.41) وبوزن نسبي (89 %) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة جدا، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثانية) من حيث درجة التوافق.

العبارة العاشرة : (التعليم عن بعد يزيد من التحصيل الأكاديمي للطلاب)حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بالموافقة، بمتوسط حسابي (1.76) وبانحراف معياري (0.42) وبوزن نسبي (88%) حيث جاءت استجابات أفراد العينة على هذه الفقرة بنسبة كبيرة جدا، حيث تأتي هذه العبارة في المرتبة (الثالثة) من حيث درجة التوافق.

نتائج السؤال الثاني:

والذي ينص على:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور /إناث)؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، وقيمة (ت) ودرجة الحرية، لاستجابات أفراد عينة الدراسة فكانت النتائج كالآتي :

عدد فقرات الاستبانة	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت	الدلالة الإحصائية
20 فقرة	ذكور	35	3.73	0.87	74	0.76	0.45
	إناث	40	3.90	0.79			

الجدول رقم (7) يوضح استخدام عدد من الأساليب الإحصائية لتحديد وجود فروق او عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس

ويتضح من النتائج المتحصل عليها من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تعزى لمتغير الجنس (ذكور / إناث)، حيث بلغت قيمة ت(0.76) وهي قيمة غير دالة احصائيا، ويرجع ذلك من وجهة نظر الباحث لأن الذكور والإناث يتعرضون لذات الصعوبات والضغوط والمشكلات في تعليم وتأهيل الصم وضعاف السمع.

من خلال النتائج المتحصل عليها من هذه الدراسة ونتائج الدراسات السابقة نستطيع القول أن جميع الدراسات أثبتت اهمية التعليم عن بعد ودوره في تخطي الصعوبات التي تواجه الطلاب وخصوصا الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة من فئة الصم وضعاف السمع، عليه نهيب بكل الجهات المسؤولة عن هذه المؤسسات التعليمية والقائمين على العملية التعليمية بإيلاء هذا النمط من التعليم الاهتمام المطلوب، والاهتمام بالطالب والمعلم، واعداد المناهج بشكل جيد بحيث تسمح للطالب بالنهل منها

بسهولة وبيسر، وتدريب المعلمين والأخصائيين على هذا النمط من التعليم وتدريبهم على كيفية استخدام التقنيات التعليمية الحديثة بشكل جيد، بالتوازي مع تدريب الطلاب على استخدام مثل هذه التكنولوجيا.

التوصيات :-

وبعد الرحلة التي خضناها في هذه الدراسة والطواف في فصولها يوصي الباحث ب:

1- تأهيل المعلمين والقائمين على العملية التعليمة بشكل جيد على استخدام التقنيات التعليمية الحديثة لمواكبة التطور الحاصل في العملية التعليمية ومواجهة كافة التحديات والعراقيل التي قد تواجههم .

2- اجراء العديد من الندوات والبرامج المرئية والمسموعة للتعريف بالتعليم عن بعد ومدى اهميته وخصوصاً في ظل الظروف الراهنة .

3- تذليل كافة الصعوبات التي قد تواجه الطلبة ذوي الاعاقة السمعية والمعلمين على حد سواء للوصول الى الأهداف المرسومة من العملية التعليمية .

4- الاهتمام بالبنية التحتية لكل ما يتعلق بعملية التعليم عن بعد من اتصالات وانترنت وغيرها .

5- تهيئة الطالب الأصم وضعيف السمع لاستعمال التكنولوجيا الحديثة من حاسوب وانترنت وغيرهما .

6- العمل على تكييف التعليم عن بعد بما يتناسب مع قدرات وامكانيات ضعيف السمع والأصم واعاقته .

7- العمل على توفير وسائل التكنولوجيا الحديثة من حواسيب وغيرها وبأسعار زهيدة .

المقترحات :

يقترح الباحث :

1-إجراء العديد من الدراسات التي تبحث في موضوع الدراسة بشكل اكثر دقة واكثر تعمقا.

2-على المسؤولين في الهرم التعليمي والمسؤولين على فئة الصم وضعاف السمع اخذ نتائج هذه الدراسة ونتائج الدراسات السابقة والتي ستلها بعين الاعتبار ووضعها في إطار البحث.

3-تكوين عدد من اللجان العلمية والمتخصصة في كل مجال على حدة لوضع كافة الحلول الممكنة لمعالجة كل تلك المشكلات التي تحول دون السماح للطفل الأصم وضعيف السمع من استخدام التكنولوجيا والتقنيات التعليمية الحديثة بشكل جيد، ووضع كل السبل والحلول لكل العراقيل التي تواجه هذه الفئة وتمنعهم من الانخراط في هذا النظام التعليمي، ووضع كل تلك الحلول في إطار التنفيذ.

المصادروالمراجع :-

اولاً: المراجع العربية:

1) ابراهيم أبونيان (2014) دور القانون في صفان جودة خدمات التربية الخاصة والخدمات المساندة، مجلة التربية الخاصة والتأهل، مج (1) , ع (4) ص: 1-35

2) ابراهيم عبد الله فرج الزريقات (2003) الإعاقة السمعية، الأردن، دار وائل للنشر .

3) إبراهيم عبد الله فرج الزريقات (2009) الإعاقة السمعية مبادئ التأهيل السمعي والكلامي والتربوي، دار الفكر، عمان.

4) احمد عبد النبي عبد العال خلاف (2015) تصور مقترح لتفعيل دور التعليم عن بعد بجامعة الطائف في ضوء بعض الاتجاهات العالمية المعاصرة ، المجلة التربوية، جامعة سوهاج، كلية التربية ، ع (40) ، ص: 223-358 .

5) أمل المخزومي (1995) دور الاتجاهات في سلوك الأفراد والجماعات، رسالة الخليج العربي، (٥٣)، ص:١٥- 46.

6) أحمد محمد السيد الحفناوي (٢٠١٤) حقوق الأفراد ذوي الإعاقة في الوصول الإلكتروني والاستفادة من الخدمات الإلكترونية، مجلة التعليم الإلكتروني، أغسطس.

7) أسماء سراج الدين. (٢٠٠٩) تأهيل المعاقين، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص:150.

8) أحمد علي حبيب (2006). علم النفس الاجتماعي، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.

9) جمال علي خليل الدهشان (2020) مستقبل التعليم بعد جائحة كورونا سيناريوهات استشرافية، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المؤسسة الدولية لآفاق المستقبل، 3 (4)، ص: 105-169 .

10) جمال الخطيب (1998) مقدمة في الاعاقة السمعية، دار الفكر للنشر، ص:35-39.

11) حنان ابن خدة (٢٠١٥) التعليم عن بعد وتأثيره على التحصيل الدراسي لدى الطالب، دراسة ميدانية لعينة من معهد الوطني والتكوين عن بعد بورقلة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

12) حمدي محمد البيطار(٢٠١٦) فاعلية استخدام التعليم عن بعد في تنمية التحصيل الدراسي والاتجاه نحو التعليم عن بعد في مقرر تكنولوجيا التعليم لدى طلاب الدبلوم العامة نظام العام الواحد شعبة التعليم الصناعي، دراسات عربية في التربية وعلم النفس، رابطة التربويين العرب، ع(١٨)، ص: ١٧-٣٨.

13) دعاء عبد المحسن عبد القادر(2021) رؤية مقترحة لتدريس آلة البيانو عن بعد باستخدام بعض البرامج الالكترونية الحديثة، مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، (32)7 ،777-733.

14) رحاب أحد مصطفي زين الدين(٢٠٢٠) اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو توظيف التكنولوجيا في تدريس ذوي الاحتياجات الخاصة في ظل جائحة كورونا، المجلة العربية لعلوم الإعاقة والموهبة، ٤ (١٤) ص: ٢١-٥٢.

15) رياض كاظم مرتضى، وعبد الحسين منهي(٢٠١٤) واقع استخدام التقنيات التربوية في صفوف التربية الخاصة في محافظة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ١٨.

16) زيدان أحمد السرطاوي (1988) الاتصال الشخصي مع المعوقين وعلاقته بالاتجاهات نحوهم، مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة.

17) سلامة عبد العظيم حسين (2020) التعليم عبر الانترنت في زمن كورونا، مجلة ادارة الاعمال، عمان ، جمعية ادارة الاعمال العربية، ع (170) .

18) سارة غران كليمان (٢٠١٧) التعليم الرقمي، التربية، والمهارات في العصر الرقمي، مؤسسة RAND

19) سعيد حسني العزة (2001) الإعاقة السمعية واضطرابات الكلام والنطق واللغة، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص:23-26.

20) صالح الشرهان (٢٠١٤). التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الوطن العربي نحو التطوير والابداع، دراسة مقدمة إلى المؤتمر الرابع عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

21) طارق كمال (2007) الإعاقة الحسية، المشكلة والتحدي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص:127

22) عبد الفتاح محمود ادريس (2019) التعليم عن بعد وتحديات المستقبل، مجلة البحوث الاسلامية، العدد (41) ، ص: 131- 160 .

23) عبد الله عبد العزيز الموسى (2002) التعليم الالكتروني مفهومه، خصائصه، فوائده، عوائقه، ورقة عمل مقدمة الى ندوة مدرسة المستقبل، كلية التربية جامعة الملك سعود، في الفترة من 22-23 أكتوبر.

24) عمر أحمد همشري (2003) التنشئة الاجتماعية للطفل، دار صفاء للنشر والتوزيع.

25) علية الشمراني ، موسى العرياني (٢٠٢٠) فاعلية استخدام منصات التعليم عن بعد (بوابة المستقبل - منظومة التعليم الموحدة) في تنمية التحصيل المعرفي وخفض مستوى قلق الاختبار لدى طلاب وطالبات المرحلة المتوسطة بجدة، المجلة العربية النوعية، (١٥) ص: ٢٨٧-٣١٢.

26) عبد الرحيم فتحي (1990) سيكولوجية الأطفال الغير عاديين، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط 4.

27) فالته اليمين (2019) عوائق استخدام التعليم الالكتروني في تدريس طلبة الماستر بالجامعة الجزائرية، المجلة العربية للأعلام وثقافة الطفل، 6 (1)، ص: 17-47 .

28) فيصل صالح فريح الجراح (٢٠٢٠) واقع التعليم الإلكتروني في برنامج التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا المستجد(كوفيد 19) من وجهة نظر الطلبة في الأردن بين النظرية والتطبيق، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المركز القومي للبحوث غزة، ع(44).

29) فضيلة لكزولي (2020) التدريس عن بعد ورهانات الاصلاح في ظل جائحة كوفيد-19، مجلة الباحث للدراسات القانونية والقضائية ،ع (17) ، 59-67 .

30) قسيم محمد الشناق، حسن علي أحمد بني دومي (2010) اتجاهات المعلمين والطلبة نحو استخدام التعليم الإلكتروني في المدارس الثانوية الأردنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد (26) .

31) محمد الزكري (2019) دور التعليم عن بعد في توسيع فرص دخول الطلبة الصم للتعليم العالي، البرامج المتاحة، وجودة الخدمات المقدمة، مجلة العلوم التربوية ع (17) , ص:19 – 106 .

32) محمد جابر محمود رمضان (2020) دور التعليم عن بعد في حل اشكاليات وباء كورونا المستجد، المجلة التربوية، جامعة سوهاج، كلية التربية، ع (77)، ص: 1531-1543 .

33) مريم محمد حسن (2020) التعليم الالكتروني، الأهمية وامكانية التطبيق، المؤتمر الدولي الافتراضي الأول للتعليم الالكتروني، جامعة سبها، ليبيا .

34) مفيد احمد ابو موسى (2018) دراسة وصفية لمنصة تعليمية تمزج التطورات التكنولوجية الحديثة في عمليتي التعلم والتعليم، تجربة خاصة مع التوجيهي الاردني، مجلة المعهد الدولي للدراسة والبحث، 4(4) ، ص: 2-18 .

35) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونيسكو) (2020) جائحة كورونا، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، الموقع الإلكتروني https//www.un.org .

36) محمود منسي (١٩٩٠) علم النفس التربوي للمعلمين، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

37) منى شحاتة (٢٠٢١) اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو التعليم عن بعد في ظل جانحة كورونا (كوفيد) - (١٩) مجلة كلية التربية، جامعة بورسعيد، (٣٣) ص:٤٦٩- ٤٨٩ .

38) محمد عبد الواحد (٢٠٠١) الإعاقة السمعية وبرنامج إعادة التأهيل، العين ، دار الكتاب.

39) ماجدة السيد عبيد (2000) السامعون بأعينهم، دار الصفا للنشر، عمان، الأردن، د . ط ،ص:26.

40) مدحت ابو النصر (2005) الإعاقة السمعية، المفهوم، والأنواع، وبرامج الرعاية، مجموعة النيل العربية القاهرة، ص:74 -86.

41) محمد صديق (٢٠٠١) سيكولوجية الطفل المعاق سمعياً وأساليب تواصله مع الآخرين، مجلة علم النفس، ع(٥٧)، ص: ٢٥٦.

42) نواف أحمد سمارة، عبد السلام موسى العديلي (2008) مفاهيم ومصطلحات في العلوم التربوية، عمان، الأردن، دار المسيرة للطباعة والنشر.

43) هدى داوود نجم السعد (٢٠٢٠) تحديات وفرص التعليم في ظل جائحة فيروس كورونا (واقع حال مدينة البصرة)، جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم الجغرافية نظم المعلومات الجغرافية.

44) هيلة إبراهيم عبد الرحمن الطويل (٢٠٢٠) اتجاهات معلمات وطالبات المرحلة الثانوية بمدارس محافظة المجمعة نحو التعليم الرقمي، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ١٨٦ ، ج ٣، ص: ٨٧٨-٩١٨.

45) ورود جمال عواد العواملة، مي محمد خلف الرقاد (٢٠١٧) واقع استخدام معلمي التربية الخاصة لتقنيات التعليم الإلكتروني في الأردن، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية ،٢٧ (٣) ص: ١٠٧-١٥٩.

46) ياس عباس السلطاني، وخالد بن عبد الرحمن الزهراني (2016) مداخل ومعوقات تمكين العاملين في مركز التأهيل لمساعدة المعاقين من استخدام التكنولوجيا المساعدة لتكنولوجيا المعلومات، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، س (42) ع (161) ، ص: 279 – 308.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1) Ahmed Hassan Hemdan Mohamed.(2018). Attitudes of special education teachers towards using technology in inclusive classrooms :a mixed-methods study, Journal of Research in Special Educational Needs Volume 18, Number 4.

2) Flanagan Bouck & Richard (2013).Middle School Special Education Teachers' Perceptions and Use of Assistive Technology in Literacy Instruction Assistive technology: the official journal of RESNA 25(1):24-30,

3) Gremp , M (2011) . The effects of visuospatial sequence training with children who are deaf or hard of hearing ph. D .Washington university in st . Louis.

4)-Guillen-Gamez,F.D.&Mayorga-Femandez.M.J. (2020).Identificatio of variables that predict teachers attitudes toward ICT in higher education for teaching and research: A study with Regression. Sustainability, 12, 1312;

5) islam , N . BEER . M . & Slack , F (2015) E-Learning challenges faced by Academies in Higher Education : A literature Review Journal of Education and Training studies , 3(5) , 102-112 .

6) Madani , M . (2007) Distance learning Goals principles and scientific . Applications . Ed . 1.Ammah , Jordan : Al . maseerah publishing .

7) NdibalemaP. (2014). Teachers' Attitudes towards the Use of Information Communication Technology (ICT) as a Pedagogical Tool in Secondary Schools in Tanzania: The Case of Kondoa District. International Journal of Education and Research, 2(2), ISSN: 2201-6333 (Print) ISSN: 2201-6740 (Online).

8) SalahA.FM.&Mohamed AA.F.(2014). Professional Attitudes using e-laerning implementation with children with disabilities. International Journal of Information and Education Technology,4(1),120-122.

9) Silvestre, Nuria, Ramspott, Anna, Pareto, Irenka. (2007). Conversa- tional Skill in a Semistructured Interview & Self-Concept in Deaf Stu- dents, Journal of Deaf Studies & Deaf Education, 12(1), PP38-5.

10) yulia ,H (2020): online learning to prevent the spread of the pandemic corona virus in Indonesia ,English, teaching journal,11(1).

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 03، العدد 12
ISSN: 2701-9233

تشخيص مؤشرات الأمن الغذائي بالمغرب

Diagnosing food security indicators in Morocco.

محمد كنتيتي
Mohammed GOUNTETI
جامعة محمد الخامس، الرباط.
Mohammedgoun@gmail.com

ملخص

لطالما اعتبر الأمن الغذائي أمرا جوهريا في سياسات الدول، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي أظهرت ولأول مرة الفجوة الكبيرة بين العرض والطلب الغذائي، حين تجاوز آثار انعدام الأمن الغذائي حدود الدول ومس العالم بأسره. وهو ما جعل المنتظم الدولي يصوغ مؤشر الأمن الغذائي لدراسة نسبة الأشخاص الذين يعانون من صعوبات في الوصول للغذاء وضمانه. ولدراسة هذا المؤشر لابد من الإحاطة بالأبعاد الأربعة المشكلة له، والمتمثلة في مؤشر توافر الغذاء، الوصول إلى الغذاء، استخدام الغذاء، والاستقرار الغذائي. وفي ظل ما يشهده العالم بصفة عامة، والمغرب بصفة خاصة من تحولات طبيعية وبشرية أجهدت العناصر المتحكمة في انتاج الغذاء، فأصبحت دراسة هذه المؤشرات وتحليلها ومقارنتها بالمتوسطات العالمية أمرا ملحا، وعنصرا مساعدا في تشخيص ورصد الوضعية الغذائية ببلادنا، وفي تقييم السياسات الزراعية التي اعتمد عليها المغرب لتحسين هذه الوضعية واستقرارها. وهو ما جعلنا نطرح التساؤل التالي: ما مظاهر الوضعية الغذائية بالمغرب انطلاقا من تحليل مؤشرات الأمن الغذائي؟ وما العوامل المتحكمة في تحديد ملامح هذه الوضعية؟ ولدراسة هذه الإشكالية يمكن توظيف عدة مناهج من أبرزها المنهج الوصفي التحليلي، بالإضافة إلى مناهج علمية أخرى.

الكلمات المفتاحية: الأمن الغذائي؛ الأمن التغذوي؛ الحكامة؛ التنمية المستدامة.

Abstract

Food security has always been considered a critical issue in countries' policies, especially after World War II, which first showed the significant gap between food supply and demand, when the effects of Food insecurity has crossed country borders and affected the world's population. This is what led the international organization to formulate a food security index to study the percentage of people who suffer from difficulties in accessing and securing food. To study this indicator, it is necessary to take into account the four dimensions that constitute it, which are the food availability index, access to food, food use and food stability. In light of the natural and human transformations experienced by the world in general, and Morocco in particular, the elements controlling food production have been exhausted. The study, analysis and comparison of these indicators with global averages have become inevitable and a scientific approach. The diagnosis, monitoring of the food situation in our country and the evaluation of agricultural policies on which Morocco relied to improve these Position and stability indicators. This leads us to ask the following question: What are the aspects of the food situation in Morocco based on the analysis of food security indicators? What are the determining factors in determining the characteristics of this situation? To study this problem, several approaches can be used, the most important of which are the descriptive approach and the analytical approach, in addition to other scientific approaches.

Keywords: Food security; Nutritional security; Governance; Sustainable development.

تقديم:

أسفرت الحرب العالمية الثانية عن عدة خسائر مادية وبشرية منذ اندلاعها، فإلى جانب ارتفاع حصيلة القتلى من الجنود والمدنيين، وهدم البنيات التحتية ... انتشرت المجاعة بأغلب دول العالم، بسبب اتلاف الأراضي الزراعية ومحاصيلها، الشيء الذي أيقظ وعي المجتمع الدولي، فعقدت قمة هوت سبرينغ بولاية فرجينيا الأمريكية سنة 1943 بمشاركة ممثلي 44 حكومة، اتفقوا حينها على ضرورة إحداث منظمة دولية مهتمة بشؤون الزراعة والأغذية، تأسست سنة 1945 بمدينة كبيك في كندا.

ومع زيادة حدة التغيرات المناخية خلال العقود الأخيرة وما صاحبها من تراجع للموارد المائية، وتدهور للتربة وارتفاع لنسبة الأرضي المتصحرة، ازداد الاهتمام بضرورة استئصال الجوع، والرفع من انتاج الأغذية وتوزيعها بشكل منصف بين دول العالم. فكان لابد من إدماج البيئة في السياسات والبرامج الاقتصادية والاجتماعية، تأسيسا لمفهوم التنمية المستدامة، وحفاظا على مقومات الغذاء والزراعة من الاجهاد. ومع ما عرفه العالم من تحولات اجتماعية في السنوات القليلة الماضية كجائحة كوفيد 19، وسياسية كالحرب الروسية الأوكرانية ... تزايد معدل انعدام الأمن الغذائي في العالم. حيث قَدرت الإحصاءات أن حوالي 2 مليار و400 مليون شخص لم يستطيعوا الوصول إلى الطعام الكافي ما بين سنتي 2023/2022، أي ما يقارب 30٪ من سكان عالمنا. وترتفع هذه النسبة عن المتوسط، كلما اتجهنا نحو قارتي افريقيا وآسيا. والمغرب كغيره من بلدان العالم وبلدان افريقيا، عانى من تحقيق الأمن الغذائي ولا يزال. ورغم أن نسبة الأشخاص الذين يعانون من الجوع ببلادنا أقل من المتوسط، إلا أنها تبقى تحديا استراتيجيا وهاجسا وطنيا وجب التصدي له. الشيء الذي دفع الفاعلين المعنيين لتسطير عدة برامج ومخططات منها مخطط المغرب الأخضر، مخطط الجيل الأخضر، مخطط أليوتيس، والاستراتيجية الوطنية للتغذية. إلا أن النتائج المحصل عليها لم تكن بحجم الأهداف المسطرة.

تتمثل أهمية هذا الدراسة في كونها تتناول موضوع الأمن الغذائي، باعتباره مطلبا ملحا في ظل ما تشهده البلاد من تحولات طبيعية تتمثل أساسا في شح التساقطات، وتزايد الأراضي المتصحرة، بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والاقتصادية المصاحبة كارتفاع الأسعار وتراجع القدرة الشرائية. دون اغفال ما يشهده العالم من تحديات سياسية، فاقت تأثيراتها الدول المتصارعة ليبلغ دول أخرى كانت ولازالت تعتبرها مصدرا أساسيا لاستيراد ما تحتاجه من مواد غذائية، ومن بينها المغرب. وهو ما يستوجب علينا البحث عن طرق مثلى تراعي خصوصية البلاد وتمكننا من توفير الحد الأدنى من الأمن الغذائي الذي ينهي تبعية المغرب للخارج خاصة في المواد الأساسية.

إن هدف هذه الدراسة هو تشخيص وضعية الأمن الغذائي بالمغرب من خلال دراسة المؤشرات المعتمدة باعتبارها أبعادا له، وتبيان ما مدى نجاعة حكامة الأمن الغذائي بالمغرب، من خلال تقييم تدخلات الفاعلين المعنيين بذلك. ودراسة أهداف المخططات والبرامج عبر مقارنتها بحاجات السكان ومتطلباتهم الغذائية.

الإطار المنهجي للدراسة:

إشكالية:

يعتبر الأمن الغذائي مؤشرا أساسيا لإظهار مستوى تطور بلد معين واستقلاليته. فلا يمكن لبلد أن يجمع بين النقيضين: الازدهار وعدم توفير الغذاء، إذ يعتبر ذلك أقل واجبات الدول اتجاه شعوبها. إلا أنه وبتدخل مجموعة من العوامل أصبح القضاء على الجوع أمرا صعبا. ما جعل إدماج الأمن الغذائي ضمن مخططات الحكومات والدول ضرورة استراتيجية، وبعدا تنمويا باعتباره الهدف الأسمى من التنمية ورفاه المجتمع وتحسين مستوى عيشه. وفي الآونة الأخيرة، شهد العالم بصفة عامة والمغرب بصفة خاصة كدولة من دول إفريقيا، تحولات طبيعية، سوسيواقتصادية، وسياسية مهمة حالت دون وصول مختلف شرائح المجتمع إلى الغذاء. وإذا كانت غاية هذه المقالة الإجابة عن سؤال اشكالي متعلقه: **أين تتمثل الوضعية الحالية للأمن الغذائي بالمغرب في ظل الظروف الطبيعية والبشرية التي يمربها؟** فإن الإجابة عنه لن تتحقق إلا من خلال الإجابة عن جملة من الأسئلة الفرعية أبرزها:

- ما وضعية مؤشرات الأمن الغذائي بالمغرب؟
- ما العوامل المتحكمة في وضعية الأمن الغذائي ببلادنا؟
- هل واكبت برامج ومخططات الأمن الغذائي بالمغرب حاجيات ومتطلبات المغاربة وقلصت تأثير العوامل المتحكمة في الوضعية الغذائية الحالية؟

الفرضيات:

انطلاقا مما سبق يمكننا أن نفترض أن:

- الظروف الطبيعية هي العامل الأساسي في عدم تحقيق المغرب لأمنه الغذائي.
- حكامة الأمن الغذائي بالمغرب والمتمثلة في تدخلات الفاعلين المعنيين، هي حكامة تفتقد للجانب الاستراتيجي وغير قابلة للتحقيق.
- تحقيق الأمن الغذائي بالمغرب لا يمكن أن يتم إلا بمبادرة محلية من حيث الانطلاق ومحلية من حيث الاستفادة، تراعي الخصوصية الطبيعية والسوسيواقتصادية المميزة لكل مجال.

منهج الدراسة:

اقتضت **طبيعة موضوعنا** في هذا البحث توظيف المنهج الوصفي التحليلي وذلك باعتبار تجميعنا لمجموعة من البيانات ترتبط بتحديد حالة مؤشرات الأمن الغذائي بالمغرب ثم شرعنا في وصفها وتحليلها للنفاذ إليها. بالإضافة للمنهج التاريخي.

وقد **تكونت هذه المقالة** من ثلاثة محاور:

انعقد في مستهلها بعد الجانب المنهجي محور أول تناول دراسة وصفية لحالة مؤشرات الأمن الغذائي بالمغرب ووصف تطوره زمنيا ومجاليا، ليتلوه المحور الثاني خصصناه لتفسير هذه الوضعية من خلال دراسة العوامل الطبيعية والبشرية المتحكمة في هذه الوضعية. ثم عقبه محور ثالث تطرقنا فيه لتقييم حكامة الأمن الغذائي بالمغرب من خلال تناول البرامج والمخططات الهادفة لتحقيق ذلك.

الإطار النظري للدراسة:

الأمن الغذائي:

لطالما اهتم الانسان منذ الأزل بتوفير الغذاء، فكان البحث عنه أساس تحركاته وترحاله، إلى أن استقر مشكلا الحضارات القديمة، والتي أقامها على أخصب الأراضي وأوفرها ماءا وأكثرها عطاء. لكن مع ارتفاع عدد السكان، واستقرارهم في مناطق ضيقة، جعلت المحاصيل غير قادرة على سد رمقهم، وهو ما أعاد نشاط حركة الهجرة والترحال، لضمان توازن العرض الغذائي والطلب عليه.

ورغم الأهمية التي حظي بها الغذاء، فإن مفهوم الأمن الغذائي لم يصاغ إلا أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، والتي خلفت عدة خسائر من أبرزها تدمير الأراضي الصالحة للزراعة وما عليها من محاصيل، الشيء الذي أدى إلى انتشار المجاعة بالدول المتضررة من المعارك. فكان الهدف الأساسي من تناول مفهوم الأمن الغذائي حينها، هو محاربة الجوع من خلال توفير الغذاء. لينتقل هذا المفهوم بعد ذلك من هذا التعريف البسيط، إلى ما أقره المؤتمر العالمي للتغذية سنة 1996، والذي عرف الأمن الغذائي على أنه حصول جميع الأفراد على الغذاء الكافي ماديا واقتصاديا، غذاء آمن ومعد لتلبية احتياجاتهم الطاقية، لضمان حياة فعالة وصحية. وقد تم الاتفاق عليه لتناوله المرتكزات الأربعة للأمن الغذائي، وهي توافر الغذاء، والحصول عليه، واستهلاك الغذاء، والاستقرار (مجلس المستشارين الأمن الغذائي بالمغرب، ص 22.) باعتباره الغاية المرجوة. فظل معتمدا كإطار

مفاهيمي مرجعي. دون أن ننسى البعد التغذوي الذي أضافته منظمة الأغذية العالمية ولجنة الأمن الغذائي العالمي له سنة 2009. وهو ما يجعلنا نتساءل عن ماهية الأمن التغذوي، وعن الفرق بينه وبين الأمن الغذائي؟ وفي محاولة لإيجاد أجوبة عن هذه التساؤلات السابقة، نتدبر الجدول أدناه.

جدول رقم 1: الفرق بين الأمن الغذائي والأمن التغذوي.

	الأمن الغذائي	الأمن التغذوي
المقاربة	كمية.	كيفية.
الفئة المستهدفة	جماعة من الناس.	الفرد الواحد.
الهدف	توفير عرض غذائي يلبي الطلب المتزايد مع الزمن.	توفير غذاء صحي يلبي حاجة الجسم من بروتينات، فيتامينات، أملاح معدنية ...
الغاية	تحقيق الأمن والاستقرار	تحقيق الأمن والاستقرار
التحديات التي تحول دون تحقيقه	تزايد عدد السكان، تراجع خصوبة الأرض، شح التساقطات ... وغيرها من المشاكل الطبيعية والبشرية المعيقة لولوج المواطنين للسلع الغذائية.	تغير مكونات الغذاء بما لا يخدم حاجيات جسم الفرد. ويجعله تحت تهديد الأمراض الناتجة عن تفريط أو إفراط بعض المكونات.
النتيجة	محاربة الجوع الناتج عن نقص التغذية.	محاربة الأمراض الناتجة عن سوء التغذية سواء بالإفراط أو التفريط.

المصدر: إعداد شخصي.

ومما سبق يمكن القول أن الأمن التغذوي هو توفير سلع غذائية ذات خصائص ومكونات تلبي حاجات الجسم ومتطلباته، وهو مفهوم يستهدف الفرد، من خلال ضمان تغذية متنوعة وجيدة وصحية. يسعى من خلالها إلى محاربة الأمراض الناتجة عن سوء التغذية والمنقولة بالغذاء، والأمراض الناتجة عن إفراط التغذية كالسمنة وغيرها... أما الأمن الغذائي فينطلق من مقاربة كمية، تهدف إلى محاربة الجوع عبر توفير كمية الغذاء القادرة على سد حاجيات المجتمعات. بشكل يتعدى الجانب الصحي إلى عدة جوانب أخرى، توضحها الخطاطة التالية:

خطاطة رقم 1: أركان الأمن الغذائي.

Source : https://www.researchgate.net/publication/361244779

تتمثل أهمية موضوع الأمن الغذائي في عدة أبعاد، من أبرزها:

- البعد الاقتصادي والاجتماعي: فتحقيق الامن الغذائي بدولة ما، هو معيار تقدمها اقتصاديا ورفاه شعبها. إذ يسعى هذا المؤشر إلى توفير حاجيات السكان الغذائية، لضمان سلامتهم الصحية وبقائهم على قيد الحياة.
- البعد السياسي والأمني: بين الأمن الغذائي والاستقرار السياسي علاقة تأثير وتأثر، إذ لا يمكن الحديث عن زراعة وتوافر الغذاء في ظل الحروب والصراعات السياسية والاضطرابات الأمنية، ولا يمكن الحديث عن الاستقرار السياسي لدولة ما في غياب الأمن الغذائي.

التنمية المستدامة:

شهد مفهوم التنمية بصفة عامة عدة تطورات، حيث انتقل من اعتباره مفهوما اقتصاديا يعتمد على مؤشر رفع الإنتاج كمعيار لتحقيق النمو، إلى مفهوم يشمل عدة ميادين أخرى ذات بعد اجتماعي كالصحة، التعليم، الرفع من القدرة الشرائية، تجويد أسلوب العيش وغيرها. فانتقلت بذلك التنمية من اعتبار الانسان وسيلة للإنتاج إلى النظر للإنسان باعتباره مستفيدا من هذه العملية والغاية منها.

وتحقيقا للأرباح خاصة بعد تطور الرأسمالية من مرحلة الرأسمالية التجارية إلى الرأسمالية الصناعية، التي تحتاج للمواد الخام باعتبارها المصدر الأولي لعملية التصنيع، عرفت البيئة والموارد الطبيعية استغلالا وتبذيرا واضحا، أثر على المنظومة البيئية بصفة عامة، وأدى لانقراض العديد من الأصناف الحيوانية والنباتية. وهو ما استدعى ضرورة إدماج البعد البيئي في العلميات التنموية في إطار مقاربة تنموية جديدة تقوم على مبدأ الاستدامة.

ظهر مفهوم التنمية المستدامة مع اللجنة العالمية للبيئة والتنمية سنة 1987م حيث عرفتها بأنها تلك التنمية التي تلبي حاجات الحاضر، دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجياتهم (اللجنة العالمية للبيئة والتنمية 1987 الصفحة 83). وتتميز عن التنمية بمفهومها التقليدي في كون التنمية بوجه عام هي التفاعل بين البشر، وبين الموارد المتاحة لهم، أي استغلال البشر

لمواردهم المحلية. وتسعى التنمية المستدامة أساسا لرفع مستوى معيشة المجتمع ككل من جميع جوانبه عمرانيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وذلك في إطار الموارد المتاحة. وبالتالي فإن التنمية المستدامة كمفهوم أكثر شمولية وتكاملية، يستوعب ويستكمل كل حلقات مسلسل التنمية في تلازمها وترابطها، من نمو اقتصادي وتنمية بشرية للحد من الفقر والعوز البشري، والفاقة والحاجة، بما يمكن من التوافق بين النمو السكاني المتسارع ومستلزمات العيش والحياة بنظام وانتظام(مصطفى الكثيري الصفحة 32).

تسعى التنمية المستدامة من خلال آلياتها ومحتواها إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من أبرزها:

- تحقيق حياة أفضل للسكان: تعمل التنمية المستدامة من خلال عمليات التخطيط وتنفيذ السياسات التنموية إلى تحسين نوعية حياة السكان في المجتمع اقتصاديا، واجتماعيا، ونفسيا، وروحيا عن طريق التركيز على الجوانب النوعية وليس الكمية وبشكل عادل ومقبول.

احترام البيئة الطبيعية: من خلال التركيز على العلاقة بين نشاطات السكان والبيئة والتعامل مع النظم الطبيعية ومحتواها على أنها أساس حياة الإنسان (إبراهيم موسى جاد الله 2009، الصفحة 11).

الحكامة:

يُشتق مفهوم الحكامة من الحكم والحكمة، حيث يمكن أن نصف الحكامة بأنها الحكم الحكيم، من خلال ممارسة السلطة بمختلف أنواعها بمبدأ الحكمة والرشد، حتى لا تكون سلطة تَحكم أو سلطة محكم فيها. والحكامة هي ممارسة مشتركة، ينخرط فيها مختلف الفاعلين. ويمكن أن نعرفها أيضا بأنها ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والإدارية، لتسيير شؤون بلد ما بكل مستوياته. ويشمل الحكم الآليات والعمليات والمؤسسات التي يقوم من خلالها المواطنون والجماعات بالتعبير عن مصالحهم، وممارسة حقوقهم القانونية، والوفاء بالتزاماتهم، وتسوية خلافاتهم. (برنامج الأمم الإنمائي، 1997 الصفحة 8)

وتُعبر الحكامة انطلاقا من هذه التعاريف، عن ممارسة السلطة السياسية وإدارتها لشؤون المجتمع وموارده المادية والمالية والبشرية الخ (موني وأبركان، 2015، الصفحة 97). ويفيد مفهوم الحكامة أيضا: الجمع بين الرقابة من الأعلى (الدولة) والرقابة من الأسفل (المجتمع المدني)، ويقوم المفهوم على مبادئ أساسية أهمها المشاركة وثقافة المحاسبة، وهي تسري على:

- الدولة باعتبارها الناظم الأول لمبادئ الافراد والجماعات، والمرجعية السياسية والقانونية.
- القطاع الخاص بكونه مجال المبادرات الاقتصادية.
- المجتمع المدني باعتباره نافذة على ممارسة الاستخلاف والمشاركة المواطنة (بحكان وبولحوال وآخرون، 2011، الصفحة 21).

وتتأسس الحكامة الجيدة بالمغرب على أربع دعامات (الهيئة المركزية للوقاية من الرشوة، 2011، الصفحة 4)

- النزاهة: كمنظومة للقواعد والقيم المؤطرة لمسؤولية الحفاظ على الموارد والممتلكات العامة واستخدامها بكفاءة.
- الشفافية: كمدخل أساسي لتوفير المعلومات الدقيقة في وقتها وإتاحة الفرص للجميع للاطلاع عليها ونشرها.
- التضمينية: كالتزام جماعي يضمن توسيع دائرة مشاركة المجتمع بجميع فعالياته في تحضير وتنفيذ السياسات العمومية.
- المساءلة: التي تربط المسؤولية بالمساءلة وإعطاء الحساب لضمان التدبير الأمثل للموارد المادية والبشرية وربط المنجزات بالأهداف المتوخاة.

I. تشخيص حال الأمن الغذائي بالمغرب (بالاعتماد على مؤشرات التغذية).

يعد الأمن الغذائي، من بين الإشكاليات الراهنة التي حظيت باهتمام بالغ من الباحثين، وهو أحد المواضيع المتشعبة التي لا يمكن دراستها إلا بتكامل المقاربات المختلفة وانسجامها. ويرجع تشعب هذا الموضوع لتداخل العوامل المؤثرة فيه والمتأثرة به، إذ

يعد عاملا حقيقيا في ضمان الاستقرار السياسي، وصون التنمية، وتحسن الاقتصاد، واستدامة الموارد ... من جهة، ويتأثر بعوامل مختلفة من جهة أخرى. إن هذا التداخل يجعل محاولة تشخيص وضعية الأمن الغذائي والاحاطة بمختلف جوانبه وأبعاده بمنطقة ما مسألة صعبة، خاصة في ظل التغيرات التي يشهدها العالم بصفة عامة، والبلدان التي تعاني من التبعية للخارج في موضوع الغذاء كالمغرب بصفة خاصة.

1. وضعية الأمن الغذائي والتغذية بالعالم

إن أي متتبع لمؤشر انعدام الأمن الغذائي بالعالم سيلاحظ أن هذا الأخير قد سجل تطورا سلبيا في الآونة الأخيرة مقارنة بسنوات سابقة. وهو ما أكدت علية المنظمات الدولية المعنية بتشخيصه وتتبعه، حيث قَدرت منظمة الأغذية والزراعة والصندوق الدولي للتنمية الزراعية أن نسبة الأشخاص الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائي المعتدل بلغت 16.3٪ سنة 2019، وأن 9.7٪ من مجموع سكان العالم تحت عتبة الانعدام الشديد للأمن الغذائي. ويوضح المبيان الآتي تطور هذين المؤشرين في العالم ما بين 2014-2019.

مبيان رقم 1: تطور مؤشري انعدام الأمن الغذائي المعتدل والشديد بالعالم ما بين 2014-2021

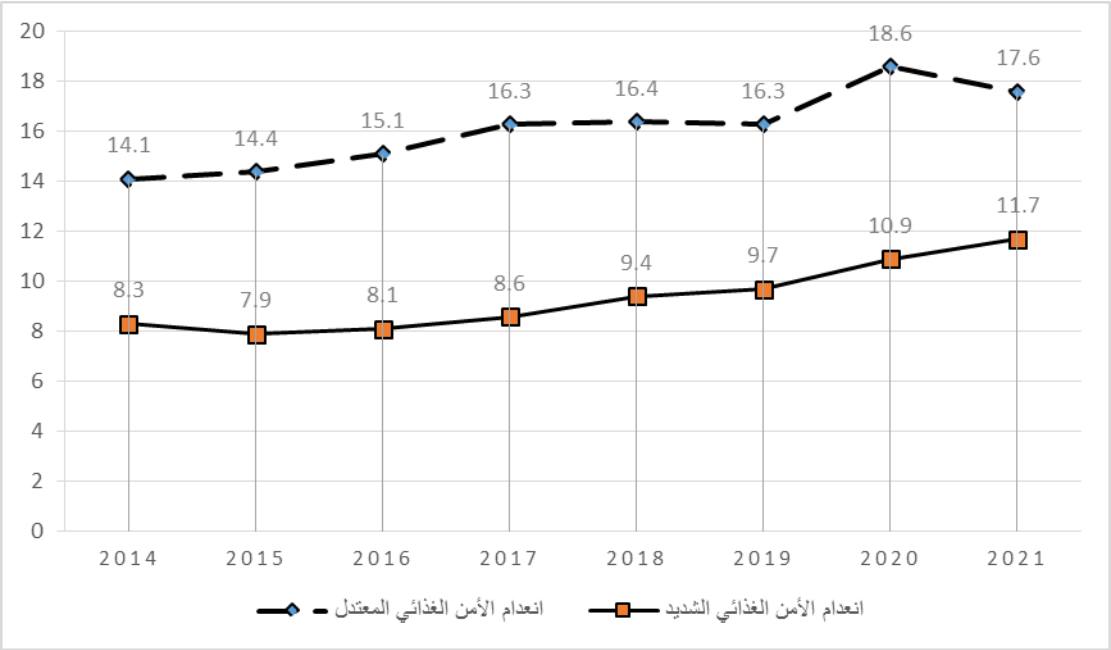

المصدر: منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2020، حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم، الصفحة 15 ومنظمة الأغذية للأمم المتحدة، 2022، حالة الأمن الغذائي والتغذية بالعالم، الصفحة 23.

عرف مؤشرا انعدام الأمن الغذائي المعتدل والانعدام الشديد ارتفاعا ملحوظا ما بين سنتي 2014 و2021، إذ انتقل مؤشر الانعدام المعتدل من 14.1٪ سنة 2014 إلى 18.6٪ سنة 2020 وهي أعلى قيمة مسجلة خلال هذه الفترة، وتراجعت نسبة الأشخاص الذين يعانون من الانعدام المعتدل سنة 2021 لتبلغ 17.6٪ من ساكنة العالم. أما بالنسبة لمؤشر الانعدام الحاد أو الشديد للأمن الغذائي فشهد هو الآخر ارتفاعا من 8.3٪ إلى 11.7٪. وتتوزع هذه النسب في المجال العالمي بشكل متباين كما يظهر المبيان أسفله.

مبيان رقم 2: نسبة الأشخاص الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائي حسب المجالات سنة 2019

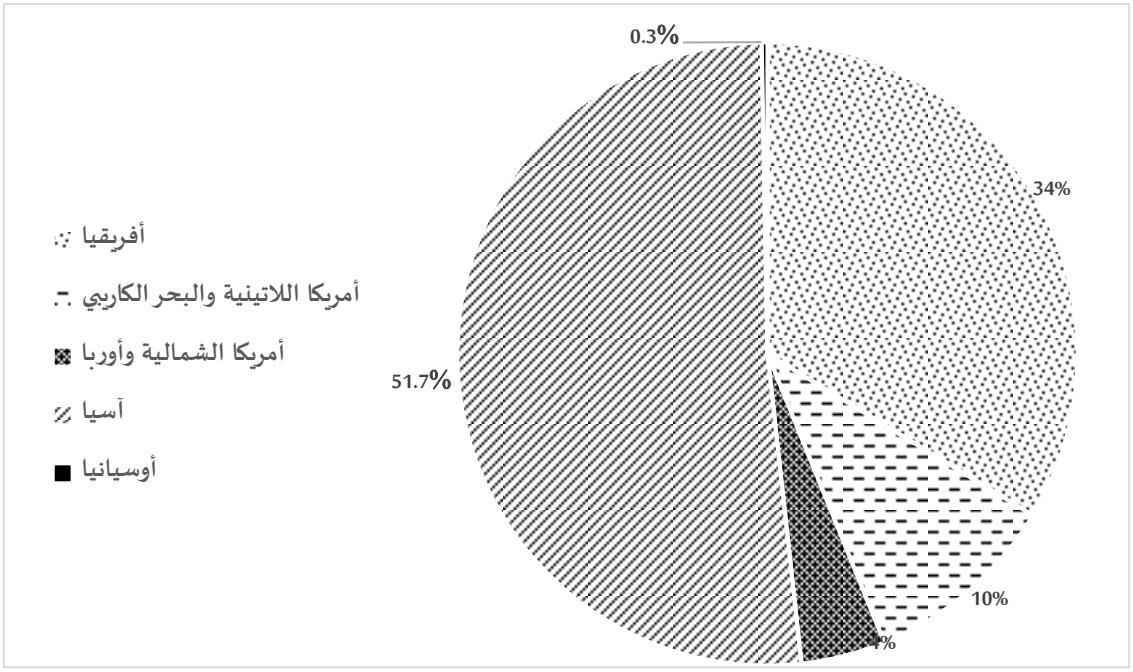

المصدر: منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2020، حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم، الصفحة 16.

من خلال المبيان نجد أن نسبة الأشخاص الذين يعانون من مشكل انعدام الأمن الغذائي ترتفع كلما اتجهنا نحو آسيا وافريقيا، وهو ما سجلته منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، حيث أكدت على أن قارة آسيا تضم أكثر من نصف الأشخاص الذين يعانون من هذا المشكل في العالم، وهو ما يقارب 1.03 مليار نسمة. وتضم القارة السوداء حوالي 34٪ من هذه الفئة، أي أكثر من 675 نسمة. أما النسبة المتبقية أي حوالي 14٪ فتتوزع بشكل مختلف بين أمريكا اللاتينية، وأمريكا الشمالية وأوروبا، وأوسيانيا التي تحتضن أقل نسبة من الأشخاص الغير القادرين على توفير غذائهم.

وتجدر الإشارة إلى أن نسبة الأشخاص الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائي بمنطقة أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي، تشهد ارتفاعا سريعا حيث انتقلت من 22.9 في المائة في عام 2014 إلى 31.7 في المائة في عام 2019، بسبب الزيادة الحادة في أمريكا الجنوبية (منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2020، الصفحة 16).

حالة الأمن الغذائي والتغذية بالمغرب

تقع بلادنا في المنطقة الانتقالية بين النطاق الحار والنطاق المعتدل، وهو ما يجعله من البلدان التي تعاني من قساوة ظروفها الطبيعية، وأبرزها توالي سنوات الجفاف، تزايد مساحة الأراضي المتصحرة، وانتشار التربة الغير المتطورة والغير الصالحة للزراعة، وغيرها من التحديات المتنامية بتزايد التغيرات المناخية. وهو ما قد يضخم الفجوة بين العرض والطلب الغذائي، خاصة في المناطق التي تشهد ارتفاعا في مؤشر الكثافة السكانية. كل هذه العوامل تجعلنا نفترض أن بلادنا تواجه صعوبة في تحقيق أمنها الغذائي.

ولا بد لنا أن نشير هنا إلى أن مؤشر الأمن الغذائي من المؤشرات المركبة، إذ يتكون من أربعة أبعاد كما سبق وأشرنا في الجانب المفاهيمي، وهي توافر الغذاء، وصول الغذاء، استخدام الغذاء، والاستقرار الغذائي. ولتشخيص حالة الأمن الغذائي بالمغرب وجب علينا تحديد وضعية هذه المؤشرات الأربع.

توافر الغذاء:

يعد مؤشر توافر الغذاء من أبرز جوانب الأمن الغذائي، والذي يُظهر مدى قدرة الدول على توفير وإتاحة الغذاء لمواطنيها وشعوبها. سواء بالاعتماد على الإنتاج الوطني، أو من خلال استراد الكميات اللازمة من الأسواق الخارجية، خاصة من المنتجات الأساسية. ويتم قياس هذا المؤشر عبر خمسة مؤشرات هي: كفاية إمدادات الغذاء، والإنفاق العام على البحوث الزراعية والتطوير، والبنية التحتية الزراعية، وتقلب الإنتاج الزراعي، ومخاطر عدم الاستقرار السياسي(المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 2022، الصفحة 27) وشهد مؤشر توافر الغذاء بالمغرب تطورا سلبيا كما يتضح من خلال المبيان:

مبيان رقم 3، تطور مؤشر توافر الغذاء في المغرب ما بين 2019 – 2022.

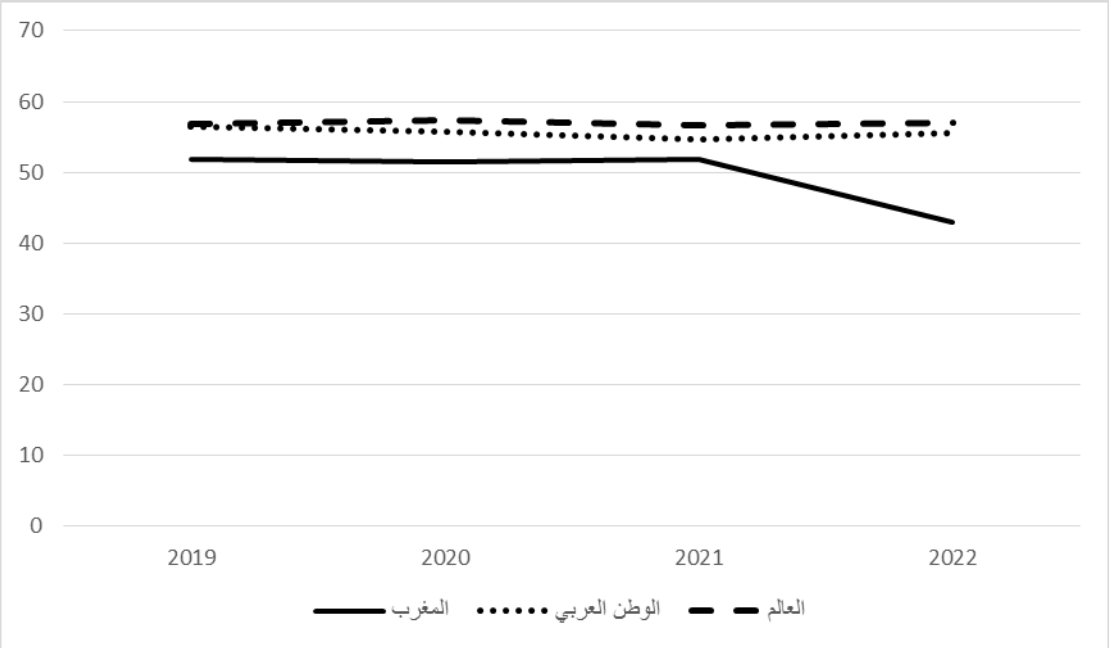

المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 2022، أوضاع الأمن الغذائي العربي، الخرطوم، الصفحة 27.

تراجعت درجة مؤشر توافر الغذاء من 51.9 من المائة سنة 2019 إلى 42.9 من المائة سنة 2022، وهو ما جعل المغرب يحتل الرتبة 10 عربيا. وهي نسبة جد متدنية مقارنة بالمتوسط العربي الذي بلغ 55.6 في المائة والمعدل العالمي الذي سجل 57 في المائة سنة 2022. وتعرف هذه القيمة تراجعا بسبب عدة عوامل داخلية وخارجية، حالت دون توفير الغذاء الكافي لتلبية الحاجيات الأساسية.

تعد الحبوب خاصة القمح، من أكثر المنتجات الغذائية التي ترهق فاتورة الاستيراد بالمغرب، ورغم مختلف الجهود المبذولة لتحقيق الاكتفاء الذاتي منه، إلا أننا لم نتمكن من تحقيق ذلك في الظروف الجيدة، فما بالك في السنوات العجاف الأخيرة. حيث لم يتجاوز فيها انتاج القمح 3 مليون طن سنة 2022 بعد أن كان يفوق 8 مليون طن سنة 2015، كما تراجع انتاج الشعير من حوالي 3.4 مليون طن إلى أقل من 700 ألف طن سنة 2022.

يرتبط تطور مؤشر توافر الغذاء ببعدين أساسيين:

- البعد الديموغرافي: ويتجلى في العلاقة العكسية بين قيمة هذا المؤشر وتطور عدد السكان، فكلما ارتفع عدد السكان تراجع مؤشر توافر الغذاء خاصة بالمناطق التي تعاني من التبعية للخارج في مجال الغذاء.

- البعد المناخي: فكلما اتجهنا نحو المناطق الجافة والشبه الجافة، والمناطق المتجمدة انخفضت قيمة هذا المؤشر. ويرتفع كلما اتجهنا نحو المناطق المعتدلة. وتجدر الإشارة إلى أن توافر الغذاء رغم أهميته يبقى غير معبر في غياب باقي الأبعاد المشكلة لمؤشر الأمن الغذائي خاصة الوصول للغذاء.

الوصول إلى الغذاء:

يعتبر توفر الغذاء ووجوده أمرا مهما، لكنه لا يعني تحقيق الأمن الغذائي للأفراد في معزل عن باقي الجوانب الأخرى. ولذلك وجب الاهتمام بالظروف المتحكمة في الوصول إليه والحصول عليه. وهو ما يمكن تناوله من خلال دراسة الدخل الفردي، وأسعار السلع الغذائية وتطور السكان والغذاء.

ينتمي المغرب إلى الدول ذات الدخل الفردي المتوسط، إذ يتراوح هذا المؤشر ببلادنا ما بين 3 ألف دولار و3.6 دولار في السنة (ما بين 2016 و2022). وهو أقل من المتوسط العربي الذي قارب 6 آلاف دولار سنة 2020، وأقل بكثير من المتوسط العالمي الذي فاق 10 الاف دولار في نفس السنة. ويرجع تدني مؤشر الدخل الفردي لارتفاع عدد السكان، وانخفاض الناتج المحلي الإجمالي.

تتمثل أهمية هذا المؤشر في إظهار مدى قدرة الساكنة على شراء السلع الغذائية. فهو يعطي صورة مباشرة عن القدرة الشرائية للأفراد في كل دولة. ومن خلال تشخيصنا لهذا المؤشر يظهر أن قدرة المغاربة على اقتناء السلع الغذائية ضعيفة مقارنة بباقي ساكنة العالم، وبعض البلدان العربية خاصة الدول النفطية. ويتوقع أن تزداد انخفاضا بسبب أسعار السلع المتنامية، ويظهر المبيان الآتي تطور الأرقام القياسية لأسعار المستهلك في المغرب مقارنة بالمتوسط العالمي.

مبيان: رقم 4 تطور الأرقام القياسية لأسعار المستهلك ما بين 2016-2022.

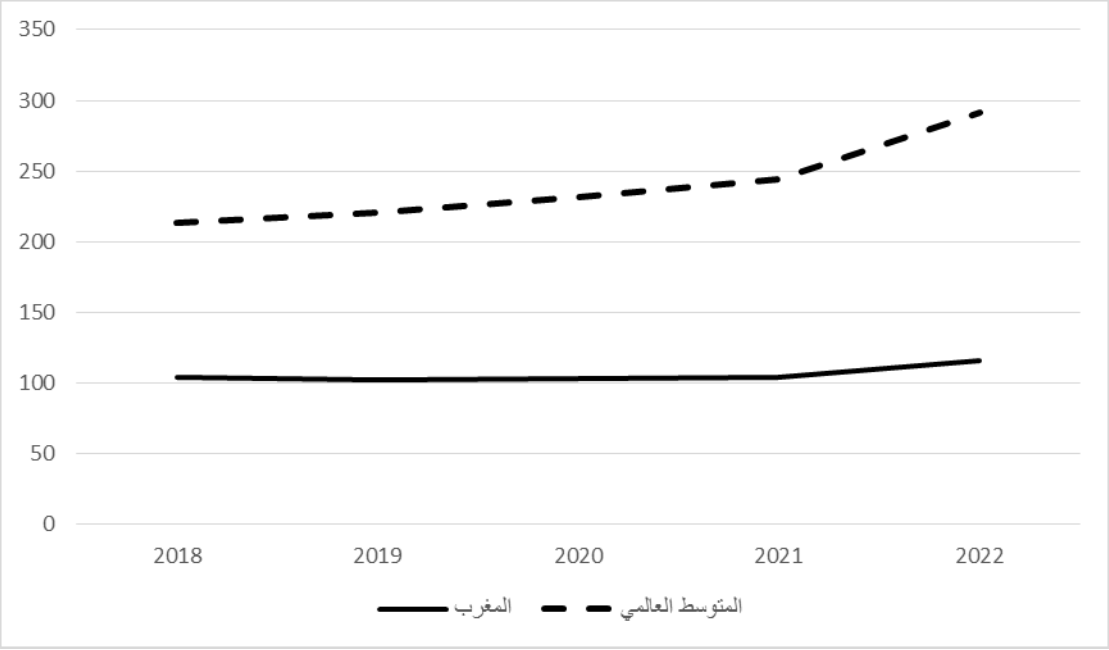

المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 2022، أوضاع الأمن الغذائي العربي، الخرطوم، الصفحة 25.

يظهر جليا من خلال المبيان أعلاه أن القيمة القياسية لأسعار المستهلك ارتفعت بوثيرة متسارعة خاصة منذ سنة 2021. حيث قدرت القيمة القياسية للأسعار سنة 2018 ب 103.79 مقارنة بسنة 2015، أي بإضافة فاقت 3.7. وسجلت أعلى قيمة للأسعار سنة 2022 بزيادة قدرها 15.7 مقارنة بسنة 2015. ونشير إلى استمرار الارتفاع الحاد للأسعار إلى يومنا الحالي وهو ما يفسر اتساع الفئة الغير القادرة على اقتناء السلع الغذائية خاصة المنتجات الأساسية في ظل تضاعف أسعارها.

ويمكن إرجاع ارتفاع أسعار السلع الغذائية في المغرب إلى عدة عوامل أهمها:

- ارتفاع ثمن المحروقات حيث انتقل من 9 دراهم إلى 14 درهما.
- قلة التساقطات، إذ لم تسجل إلا 21 ملم خلال الثلاث أشهر الأخيرة في سنة 2023 (أكتوبر، نونبر، دجنبر).
- ارتفاع عدد الوسطاء بين المنتج والمستهلك.
- ارتفاع مؤشر التضخم.
- ضعف المراقبة.

استخدام الغذاء:

يقصد بمؤشر استخدام الغذاء الاستفادة منه، ويرتبط هذا المؤشر بالأمن التغذوي أكثر من الأمن الغذائي. نظرا لاهتمامه بصحة الأفراد عبر دراسة جودة الأغذية، ومكوناتها (بروتينات، دهنيات ...). ودراسة الوضعية الناتجة عن سوء التغذية كنقص التغذية والجوع.

ورغم تسجيل المغرب نسب جد متقدمة في مؤشر جودة وسلامة الغذاء عربيا وعالميا، إلا أن ذلك يبقى غير كاف لتلبية ما يحتاج له جسم الفرد، مقارنة بالمتوسطات العربية والعالمية.

فعلى مستوى الطاقة فإن الطعام المتاح للاستهلاك بالمغرب يوفر أكثر من 3370 كيلو كالوري للفرد في اليوم حسب تقديرات المنظمة العربية للتنمية الزراعية سنة 2022. وهو ما يفوق بكثير المتوسط العالمي الذي قدر ب 2977 كيلو كالوري للفرد في اليوم، وأكثر من متوسط الطاقة التي يوفرها الغذاء المتاح للاستهلاك بالدول العربية الذي لا يفوق 2920 كيلو كالوري للفرد في اليوم. وهو مؤشر إيجابي يساهم في تحقيق الأمن التغذوي لدى الفرد بالمغرب إلى جانب ما توفره الأغذية المتاحة من بروتين ودهون.

مبيان رقم 5: الإمدادات الغذائية من البروتينات والدهون في المغرب سنة 2022 (جرام للفرد في اليوم)

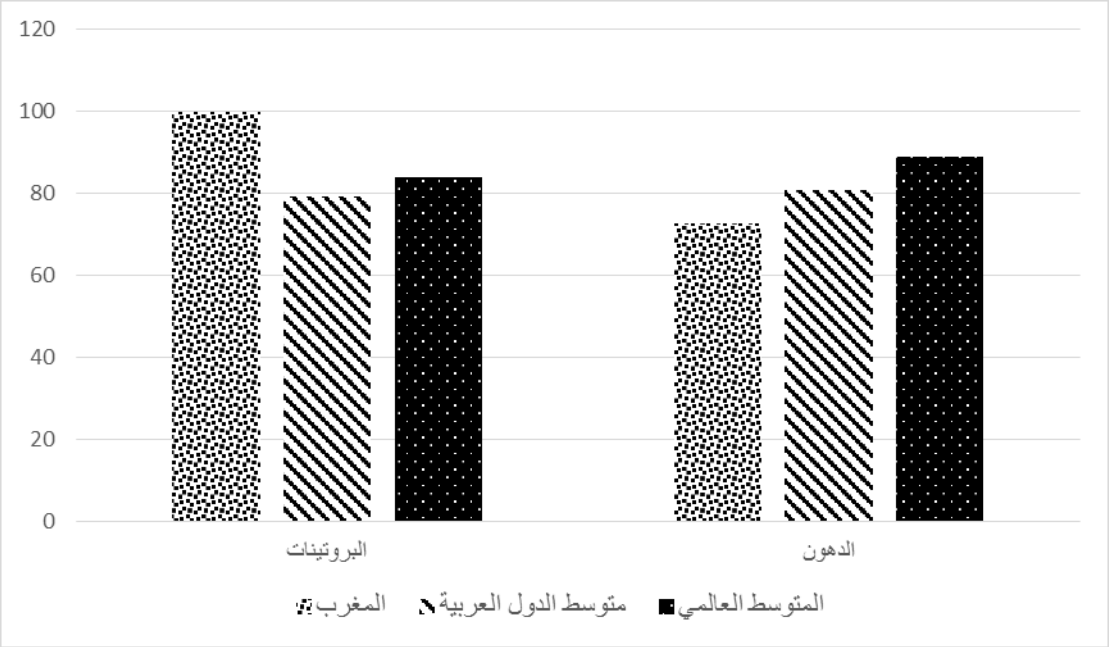

المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 2022، أوضاع الأمن الغذائي العربي، الخرطوم، الصفحة 37 و38 (بتصرف).

فالأغذية المتاحة للاستهلاك بالمغرب وفرت سنة 2022 حوالي 100 جرام للفرد في اليوم وهي كمية مهمة مقارنة بالمتوسط العربي الذي بلغ حوالي 79 وبالمتوسط العالمي الذي لم يتجاوز 83 جرام للفرد في اليوم. أما بالنسبة للدهون فوفرت السلع الغذائية المتاحة ببلادنا 72.7 جرام للفرد في اليوم، وهي نسبة أقل من متوسط ما توفره السلع الغذائية بالدول العربية سنة 2022، حيث وفرت 80.9 وأقل مقارنة بالمتوسط العالمي الذي بلغ 89 جرام للفرد في اليوم.

كل هذا جعل نسبة السكان الذين يعانون من نقص في التغذية بالمغرب، تمثل حوالي 6.3٪ من مجموع سكانه سنة 2022. وشهدت هذه الفئة ارتفاعا مهما، إذ لم تكن تشكل سوى 4.9٪ سنة 2011. حسب التقارير السنوية للمنظمة العربية للتنمية والزراعة.

الاستقرار الغذائي:

يتوقف هذا المؤشر على سياسة الدولة في قطاع الفلاحة ومدى اهتمامها بتوفير الأمن الغذائي ضمن أولوياتها الاستراتيجية. ونظرا لما له من أهمية سوسيواقتصادية وسياسية أمنية، قامت الدولة المغربية بإعداد جملة من البرامج والمخططات لتحسين الوضعية الغذائية، وتجاوز التحديات الطبيعية والبشرية التي تحول دون تحقيق ذلك. ما جعلنا نحاول تقييم سياسة الدولة في هذا المجال. وقبل تطرقنا للبرامج، نتساءل حول الفاعلين المعنيين بتحقيق الأمن الغذائي في المغرب.

تتداخل مجموعة من الفاعلين في إعداد وتنفيذ وتقييم السياسيات الوطنية للأمن الغذائي، ويمكن تقسيمهم إلى مؤسسات عمومية، وفاعلين خواص، وتختلف مهامهم بين التموين، والتخطيط والبرمجة، والتطوير والبحث العلمي، والتوعية والتحسيس، والتدبير والتسيير، والمراقبة والتقييم ... إلا أنها تتكامل في تحقيق الأمن الغذائي بالمغرب باعتباره الهدف الأسمى لهذه المؤسسات:

خطاطة رقم 2: أهم الفاعلين في الأمن الغذائي بالمغرب.

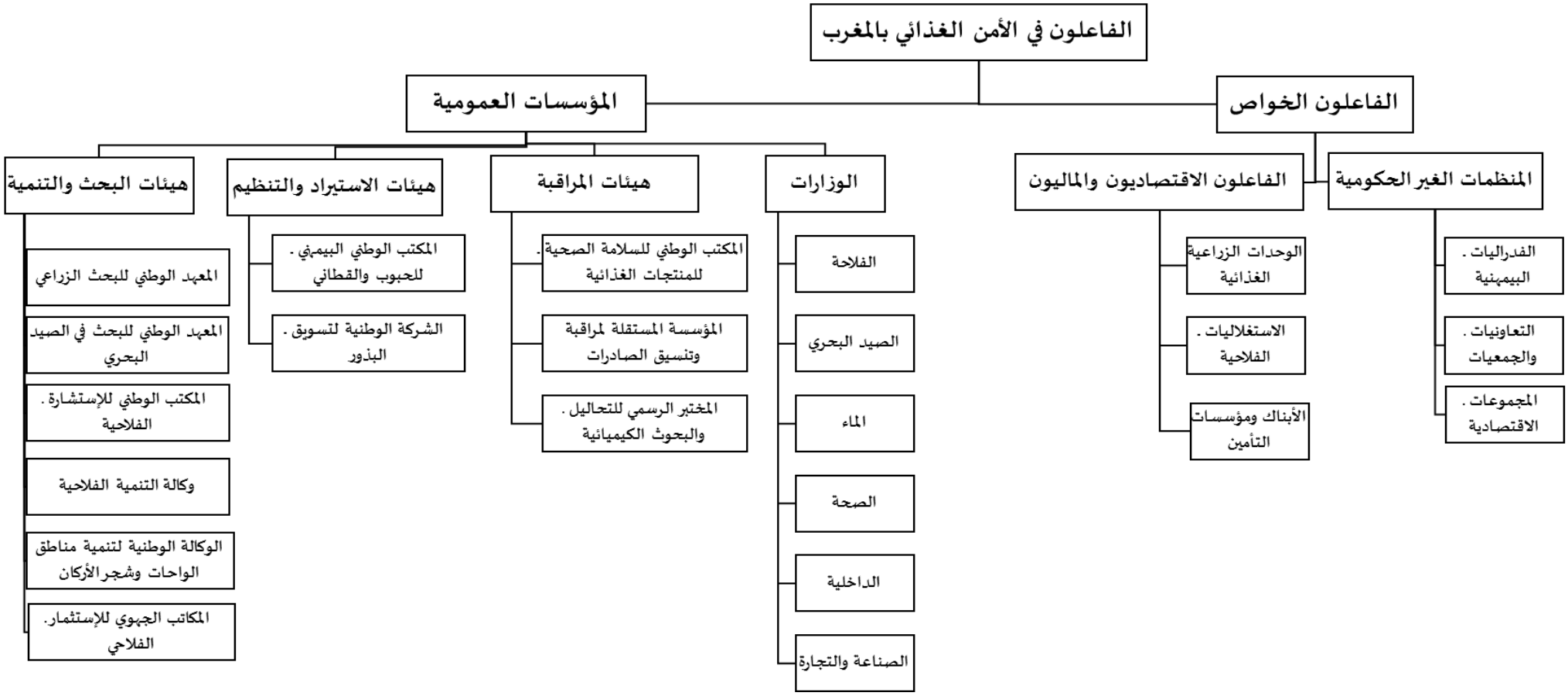

Source : Larbi Toumi et Mohamed El Amrani, 2018, Gouvernance de la sécurité alimentaire au Maroc Défis et opportunités, Research and innovation as tools for sustainable agriculture, food and nutrition security MEDOFORUM 2018, Page 158.

رغبة في تحقيق الأمن الغذائي والتغذوي بالمغرب، سطر الفاعلون المعنيون بذلك عدة مخططات وبرامج واستراتيجيات وطنية. بهدف تحسين الوضعية الغذائية، والنهوض بالقطاع الفلاحي بالبلاد من أهمها:

- مخطط المغرب الأخضر: الذي تم اطلاقه سنة 2008 واستمر العمل به إلى حدود 2020، بهدف جعل القطاع الفلاحي رافعة لتحقيق التنمية، عن طريق الرفع من الاستمارات العمومية والخاصة في القطاع. من أبرز نتائج هذه المخطط التحكم في الموارد المائية، عبر تدعيم السقي بالتنقيط، والبحث عن مصادر غير تقليدية لتعبئة المياه، دون أن ننسى التقليص من حدة المخاطر الطبيعية الناتجة عن التغيرات المناخية، وتقليص تأثيراتها السلبية على القطاع. ورغم ما حققه هذا المخطط على أرض الواقع، إلا أنه عجز عن توفير الغذاء لكافة فئات المجتمع المغربي، نظرا لاهتمامه بالفلاحة التصديرية (الفواكه والخضر الموجهة للأسواق الخارجية) على حساب المواد الأساسية كالقمح والقطاني ... إضافة إلى أنه لم يجعل العنصر البشري في صلب اهتمامه، بل اهتم بنسبة مهمة في تحقيق النمو الاقتصادي، للرفع من مساهمة الفلاحة في الناتج الداخلي.
- استراتيجية الجيل الأخضر 2020-2030: والتي تهدف إلى تحقيق هدفين أساسيين هما استدامة التنمية الفلاحية من خلال عصرنه القطاع، تجديد وتجويد التقنيات الفلاحية، وجعلها صديقة للبيئة، والاهتمام بالموارد الطبيعية واستدامتها. والهدف الثاني تنمية العنصر البشري خاصة الشباب القروي، عبر جعل الفلاحة قطاعا حيويا، شابا، ورقميا. وتعتبر أهداف هذه الاستراتيجية أهدافا طموحة إلا أن تحقيقها يبقى رهينا بمدى استعداد الفاعلين لتنزيلها ومدى جديتهم في ذلك. ورهينا أيضا بالسبل التي ستجعل الشباب يختارون الاستقرار في البوادي، في مقابل الهجرة إلى المدن للاشتغال في قطاعات اخرى.
- الاستراتيجية الوطنية للتغذية 2011-2019: استهدفت هذه الاستراتيجية تعزيز الحالة الصحية والتغذوية للمواطنات والمواطنين المغاربة، من خلال تسطيرها لعدة أهداف أهمها: تحسين مؤشرات الحالة التغذوية للساكنة، وتعزيز أسلوب حياة صحي للوقاية من الاضطرابات التغذوية والأمراض المزمنة المتعلقة بالتغذية، وكذا تحسين وصول الأسر إلى المنتجات الغذائية العالية الجودة بكميات كافية، وتعزيز المهارات المؤسسية والمهنية في مجال التغذية، بالإضافة إلى تعزيز آليات التنسيق بين مختلف أصحاب المصلحة في التغذية، وكذا تطوير البحوث والخبرة في مجال التغذية (مجلس المستشارين الصفحة 83). وهو ما لم يتحقق بل ظل الوصول للسلع الغذائية حكرا على فئات دون أخرى، بسبب ارتفاع الأسعار.

إلى جانب هذه المخططات، هناك العديد من البرامج والاستراتيجيات التي اهتمت بتحسين الوضعية الغذائية بالمغرب كمخطط اليوتيس والتجميع الفلاحي ... إلا أنها لم تنجح في تحقيق العديد من أهدافها خاصة تلك المتعلقة بتحقيق الأمن الغذائي. لكونها لم تنجح في التقليص من أثر التحديات الطبيعية والبشرية المتحكمة في الحالة الغذائية بالبلاد. وهو ما يستوقفنا متسائلين: أين تتمثل العوامل المتحكمة في وضعية الأمن الغذائي بالمغرب؟

II. العوامل المتحكمة في وضعية الأمن الغذائي بالمغرب.

1. العوامل الطبيعية المتحكمة في وضعية الأمن الغذائي بالمغرب

تتحكم عدة عوامل في تحديد الوضعية الحالية للأمن الغذائي بالمغرب. شأنه شأن باقي دول العالم. فالمناخ الذي كان بالأمس سببا في ظهور مفهوم الاستقرار، وصون الأمن وضمانه، غدا اليوم عاملا في تدني الوضعية الغذائية وإجهاد العناصر المتحكمة في الانتاج. فالتغيرات المناخية المتسارعة، تذهب بأغلب الأراضي نحو القحولة، بسبب الارتفاع المستمر لدرجة الحرارة، وانخفاض التساقطات، مما يجعل إعادة دراسة المناخ وخصائصه وانتشاره أمرا واجبا في ظل التغيرات الحالية.

إلى جانب انخفاض كمية التساقطات، يعرف المجال المغربي تباينا في توزيع الموارد المائية حسب الأحواض النهرية، إذ تستقر النسبة الأكبر من الماء بالأحواض الشمالية الغربية، وتتراجع كمية الماء كلما اتجهنا نحو الشرق والجنوب. ويتزامن ذلك مع شح الفرشات الباطنية في العديد من المناطق الفلاحية، مما جعل الكثير من الفلاحين، يعمقون الآبار بهدف البحث عن كميات أكبر من المياه، لإنقاذ مزارعهم من وحش الجفاف الذي خيم على الكثير من الاستغلاليات.

فالتربة التي لطالما أخجلت الأنسان بكرمها، أصبحت اليوم غير قادرة على الإنتاج بسبب ما ألحقنا بها من أضرار، قيدت قدرتها البيولوجية. خاصة في المناطق الانتقالية بين مجال سيادة المناخ المتوسطي والمناخ الصحراوي، وفي المناطق الهشة التي لازالت تصارع الظروف الطبيعية والاستغلال البشري المكثف للحفاظ على خصوبتها وقدرتها على الإنتاج.

تبلغ مساحة المغرب أكثر من 71 مليون هكتار، منها ما حوالي 9 مليون هكتار عبارة عن أراضي مزروعة، أي ما يقارب 13٪ من مجموع التراب المغربي، تتركز في المنطقة الشمالية والغربية، وتمثل هذه الأراضي حوالي 80٪ من الأراضي الصالحة للزراعة بالمغرب. أما باقي التراب الوطني فأغلبه عبارة عن صحاري ومناطق جبلية ذات أتربة غير متطورة، وغير صالحة للزراعة. ورغم أن نسبة الأراضي الصالحة للزراعة جد ضعيفة إلا أنها تبقا مهمة إذا قارناها بباقي الدول العربية والمغاربية. حيث تمثل الأراضي المزروعة بالمغرب أكثر من 35٪ من مساحة الأراضي المزروعة بدول المغرب الكبير. وتقسم هذه الأراضي الزراعية في المغرب إلى ثلاثة أقسام:

مبيان رقم 6: استعمالات الأراضي الزراعية في المغرب سنة 2014

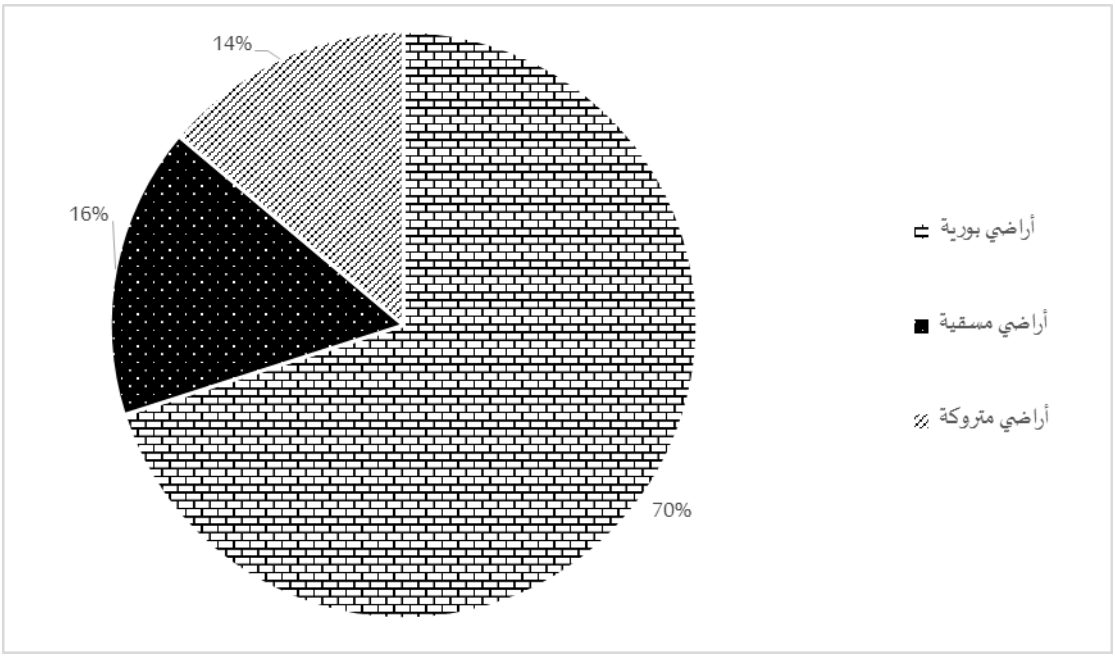

Source : https://aoad.org/ASSY37/StatBook37_Ch1_T5.htm

تعتبر النسبة الأكبر من المساحة المزروعة بالمغرب أراضي بورية، يتوقف فيها الإنتاج على وفرة التساقطات، حيث تبقى أراضي جرداء في سنوات الخصاص المائي كما هو الحال عليه الآن. أما الأراضي المسقية المجهزة هيدرولوجيا فلا تفوق نسبتها 16٪. وإلى جانب قلة الأراضي المسقية وضيق مساحتها وتباين توزيعها، فإنها تعاني من عدة تحديات أهمها:

- التعرية باعتبارها ظاهرة طبيعية يعرفها سطح الأرض بواسطة الرياح أو المياه، والتي تعمل على نقل التربة من منطقة إلى أخرى، تساهم هذه الظاهرة في تفقير التربة من موادها العضوية (الذبال) ونقلها إلى منطقة أخرى. وهو ما يكرس تفاوت خصوبة التربة من منطقة إلى أخرى.
- ارتفاع نسبة ملوحة التربة.
- الغسل بسبب الري المكثف والذي يساهم هو الآخر في تجريد التربة من موادها العضوية والمعدنية.
- الانجراف في المناطق المنحدرة، خاصة في ظل تراجع الغطاء النباتي الذي تعمل جذوره كمثبت لحبيبات التربة.
- زحف الرمال خاصة ف المناطقة الانتقالية المتركزة بالقرب من الصحاري.

- الاستهلاك المكثف والغير العقلاني.
- الزحف العمراني، وتوسع المدن الكبرى على حساب الأراضي الصالحة للزراعة.

كل هذه التحديات وغيرها تساهم في انتشار ظاهرة التصحر التي تعني في أبسط تعاريفها: فقدان التربة لقدرتها على الإنتاج.

2. العوامل البشرية المساهمة في وضعية الأمن الغذائي بالمغرب

إلى جانب العوامل الطبيعية، فالعوامل البشرية تعد عاملا أساسيا في تحديد وضعية الأمن الغذائي بالمغرب، ويمكن رصد أهمية هذا العامل من خلال تتبع تطور عدد السكان. حيث شهد المغرب ما بين 1960 و2014 ارتفاعا مهما في عدد سكانه، ويظهر هذا المبيان ذلك:

مبيان رقم 7: تطور عدد سكان المغرب ما بين 1960 – 2050 (بالمليون نسمة).

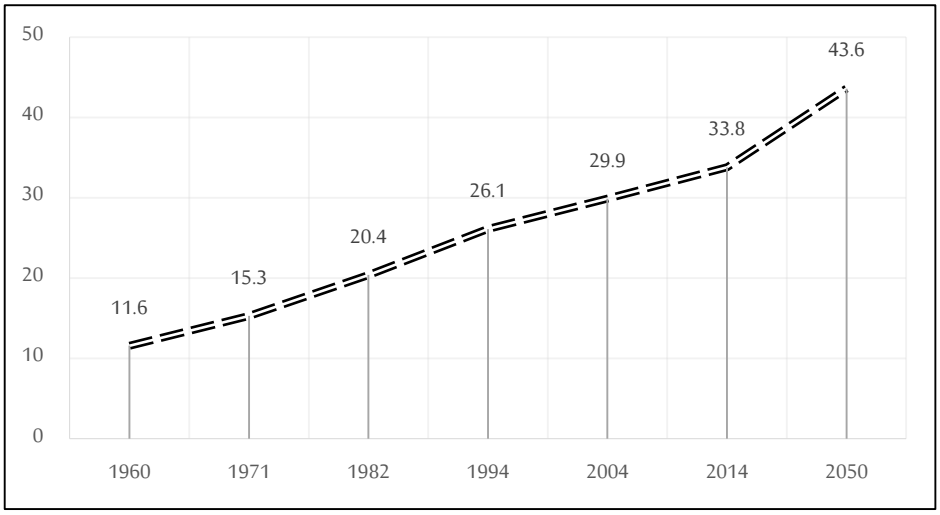

المصدر: الإحصاءات العامة للسكان والسكنى، واستشراف المندوبية السامية للتخطيط.

انتقل عدد ساكنة المغرب من 11.5 مليون نسمة سنة 1960 إلى 33.8 مليون نسمة سنة 2014، ويتوقع أن يرتفع هذا العدد إلى أكثر من 43 مليون نسمة سنة 2050. ويعتبر ارتفاع عدد السكان عاملا ذا حدين، حد إيجابي يتمثل في وفرة يد عاملة تنتج، وفي توفير سوق استهلاكية تشجع على الإنتاج. وحد سلبي يتمثل في العلاقة العكسية التي تربط بين عدد السكان ووفرة الغذاء، فكلما ارتفع عدد السكان، زادت صعوبة تحقيق الأمن الغذائي خاصة في ظل ثبات وانخفاض العرض الغذائي. كما يساهم تباين توزيع الكثافة السكانية في خلق مناطق قادرة على الوصول للغذاء بسبب انخفاض عدد سكانها، وأخرى غير قادرة على الوصول إليه واستخدامه بطريقة صحية، بسبب ارتفاع عدد السكان بها. وهو ما يجعل من تحقيق الجانب الثاني والثالث من مؤشر الأمن الغذائي (الحصول على الغذاء، واستخدام الغذاء) أمرا صعبا في ظل تفاوت توزيع المؤشرات الديمغرافية وتزايد عدد السكان.

كل هذه العوامل الطبيعية والبشرية وغيرها، جعلت المغرب يحتل الرتبة التاسعة عربيا في الأمن الغذائي، بمؤشر قُدر ب 6.40 (المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 2022، الصفحة 42)، بعد كل من الإمارات التي احتلت الرتبة الأولى عربيا بمؤشر بلغ 7.07، والسعودية، وقطر، والكويت، وسلطنة البحرين، وتونس والجزائر. وتحتل السودان، واليمن، والصومال المراتب المتأخرة في مؤشر الأمن الغذائي بالمنطقة العربية سنة 2022، نظرا لما تشهده من نزاعات سياسية واضطرابات أمنية.

نتائج واقتراحات

ينتمي المغرب للقارة الإفريقية، والتي تحتل الرتبة الثانية من حيث نسبة الجوع ونقص التغذية بعد آسيا. وذلك لما تشهده من مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية. جعلت تحقيق الأمن الغذائي أمرا صعبا ومستحيلا في بعض البلدان مع استمرار نفس الظروف. والمغرب بدوره يعاني من عدة تحديات تعيق تحسين وضعيته الغذائية واستقرارها، والتي يمكن تقسيمها إلى عوامل طبيعية كقلة الأراضي المزروعة، وشح التساقطات بسبب التغيرات المناخية ... وعوامل بشرية متمثلة أساسا في ارتفاع عدد السكان بوتيرة لا تتناسب وتطور الوضعية الغذائية بالمغرب، مما يعمق الفجوة الغذائية. دون أن ننسى تباين توزيع الكثافة السكانية الذي يخلق مناطق وفرة الغذاء ومناطق خصاص بسبب ارتفاع عدد السكان بها. كل هذه العوامل جعلت المغرب يحتل الرتبة التاسعة عربيا في مؤشر الأمن الغذائي بعد الدول النفطية. وشخصنا في هذه المقالة الوضعية الغذائية ببلادنا من خلال مؤشرات الأمن الغذائي الأربعة: وهي توافر الغذاء، الحصول على الغذاء، استخدام الغذاء، والاستقرار الغذائي.

فعلى مستوى توافر الغذاء والذي يعد أهم جوانب الأمن الغذائي نجد أن المغرب يعرف تراجعا مهما في هذا المؤشر. خاصة إذا قمنا بمقارنته مع المتوسط العربي والعالمي. إذ يُظهر عجز المغرب على توفير حاجياته من الموارد الأساسية كالقمح، والشعير، والقطاني وغيرها. مما يجعله يتجه نحو الاستيراد لسد حاجياته. وعلى مستوى الحصول على الغذاء والوصول إليها فيبقى مؤشرا ذا حصيلة سلبية هو الآخر، خاصة في ظل ارتفاع الأسعار وانخفاض السلع الغذائية. أما على مستوى استخدام الغذاء فلاحظنا أن الغذاء المتاح للاستهلاك بالمغرب يوفر ما يلزم من البروتين والطاقة أكثر مما يوفره الغذاء المتاح للاستهلاك بالوطن العربي والعالم، وهو ما جعل المغرب يحتل مراتب متقدمة في جودة السلع الغذائية. وقمنا في المؤشر الأخير بتتبع أهم المخططات والبرامج والاستراتيجيات التي قام بها الفاعلون في الأمن الغذائي ببلادنا كالمخطط الأخضر، واستراتيجية الجيل الأخضر، والاستراتيجية الوطنية للتغذية. لإظهار مدى تحقق أهدافها في ظل ما تعرفه البلاد من مشاكل معيقة.

ولتجاوز هذه المعضلة يمكن اقتراح الحلول التالية:

- توسيع المساحات المسقية خاصة في ظل شح التساقطات. والبحث عن مصادر مائية غير تقليدية لتلبية حاجيات هذه الأراضي.
- تحسيس الفلاحين والعاملين في قطاع الفلاحة والصيد البحري بأهمية المحافظة على الموارد الطبيعية لضمان الجانب الأخير من جوانب مؤشر الأمن الغذائي.
- صيانة الموروث الزراعي، والمحافظة على الأصناف المحلية لكونها تتماشى والخصوصية المحلية.
- العمل على وضع استراتيجية واقعية لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الحبوب خاصة القمح باعتباره منتوجا غذائيا أساسيا لدى المغاربة.
- دعم الفلاحين الصغار بالمبيدات الكيماوية والأسمدة.
- التوجه نحو إشباع الحاجيات الوطنية ثم التفكير في الزراعة التصديرية.
- تنسيق تدخلات مختلف الفاعلين بما يخدم تحقيق الأمن الغذائي.

خاتمة

لطالما اعتبر الغذاء محددا أساسيا لوجود السكان وجودة حياتهم. فكانت تنقلات الإنسان منذ القدم بحثا عنه وعن الماء. وبعد الثورة الزراعية واهتمام الانسان بالزراعة ظهرت مجموعة من العادات الغذائية القديمة كالتجفيف، للحفاظ على الغذاء في أوقات الحاجة. وظهرت المخازن خاصة في البلدان التي كانت تعرف توالي سنوات الجفاف كالمغرب، لادخار الطعام وحمايته من أن يفسد بشكل طبيعي. ولطالما اعتبر الغذاء وسيلة ضغط في الحروب والاضطرابات، فحقق الحصار في العديد من المعارك ما لم تحققه السيوف والأمثلة على ذلك عديدة.

وتزداد أهمية الغذاء والتغذية، كلما واجهنا تحديات طبيعية تفوق قدرة الإنسان وحدوده. وتزامنا مع ما يشهده العالم من تغيرات مناخية، أضحى موضوع الأمن الغذائي حديث العامة والعارفين. نظرا لما له من دور اجتماعي، واقتصادي وسياسي وأمني.

ما جعلنا نهتم بدراسة الوضعية الغذائية بالمغرب في ظل ما يعرفه هذا المجال من تحديات طبيعية وبشرية، تزداد حدة يوما بعد يوم، واقتراح بعض الحلول لتجاوز هذه المعضلة.

قائمة البيبليوغرافيا:

باللغة العربية:

- إبراهيم موسى جاد الله، دور السياحة الفلسطينية في التنمية المستدامة الواقع وسبل التطوير رسالة ماجستير جامعة القدس عمادة الدراسات العليا القدس فلسطين 2009
- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، 2022، أوضاع الأمن الغذائي العربي، الخرطوم،
- الهيئة المركزية للوقاية من الرشوة، 2011، الحكامة الجيدة بين الوضع الراهن ومقتضيات الدستور الجديد 2011
- اللجنة العالمية للبيئة والتنمية (1987)
- برنامج الأمم الإنمائي، 1997
- محمد موني وعماد أبركان، 2015، متطلبات الحكامة في التنمية الترابية بالمغرب، ملفات الأبحاث في الاقتصاد والتسيير العدد الرابع الجزء الأول،
- مصطفى الكثيري. التنمية المستدامة: الإطار المفاهيمي والتوجه الاقتصادي. الدورية المغربية لبحوث الإتصال مجلة دور الإتصال في تبسيط المفاهيم المستحدثة. عن المعهد العالي للإعلام والإتصال
- ميمون بحكان وحفيظ بولحوال وأسباعي عبد القادر ومحمد غزال، 2011، المجتمع المدني والتنمية المحلية، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو المجتمع المدني والحكامة الترابية
- منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2020، حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم
- منظمة الأغذية للأمم المتحدة، 2022، حالة الأمن الغذائي والتغذية بالعالم

باللغة الأجنبية :

- Larbi Toumi et Mohamed El Amrani, 2018, Gouvernance de la sécurité alimentaire au Marالأoc Défis et opportunités, Research and innovation as tools for sustainable agriculture, food and nutrition security MEDOFORUM 2018

مواقع الكترونية:

- https://www.researchgate.net/publication/361244779
- https://aoad.org/ASSY37/StatBook37_Ch1_T5.htm